الأحوال الشخصية للخلفاء العباسيين

الكتاب: الأحوال الشخصية للخلفاء العباسيين

المؤلف: الأستاذ الدكتور جاسم ياسين الدرويش

كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة البصرة

الطبعة الأولى: ٢٠٢٢

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



طباعة . نشر . توزيع

دمشق/جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠ -٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

الأحوال الشخصية للخلفاء العباسيين

الأستاذ الدكتور جاسم ياسين الدرويش

كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة البصرة





المقدمة

حظي التاريخ العباسي باهتمام المؤرخين القدامى والمحدثين وأُلِفتْ فيه الكثير من الكتب ، ولا شك أن ذلك راجع لأهميته السياسية والحضارية ، إذ شهدت حقبة الحكم العباسي تحولات كبيرة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وكان قمة الهرم في الدولة هو الخليفة ، وعلى الرغم من اختلاف دوره قوة وضعفاً خلال مدة حكمهم التي استمرت من سنة ١٣٢ هـ/٧٤٩ م حتى سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م ، إلا أنه بقي الرمز الذي يجمع اسم الدولة وينضوي تحت لواءه الجميع.

وأُلف في سيرتهم والأحداث التي جرت في أيامهم الكثير المصنفات بين مسهب مطول ومُختصرٍ مُقلل ، وقد حاولنا في هذا الكتاب التركيز على الأحوال الشخصية للخلفاء العباسيين الذي حكموا في العراق ، إذ تناولنا نسب كل خليفة من جهة أبيه وأمّه وولادته ومدة حكمه ، ثم زوجاته وأولاده ، ثم صفته البدنية والخُلقية وبعض أقواله ، ثم ألقابه ، ثم وفاته وأسبابها.

وقد بلغ عدد الخلفاء العباسيين في العراق سبع وثلاثون خليفة ، إلا أن هناك ثلاثة تولوا الخلافة في وقت متداخل مع غيرهم ، ونقصد بهم إبراهيم بن المهدي الذي بويع بالخلافة في بغداد عندما كان المأمون في خراسان فتداخلت خلافته معه فكانت مدته سنة وإحدى عشر شهراً ، ثم عبد الله بن المعتز الذي تداخلت خلافته مع خلافة المقتدر بالله وكانت مدته يوم وبعض يوم ، ثم علي بن المستظهر الذي تداخلت خلافته مع أخيه المسترشد بالله وكانت مدته أحد عشر شهراً ، وعلى هذا يكون عدد من بويع منهم أربعون خليفة.

١ـ أبو العباس السفاح
(١٠٨ -١٣٦ هـ/٧٢٦ -٧٤٣م)

هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمّه عربية ، قال ابن حبيب: لم يكن من بني العباس أمّه عربية إلا أبو العباس والمهدي[١] ، وهي ريطة بنت عَبد اللّه بن عَبد اللّه بن عَبّد المدان الحَارِثيّة[٢] ، فكان يقال له ابن الحارثية نسبة إلى أمّه[٣] ، وكانت قبل أن يتزوجها عند محمد بن علي عند عبد الله بن عبدالملك بن مروان[٤] فولدت له الحجاج بن عبد الملك الأموي[٥] فهو أخو أبو العباس السفاح لأمّه ، ثم تزوجها محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، فولدت له أبو العباس الذي ولد في سنة١٠٨ هـ/٧٢٦م بالحميمة[٦] من ناحية البلقاء وقيل سنة١٠٤هـ/٧٢٢م[٧] وقيل سنة١٠٥هـ/٧٢٣م[٨] ، وذُكر أنه بعد

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ٥٤ ؛ نلحظ أن الخليفة الأمين أمّه عربية هاشمية وهي زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٤٠٩ ؛ ابن حبيب المحبر، ص ٣٣ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣٩/٤ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٢ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٣١٥/٣ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٥٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٢٤/٧ ؛ المسعودي، التنبيه ولإشراف، ص ٢٩٣.

(٤) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص ٢٤٣ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ١٨٢/٣.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ١٨٢/٣.

(٦) قال ياقوت: بلد من أرض الشراة من أعمال عمّان في أطراف الشام كان منزل بني العباس ، معجم البلدان، ٣٠٧/٢.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٧/٧ ؛ المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ٥٩/٦.

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٣٦/١١.

خمس عشرة ليلة من ولادته دخل الصادق(عليه السلام) على محمد بن علي العباسي فأخرجه إليهم وقال لهم: (والله ، ليتمّنّ هذا الأمر حتّى تدركوا ثأركم من عدوّكم)[1].

وروى اليعقوبي أن محمد بن علي العباسي دخل على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك(١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) ومعه ابنه أبو العباس وكان غلاماً(فلما خرج من عنده قال لبعض أصحابه: شكوت إلى أمير المؤمنين ثقل الدين والعيال ، فاستهزأ بي ، وقال: انتظر ابن الحارثية ، يعني هذا الغلام)[2].

بويع بالخلافة بالكوفة في الثالثة عشر من ربيع الأول سنة١٣٢هـ/٧٤٩م[3] وقيل في الثاني عشر من ربيع من السنة نفسها[4] ، وولي الخلافة وهو ابن ثمان وعشرين سنة وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر[5] وقيل أربع سنين وستة أشهر[6] ،وظفر ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابتاعها بأربعة آلاف دينار[7] ، وقيل اشترها بثلاثمائة دينار وهو البُرْدُ الذي كساه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى صاحب إيلة ، وقيل كانت عند صاحب دومة الجندل[8].

أخوته وزوجاته وأولاده

وله من الأخوة أبو جعفر المنصور لأمّ ولد ، وإبراهيم بن محمد ، وموسى بن محمد ، وهما لأم ولد ، ويحيى بن محمد ، والعالية ، أمّهما أمّ الحكم بنت عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، والعبّاس بن محمد لأم ولد[9] ، أما

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ١٢/٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٥٧/٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ٦٢/٣.

(٣) ابن قتيبة، المعارف ٣٧٢/١ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٣١٣/٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٣١/٧.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ٣٧٣/٢.

(٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٧٩.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٣٦/١١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢٩٩/٧.

(٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ١٥٨/٤ -١٥٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٩٥/١.

(٩) ابن سعد، الطبقات، ٣٨٢/٥ ؛ الزبيري، نسب قريش، ص ٣١ ؛ ابن قتيبة، المعرف، ٣٧٦/١ -٣٧٧ ؛ مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص ٢٣٤.

أخوته لأمه وأبيه فهم: عبيد الله وداود وميمونة[1] وذكر ابن سعد ريطة بدل ميمونة[2] ، وكان أبو العباس أصغر من أخيه أبي جعفر المنصور[3].

أما أزواجه فرويَ أنه الوحيد من خلفاء بني العباس لم يتسر ، ولم يتزوج إلا بواحدة وهي أمّ سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد اللّه بن الوليد بن المغيرة المخزومية ، وحكى المسعودي قصة زواجه من أمّ سلمة قال: (كانت أمّ سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد اللّه بن الوليد بن المغيرة المخزومي عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، فهلك عنها ، ثم كانت عند هشام فهلك عنها ، فبينا هي ذات يوم جالسة إذ مر بها أبو العباس السفاح ، وكان جميلاً وسيماً

فسألت عنه ، فنسب لها ، فأرسلت له مولاةً لها تعرض عليه أن يتزوجها ، وقالت لها: قولي له هذه سبعمائة دينار أوجه بها إليك ، وكان معها مال عظيم وجوهر وحشم ، فأتته المولاة فعرضت عليه ذلك ، فقال: أنا مُملقُ لا مال عندي ، فدفعت إليه المال ، فأنعم لها ، وأقبل إلى أخيها فسأله التزويج فزوجه إياها ، فأصدقها خمسمائة دينار ، وأهدى مائتي دينار ، ودخل عليها من ليلته ، وإذا هي عَلَى مَنَصَّة ، فصعد عليها ، فإذا كل عضو منها مكلل بالجواهر فلم يصل إليها ، فدعت بعضٍ جواريها فنزلت وغيرت لبسها ولبست ثياباً مصبغة وفرشت له فراشاً عَلَى الأرض دون ذلك ، فلم يقدر يصل إليها ، فقالت: لا يضرك هذا ، كذلك الرجال كان يصيبهما مثل ما أصابك ، فلم تزل به حتى وصل إليها من ليلته ، وحَظيت عنده ، وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى ، فولدت منه محمداً ورَيْطَة ، وغَلبت عليه غلبة شديدة ، حتى ما كان يقطع أمراً إلاَ بمشورتها وبتأميرها حتى أفضت الخلافة إليه ، فلم يكن يدنو إلى النساء غيرها لا إلى حرة ولا إلى أمة ، ووفى لها بما حلف أن لا يغيرها ، فلما كان ذات يوم في خلافته خلا به خالد بن صفوان[4] فقال: يا أمير المؤمنين ، إني

(١) المسعودي، مروج الذهب، ١٨٢/٣.

(٢) الطبقات، ٣٨١/٥.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٣٦/١١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٦٧/٨.

(٤) خالد بن صفوان بن الأهتم المنقري البصري كان فصيحاً بليغاً دخل على العديد من=

إني فكرت في أمرك ، وسعة ملكك ، وقد مَلَّكْتَ نفسك امرأة واحدة واقتصرت عليها ، فإن مَرَضت مرضت ، وإن غابت غبت ، وحرمت نفسك التلذذ باستظراف الجواري ومعرفة أخبار حالاتهن والتمتع بما تشتهي منهن فإن منهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغَيْداء ، وإن منهن البَضَّة البيضاء ، والعتيقة الأدْمَاء ، والدقيقة السمراء ، والبربرية العَجْزاء ، من مولدات المدينة تفتن بمحادثتها ، وتلذ بخلوتها ، وأين أمير المؤمنين من بنات الأحرار والنظر إلى ما عندهن وحسن الحديث منهن ، ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء ، والسمراء واللعساء[1] ، والصفراء العجزاء ، والمولدات من البصريات والكوفيات ، ذَوَات الألسن العَذبة ، والقدود[2] المهذهفة ، والأوساط المخصرة ، والأصداغ المُزَرْفَنَة ، والعيون المكحلة ، والثدي المحققة وحسن زيهن وزينتهن وشكلهن ، لرأيت شيئاً حسناً ، وجعل خالد يجيد في الوصف ، ويكثر في الإطناب بحلاوة لفظه وجودة وصفه ، فلما فرغ كلامه قال له أبو العباس: ويحك يا خالد ما صَكَّ مسامعي والله قط كلام أحسن مما سمعته منك ، فأعِدْ علي كلامك فقد وقع مني موقعاً ، فأعاد عليه كلامه خالد أحسن مما ابتدأه ، ثم انصرف ، وبقي أبو العباس مفكراً فيما سمع منه ، فدخلت عليه أمّ سلمة امرأته ، فلما رأته مفكراً مغموماً قالت: إني لأنكرك ياأمير المؤمنين ، فهل حَدَث أمر تكرهه ، أو أتاك خبر فارتَعْتَ له ، قال: لم يكن من ذلك شيء ، قالت: فما قصتك ، فجعل ينزوي عنها ، فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد له ، فقالت: فما قُلْت لابن الفاعلة ، قال لها: سبحان الله ينصحني وتشتمينه ، فخرجت من عنده مُغْضَبة ، وأرسلت إلى خالد جماعة من النجارية[3] ومعهم الكامر كوبات ، وأمرتهم أن لا يتركوا منه عضواً صحيحاً ، قال

=الخلفاء مثل سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك وأبي العباس السفاح، ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٩٤ -١٧٧.

(١) اللعساء من اللعس وهو سواد مستحسن في الشفة واللثة، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٤٨٠/١٦ (مادة لعس).

(٢) القد وهو القامة، وجارية حسنة القد أي القامة، ينظر: الزبيدي، تاج العروس١٣/٩ (مادة قدد).

(٣) فرقة من إتباع أم سلمة المخزومية زوجة أبو العباس السفاح، ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٧٣/١٠.

خالد: فانصرفت إلى منزلي ، وأنا على السرور بما رأيت من أمير المؤمنين ، وإعجابه بما ألقيته إليه ، ولم أشك أن صلته ستأتيني ، فلم ألبث حتى صار إلى أولئك النجارية وأنا قاعد على باب داري ، فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوى أيقنت بالجائزة والصلة ، حتى وقفوا عَلَيَّ ، فسألوا عني ، فقلت: ها أنا ذا خالد ، فسبق إلى أحدهم بهَرَاوة كانت معه فلما أهْوَى بها اليّ وَثَبْتُ فدخلت منزلي ، وأغلقت الباب عَلَيّ ، واستترت ، ومكثت أياماً على تلك الحال لا أخرج من منزلي ، ووقع في خَلَدِي إني أوتيت من قبل أمّ سَلَمة ، وطلبني أبو العباس طلباً شديداً ، فلم أشعر ذات يوم إلاّ بقوم قد هجموا عليّ ، وقالوا: أجب أمير المؤمنين ، فأيقنت بالموت ، فركبت وليس عليَّ لحم ولا دم ، فلم أصل إلى الدار حتى استقبلني عدة رسل ، فدخلت عليه فألفيته خالياً ، فسكنت بعض السكون ، فسلمت فأومأ اليّ بالجلوس ، ونظرت فإذا خلف ظهري باب عليه ستور قد أرخيت ، وحركة خلفها ، فقال لي: يا خالد ، لم أرك منذ ثلاث ، قلت: كنت عليلاً يا أمير المؤمنين ، قال: ويحك إنك كنت وصفت لي في آخر دَخْلة من أمر النساء والجواري ما لم يخرق مسامعي قط كلام أحسن منه ، فأعده عليَّ ، قلت: نعم يا أمير المؤمنين ، أعلمتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر ، وأن أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة إلاّ كان في جَهْد ، فقال: ويحك لم يكن هذا في الحديث ، قلت: بلى واللّه يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء كأثافِيَ القدرِ يُغْلَى عليهن ، قال أبو العباس: برئت من قرابتي من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، إن كنت سمعت هذا منك في حديثك ، قال: وأخبرتك أن الأربعة من النساء شر مجموع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه ويسقمنه ، قال: ويلك واللّه ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت ، قال خالد: بلى واللّه ، قال: ويلك وتكذبني ، قال: وتريد أن تقتلني ياأمير المؤمنين ، قال: مُرّ في حديثك ، قال: وأخبرتك أن أبكار الجواري رجال ، ولكن لا خصي لهنَّ ، قال خالد: فسمعت الضحك من وراء الستر ، قلت: نعم وأخبرتك أيضاً أن بني مخزوم رَيْحَانَةُ قريش ، وأن عندك ريحانة من الرياحين ، وأنت تطمح بعينك إلى حرائر النساء وغيرهن من الإِماء ، قال خالد: فقيل من وراء الستار: صدقت واللّه يا عمّاه وبَرِرْتَ ، بهذا حَدَّثْتَ

أمير المؤمنين ، ولكنه بدل وغير ونطق عن لسانك ، فقال لي أبو العباس: مالك قاتلك اللّه وأخزاك وفعل بك وفعل ، قال: فتركته وخرجت وقد أيقنت بالحياة ، قال خالد: فما شعرت إلاّ برسل أمّ سلمة قد صاروا إليَّ ومعهم عشرة آلاف درهم وتَخْتٌ وبرذون وغلام)[1].

إلا أن ابن سعد أشار إلى أن لأبي العباس زوجة أخرى وهي أمّ كلثوم بنت الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وولدت له غلامين هلكا صغيرين[2] ، وهذه الرواية تدحض تفرد أمّ سلمة المخزومية به ، إلا اللّهم يقال إنها غلبت عليه فربما يعود ذلك لغناها.

وله من الأولاد ابن يقال له محمد مات ببغداد وابنة يقال لها ريطة[3] دفعها أبو العباس إلى أمّ خالد بن يزيد زوجة خالد بن برمك فأرضعتها بلبان ابنتها أمّ يحيى فيما تولت أمّ سلمة زوجة أبي العباس رضاع أمّ يحيى بنت خالد بلبان ابنتها ريطة[4] التي تزوجها فيما بعد الخليفة المهدي[5] ، قال البلاذري: له من الولد: (مُحَمَّد والعباس وعلي وإبراهيم وإسماعيل ، درج هَؤُلاءِ الأربعة ، وريطة ، وأمّهم أمّ سلمة بنت يعقوب بْن سَلَمَةَ بْن عَبْد اللَّه بْن الْوَلِيد بْن الْوَلِيد بْن المغيرة الْمَخْزُومِيّ ، فأما ريطة فتزوجها مُحَمَّد بْن عَبْداللَّه بْن عَلِي المخالف لأبي جَعْفَر فتوفي قبل أن يجتمعا ، فتزوجها مُحَمَّد فولدت له عليّا وعبد الله ابني المهدي ، وكانت ريطة من أشد النَّاس قوةً وبطشاً)[6].

(١) مروج الذهب، ٣/ ١٨٩ -١٩١.

(٢) الطبقات، ٤٤٣/٥.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ٣٧٣/٢.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٨٢/٦.

(٥) الزبيري، نسب قريش، ص ٣٣٠ ؛ ابن قتيبة، المعارف، ٣٧٣/٢.

(٦) انساب الأشراف، ١٨٠/٤.

صفته وبعض أقواله

قال البلاذري: (كَانَ أَبُو الْعَبَّاس طويلًا أبيض أقنى ذا شعر أسود جعد حسن اللحية جعدها)[1] ، وقال المسعودي: كان (طويلاً أبيض أقنى ، حسن الوجه ، جعد الشعر ، له وفرة ، سديد الرأي ، ماضي العزيمة ، كريم الأخلاق ، متألفاً للرجال ، سمحاً بالأموال ، يهون عليه أن يأمر بسفك دماء عالم من أعدائه من غير أن يعاين ذلك)[2] ، وقال المقدسي: (كان أبو العباس رجلاً طوالاً أبيض اللون حسن الوجه)[3] ،ووصفه ابن العبري بالقول: (كان أبو العباس رجلاً طويلاً أبيض اللون حسن الوجه يكره الدماء ويحامي على أهل البيت)[4] ، وكان جميلاً تعلوه صفرة[5] ، ذا شعرة جعدة ، طويلاً أبيض أقنى الأنف حسن الوجه واللحية[6].

أما روايته ، فذُكر أنه لم يرو إلا حديثاً واحداً[7] ، ومن أقواله: (إذا عظمت القدرة قلت الشهوة ، وقلّ تبرع إلا معه حق مضاع ، وقال: إن من أدنياء الناس ووضعائهم من عدّ البخل حزماً ، والحلم ذلاً ، وقال: إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة ، والصبر حسن إلاّ على ما أوقع الدين وأوهن السلطان ، والأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة)[8].

وقال الصولي: (وكان السفاح أسخى الناس ، ما وعد عدة فأخرها عن وقتها ، ولا قام من مجلسه حتى يقضيها ، وقال له عبد الله بن حسن[9] مرة: سمعت بألف ألف

---

(١) أنساب الأشراف، ١٧٨/٤.

(٢) التنبيه والإشراف، ص ٢٩٣.

(٣) البدء والتاريخ، ٨٨/٦ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٣٤٨/٣.

(٤) تاريخ مختصر الدول، ص ١٢٠.

(٥) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٤٠٩.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٧١/٧ ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ١٤٢/١.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٩٩/٧.

(٨) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٩٢.

(٩) عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب أمّه فاطمة بنت الحسين السبط بن علي بن أبي طالب توفي في سجن الخليفة المنصور سنة ١٤٥ هـ/٧٦٢ م، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٣٨٦/٥ -٣٨٩.

درهم وما رأيتها قط ، فأمره بها فأحضرت ، وأمر بحملها معه إلى منزله)[1] ، وزاد ابن الجوزي قال: (فلما قبض المال استأذنه في الخروج إلى المدينة ، فأذن له ودفع إليه مالاً ليقسمه على بني هاشم بالمدينة ، فلما قسمه أخذوا يشكرون أبا العباس ، فقال عبد الله: هؤلاء أحمق الناس ، يشكرون من أعطاهم بعض حقهم ، فبلغه ذلك فأخبر أهله ، فقالوا: أدبه ، فقال: من شدد أنفر ، ومن تراخى ألف ، والعفو أقرب للتقوى ، والتغافل من فعل الكرام)[2].

ودخل عليه عبد الله بن الحسن بن الحسن(فقال: ياأمير المؤمنين: أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف ، قال: فأشفق الناس من أن يعجل السفاح بشيء إليه ، ولا يريدون ذلك في شيخ بني هاشم في وقته أو يعي بجوابه فيكون ذلك عاراً عليه ، قال: فأقبل عليه غير مغضب ولا مزعج ، فقال: إن جدك علياً- وكان خيراً مني وأعدل- ولي هذا الأمر فما أعطى جديك الحسن والحسين- وكانا خيرا منك- شيئاً ، وكان الواجب أن أعطيك مثله ، فإن كنت فعلت فقد أنصفتك ، وإن كنت زدتك فما هذا جزائي منك ، قال: فما رد عبد الله جواباً ، وانصرف الناس يعجبون من جوابه له)[3].

وكتب إلى عامله إلى المدينة قائلاً: (قربني من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ جيرانه ، وإكرام أهل بيته ، ولا تسلط هواك فيما وجب إسخاطي ، فإن الله شاهدي وأنت المأخوذ بالتقصير)[4].

وأشار اليعقوبي أن أبا العباس كان(كريماً حليماً جواداً وصولاً لذوي أرحامه ، حدثني محمد بن علي بن سليمان النوفلي عن جده سليمان قال: دخلنا على أبي العباس جماعة من بني هاشم فأدنانا حتى أجلسنا معه ثم قال: يا بني هاشم!

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٩٢.

(٢) المنتظم، ٣٠٠/٧.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٠/٧ ؛ ينظر أيضاً: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٣٦/١١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٦٨/٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٠/٧ -٣٠١.

احمدوا الله إذ جعلني فيكم ولم يجعلني بخيلاً ولا حسوداً)[1].

وكان أبو العباس السفاح يحب مسامرة الرجال ويأنف من الجواري ، قال المسعودي: (لمِ يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبي العباس السفَّاح وكان كثيراً ما يقول: إنما العجب ممن يترك أن يزداد علماً ، ويختار أن يزداد جهلاً ، فقال له أبو بكر الهذلي: ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين ، قال: يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك ، ويدخل إلى امرأة أو جارية ، فلا يزال يسمع سخفاً ، ويروي نقصاً ، فقال له الهذلي: لذلك فضلكم اللّه على العالمين ، وجعل منكم خاتم النبيين)[2].

وكان أبو العباس يكره السعاية ، قال المسعودي: (كان إذا تعادى رجلان من أصحابه وبطانته لم يسمع من أحدهما في الآخر شيئاً ولم يقبله ، وإن كان القائل عَدْلاً في شهادته ، وإذا اصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه ، ويقول: إن الضغينة القديمة تولد العداوة المُمِضَّة ، وتحمل على إظهار المسالمة ، وتحتها الأفعى التي إذا تمكنت لم تُبْقِ)[3].

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه: الله ثقة عبدالله وبه يؤمن[4] ، وقيل كان نقشه: (الله ثقة عبد الله)[5].
الله)[5].

ألقابه:

أشارت العديد من المصادر إلى أنه كان يلقب بالسفاح[6] ، (وقيل: إنما لقب

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ٩٥/٣.

(٢) مروج الذهب، ١٩١/٣.

(٣) مروج الذهب، ١٩١/٣ -١٩٢.

(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٤ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٦١ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٩٢.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٩٩/٧.

(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٨٦/٣ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ١٨٢/٢ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٣٦/١١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢٩٦/٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٥٧/٤ ؛ الذهبي،

بالسفاح لما سفح من دماء المبطلين)[1] ، وقال المسعودي إنه لقب أول الأمر بالمهدي[2] ، ولقبه المطهر المقدسي بقوله: (هو أبو العباس أمير المؤمنين المرتضى بن محمد بن علي السجاد ذي الثفنات بن عبد الله الحبر بن العباس ذي الرأي بن عبد المطلب)[3] ، وقال الخطيب البغدادي: (يكنى أبا العباس ، ويقال له أيضاً: المرتضى والقائم)[4] ، وقال ابن الجوزي: (وكان يقال له: السفاح ، والمرتضى ، والقائم ، وهو أول من تلقب من بني العباس)[5] ، وروي في حديث ضعيف عن ابن عباس أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: (مِنَّا السَّفَّاحُ وَالْمَنْصُورُ وَالْمَهْدِيُّ)قال ابن الجوزي: هذا لا يصح عن رسول الله﴿ﷺ﴾ [6] ، وفي رواية عن العباس بن عبد المطلب(أن النبي﴿ﷺ﴾ نَظَرَ إِلَيْه مُقْبلا ، فَقَالَ: هَذَا عَمِّي أَبُو الْخُلَفَاء الأَرْبَعِينَ أَجْوَدُ قُرَيْش كَفًّا وَأَحْمَاهَا مِنْ وَلَده السَّفَّاحُ وَالْمَنْصُورُ وَالْمَهْدِيُّ يَا عَمِّ بِي فَتَحَ اللَّهُ ابْتِدَاءَ هَذَا الأَمْرِ وَيَخْتِمُهُ بِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِكَ)قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع[7].

وفاته:

روي أن أبا العباس السفاح نظر(يوماً في المرآة ، وكان أجمل الناس وجهاً ، فقال: اللّهم إني لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك: أنا الملك الشاب ، ولكني أقول: اللهم عمّرني طويلاً في طاعتك ممتعاً بالعافية ، فما استتم كلامه حتى سمع غلاماً يقول لغلام آخر الأجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام ، فتطيّر من كلامه وقال:

تاريخ الإسلام، ٨/٣٣٥.

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٧/٢٩٨.

(٢) التنبيه والإشراف، ص ٢٩٢.

(٣) البدء والتاريخ، ٦/٨٨.

(٤) تاريخ بغداد، ١١/٢٣٦.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٧/٢٩٨.

(٦) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، ١/٢٩٠، وورد في لفظ مطول، ١/١٩١ قال ابن الجوزي: لا يصح إسناده، وقال: قال عنه ابن معين: هذا حديث منكر.

(٧) الموضوعات، ٢/٣٧ ؛ ينظر أيضاً: السيوطي، اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١/٣٩٧ .

حسبي الله ولا قوة إلا بالله عليك توكلت ، وبك أستعين ، فما مضت الأيام حتى أخذته الحمى ، واتصل مرضه ، فمات بعد شهرين وخمسة أيام)[1].

ومات السفاح بالجدري في١٣ وقيل١٢ من ذي الحجة سنة١٣٦ هـ/٧٤٣م[2] ، ولما اشتدت علته قدم عليه وفدان أحدهما من السند والآخر من إفريقية فلما بلغه قدومهما قال: أنا ميت بعد ثلاث ، قال عمّه عيسى بن علي العباسي: فقلت: (بل يطيل الله بقاءك فقال: حدثني أخي إبراهيم عن أبي وأبيه عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده: أنه يقدم عليّ في مدينتي هذه في يوم واحد وافدان: أحدهما وافد السند والآخر وافد أهل إفريقية فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة أيام حتى أغيب في لحدي ويورث الأمر بعدي ، ثم نهض وقال: لا ترم مكانك حتى أخرج إليك ، قال: فلم أزل بمكاني حتى سلم المؤذنون في وقت صلاة العصر بالخلافة فخرج إلى رسوله يأمرني بالصلاة بالناس فدخلت فلم يخرج إلى أن سلم المؤذنون لوقت صلاة العشاء فخرج إلى رسوله يأمرني بالصلاة بالناس ففعلت ذلك ثم أتيت مكاني إلى إدراك الليل فلما فرغت من قنوتي خرج إليّ ومعه كتاب معنون: من عبد الله ووليه إلى آل رسول الله(صلى الله عليه وسلم) والأولياء وجميع المسلمين ، ثم قال: يا عمّ إذا خرجت نفسي فسجني بثوبي واكتم موتي حتى يقرأ هذا الكتاب على الناس فإذا قُرئ فخذ ببيعة المسمى فيه فإذا بايع الناس فخذ في أمري وجهزني وصل عليّ وادفني ، فقلت: ياأمير المؤمنين فهل وجدت علّة فقال: وأية علة أقوى من الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما كَذبتُ ولا كَذبتُ ولا كُذبتُ ، خذ هذا الكتاب وامض راشداً ، واعتل من ليلته وتوفي يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦ وهو ابن ست وثلاثين سنة وقيل: لم يبلغ تلك السن ، وذلك أنه ولد في سنة ١٠٥ في أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان وصلى عليه إسماعيل بن علي وقيل عيسى بن علي

---

(١) **الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٣٦/١١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٠/٥.**

(٢) **ابن حبيب المحبر، ص ٣٤ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٧٠/٧ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٣٤٨/٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٩٢.**

ودفن في الأنبار في قصره)[1].

وأضاف الخطيب البغدادي أن عيسى بن علي العباسي عمّ الخليفة أبي العباس قال: دخلت على أبي العباس في مرضه فقلت: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَدْتَ شَيْئًا؟ فَأَنْكَرَ عَلَيَّ قولي وكشر فِي وَجْهِي وَقَالَ: يَاسُبْحَانَ اللَّه ، أَقُولُ لَكَ إِنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّهُ يَمُوتُ ، وَتَسْأَلُنِي عَمَّا أَجِدُ ، لا تَعُدْ لمثْلِ هَذَا ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْه عَشيَّةَ يَوْمِ الْعيد ، وَكَانَ أَحْسَنَ مَنْ عَايَنْتُهُ عَيْنَايَ وَجْهًا ، فَرَأَيْتُهُ وَقَدْ حَدَثَتْ فِي وَجْهه وَرْديَّةٌ لَمْ أَكُنْ أَعْهَدُهَا فَزَادَتْ وَجْهَهُ جَمَالاً ، ثم بصرت بإحدى وجنتيه حَبَّةً مثْلَ حَبَّة الْخَرْدَل ، بَيْضَاءَ ، فَارْتَبْتُ بهَا ، ثُمَّ صَوَّبْتُ نَظَرِي إِلَى الْوَجْنَة الأُخْرَى فَوَجَدْتُ فيهَا حَبَّةً أُخْرَى ، ثُمَّ أَعَدْتُ نَظَرِي إِلَى الوجنة التي عاينتها بدئا فرأيت الحبة قد صارت اثنتين ، ثُمَّ لَمْ أَزَلْ أَرَى الْحَبَّ يَزْدَادُ حَتَّى رَأَيْتُ فِي كُلِّ جَانب منْ وَجْنَتَيْه مثْلَ الدِّينَار مقْدَارًا حَبًّا أَبْيَضَ صغَارًا ، فَانْصَرَفْتُ وَهُوَ عَلَى هَذه الْحَالَة ، وَغَلَسْتُ غَدَاةَ الْيَوْمِ الثَّاني من أيام التَّشْريق ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ هَجَرَ وَذَهَبَتْ عَنْهُ مَعْرِفَتي وَمَعْرِفَةُ غَيْري ، فَخَرَجْتُ إِلَيْه بالْعَشيِّ فَوَجَدْتُهُ قَدْ صَارَ مثْلَ الزِّقِّ الْمَنْفُوخ ، وَتُوُفِّيَ فِي الْيَوْمِ الثَّالث منْ أَيَّام التَّشْريق ، فَسَجَّيْتُهُ كَمَا أَمَرَني ، وَخَرَجْتُ إِلَى النَّاس وَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْكتَابَ ، وَكَانَ فيه: منْ عَبْد اللَّه أَمير الْمُؤْمنينَ إِلَى الرَّسُول وَالأَوْليَاء وَجَميع الْمُسْلمينَ. أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَميرَ الْمُؤْمنينَ قَدْ قَلَّدَ الْخلافَةَ بَعْدَهُ عَلَيْكُمْ أَخَاهُ ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطيعُوا ، وَقَدْ قَلَّدَ الْخلافَةَ منْ بَعْد عَبْد اللَّه عيسَى بْنِ مُوسَى إِنْ كَانَ. ثُمَّ أَخَذْتُ الْبَيْعَةَ عَلَى النَّاسِ وَجَهَّزْتُهُ وَصَلَّيْتُ عَلَيْه وَدَفَنْتُهُ في الْيَوْمِ الثَّالثَ عَشَرَ منْ ذي الْحجَّة سَنَةَ ستٍّ وَثَلاثينَ ومائة)[2].

وفي مرضه زاره بعض عمومته فقالوا له: (كَيْفَ أصبح أمير الْمُؤْمنينَ؟ فَقَالَ الطبيب: أصبح صالحاً ، فسَلَتَ ذراعه بيده فتناثر لحمه وَقَالَ: كَيْفَ يَكُون صالحاً من هَذه حاله)[3].

وقيل عن سبب موته إن(الدم قَدْ هاج بأبي الْعَبَّاس فأشار عَلَيْه الأطباء بالفصد

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٩٨/٣.

(٢) تاريخ بغداد، ٢٤٠/١١ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٣٥٥/٧.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ١٧٩/٤.

فلم يقدم عَلَيْهِ فحُم ، ثُمَّ خرج به المُوم فمات بالأنبار)[1].

قال الطبري: (واختلف في مبلغ سنه يوم وفاته ، فقال بعضهم: كان له يوم توفي ثلاث وثلاثون سنة ، وقال هشام بن محمد: كان يوم توفي ابن ست وثلاثين سنة ، وقال بعضهم: كان له ثمان وعشرون سنة ، وكانت ولايته من لدن قتل مروان بن محمد إلى أن توفي أربع سنين: ومن لدن بويع له بالخلافة إلى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر وقال بعضهم: وتسعة أشهر ، وقال الواقدي: أربع سنين وثمانية أشهر منها ثمانية أشهر وأربعة)[2]، وكان آخر ما تكلم به: (إليك يا رب لا إلى النار)[3].

قال الطبري: (وصلى عليه عمّه عيسى بْن علي ، ودفنه بالأنبار العتيقة في قصره. وكان- فيما ذكر- خلف تسع جباب ، وأربعة أقمصة ، وخمسة سراويلات ، وأربعه طيالسة ، وثلاثة مطارف خز)[4] ، ورثاه أبو دلامة[5] بقوله:

(من مجمل في الصبر عنك فلم يكن جزعي ولا صبري عليك جميلا

يجدون أبدالاً وإني عالم ما عشت دهري ما وجدت بديلا

إني سألت الناس بعدك كلهم فوجدت أجود من سألت بخيلا

فقالت له امرأة أبي العباس ما أصيب به غيري وغيرك ، فقال أبو دلامة وكان مزاحاً ولا سوء لك منه ولد ولا ولدي منه)[6].

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، ٤/١٧٨.

(2) تاريخ الرسل والملوك، ٧/٤٧٠ ؛ ينظر أيضا: المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٣.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ٤/١٧٩ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٦١.

(4) تاريخ الرسل والملوك، ٧/٤٧١ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٧/٣٥٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٤٩.

(5) أبو دلامة اسمه زيد بن الجون كان شاعراً مطبوعاً ظريفاً كثير النوادر رثى الخليفة السفاح والمنصور ومدح المهدي وتوفي سنة ١٦١ هـ/٧٧٧ م، ينظر: ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٥٤ -٦٣.

(6) المقدسي، البدء والتاريخ، ٦/٨٩.

٢ـ أبو جعفر المنصور
(١٣٦ -١٥٨ هـ/٧٥٣ -٧٧٤ م)

أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ولعل تسمية محمد بن علي العباسي ولديه أبو جعفر المنصور بعبد الله وأبو العباس السفاح بعبد الله بسبب وصية أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي الذي خاطبه قائلاً: (وأعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثية ، ثم عبد الله أخوه الذي هو أكبر منه)[١] ، كما أشار ابن عبد ربه إلى ذلك بقوله: (واعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثية ، ثم عبد الله أخوه ، ولم يكن لمحمد بن علي في ذلك الحين ولد يسمى عبد الله)[٢] ، وقد فُرق بينهما بالكنية ، أمّه أمّ ولد بربرية تدعى سلامة[٣] بنت بشير[٤] ، وقيل إنها مولدة من البصرة[٥] ، وقال ابن قتيبة إنها بربرية مولدة بالشراة[٦].

أما ولادته فقد اختلفت المصادر في ذلك فمنهم من قال إن أبا جعفر المنصور ولد سنة٩٠هـ/٧٠٩م[٧] ، ومنهم من جعل مولده سنة٩٣هـ/٧١٢م ، وذهبت رواية ثالثة إلى أنه

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٤١/٣.
(٢) العقد الفريد، ٢٢٠/٥.
(٣) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٤ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٤٤/١١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٤/٧
(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٠.
(٥) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٠.
(٦) المعارف، ٣٧٧/٢.
(٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٢٢/٣ إذ جعل وفاته سنة ١٥٨ هـ/٧٧٤ م وعمره ٦٨ سنة ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢٢٢/٣

ولد سنة٩٤هـ/٧١٣م[١] ورابعة بأن مولده سنة٩٥هـ/٧١٤م[٢] في ذي الحجة منها ، وهو الراجح بسبب إجماع المصادر على ذلك ، قال المسعودي: كان المنصور يقول: (كان مولد المنصور في السنة التي مات فيها الحجاج بن يوسف ، وهي سنة خمس وتسعين ، وكان يقول: ولدت في ذي الحجة ، وأعذرت في ذي الحجة ، ووليتَ الخلافة في ذي الحجة ، وأحسب المنية تكون في الحجة ، فكان كما ذكر)[٣] ، وكان مولده الحميمة بالشام[٤] ، وكانت أمّه تقول: (رأيت لّما حملت بأبي جعفر المنصور كأنَّ أسداً أسداً خرج من قُبُلي فأَقْعَى وزَار وضرب بذنبه ، فأقبلت إليه الأُسّدُ من كل ناحيةٍ ، فكلما انتهى إليه أسدٌ منها سَجَدَ له)[٥].

زوجاته وأولاده:

وولد لأبي جعفر المنصور محمد المهديّ وجعفراً أمّهما أمّ موسى أروى بنت منصور الحميريّة ومات ابنه جعفر قبل أبيه ، وصالحاً أمّه أمة يقال إنها بنت ملك الصّغد ، وسليمان ، وعيسى ، ويعقوب أمّهم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله ، والعالية أمّها من ولد خالد بن أسيد الأموي تزوجها في حياة أبيه ، فقال له أبوه: زوجتك يابني أشرف الناس ، العالية بنت أمير المؤمنين ، فقلت يا أباه: من أكفاؤنا ، قال: أعداؤنا بني أمية ، وجعفراَ الأصغر أمّه أمّ ولد كردية اشتراها فتسراها وكان يقال لابنها ابن الكردية ، والقاسم أمّه أمّ ولد تعرف بأم القاسم مات في حياة أبيه وله عشر سنين ، وعبد العزيز والعبّاس[٦] ، وكذلك تزوج ابنة عمّه حمادة بنت

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٤٢٩.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٤٢٩ قال: توفي وله من العمر ٦٢ سنة ؛ ابن قتيبة، المعارف، ٣٧٧/١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٩٣/٦ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢٢٢/٣ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٤/٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٥/٤.

(٣) مروج الذهب، ٢٢٢/٣ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٩٥/٥ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٧/٢.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٤٢٩.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ٢٠٥/٣ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٤/٧ ؛ ابن كثير، البداية البداية والنهاية، ١٣٠/١٠

(٦) ابن قتيبة، المعرف، ٢٧٨/١ -٢٧٩ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٠٢/٨ ؛ ابن الجوزي،=

عيسى بن علي بن عبدالله بن العباس ماتت في حياته ، وذكر ابن الساعي أن لما ماتت حمادة بنت عيسى وقف المنصور على قبرها ومعه أبو دلامة فأقبل المنصور على أبي دلامة قائلاً: (ياأبا دلامة ماذا أعددت لهذا المصرع؟ قال: حمادة بنت عيسى يا أمير المؤمنين ، فضحك القوم)[1].

قال الطبري: (وكان المنصور شرط لأمّ موسى الحميرية ألا يتزوج عليها ولا يتسرى ، وكتبت عليه بذلك كتاباً أكدته وأشهدت عليه شهوداً ، فعزب بها عشر سنين في سلطانه ، فكان يكتب إلى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز يستفتيه ، ويحمل إليه الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق فيعرض عليه الكتاب ليفتيه فيه برخصة ، فكانت أمّ موسى إذا علمت مكانه بادرته ، فأرسلت إليه بمال جزيل ، فإذا عرض عليه أبو جعفر الكتاب لم يفته فيه برخصة ، حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد ، فأتته وفاتها بحلوان ، فأهديت له في تلك الليلة مائة بكر ، وكانت أمّ موسى ولدت له جعفراً والمهدي)[2].

طلبه العلم قبل الخلافة:

كان المنصور قبل الخلافة جدّ في طلب العلم ، فذكر (أن المنصور في شبيبته كان يطلب العلم من مظانه والحديث والفقه فنال جانباً جيداً وطرفاً صالحاً)[3].

وفروي عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي أنه قال: (كنت أطلب العلم مع أبي جعفر أمير المؤمنين قبل الخلافة ، فأدخلني يوماً إلى منزله ثم قدم طعاماً ومريقة من حبوب ليس فيها لحم ، ثم قدم إليّ زبيباً ثم قال: يا جارية عندك حلواء؟ قالت: لا ، قال: ولا التمر؟ قالت: ولا التمر ، فاستلقى ثم تلى هذه الآية: (عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)[4] ، فلما وليّ الخلافة

=المنتظم، ٣٣٦/٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٩٨/٥.

(١) نساء الخلفاء، ص ٦٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨٦/٨ -٨٧.

(٣) البداية والنهاية، ١٣٤/١٠.

(٤) سورة الأعراف آية ١٢٩.

دخلت عليه ، فقال: ياعبدالرحمن ، بلغني أنك كنت تفد لبني أمية ، قال: قلت: أجل كنت أفد لهم وأفد إليهم ، قال: فكيف رأيت سلطاني من سلطانهم؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين ، والله ما رأيت من سلطانهم من الجور والظلم إلا رأيته في سلطانك ، تحفظ يوم أدخلتني منزلك فقدمت إلي طعاماً ومريقة من حبوب لم يكن فيها لحم ، ثم قدمت إليّ زبيباً ثم قلت: ياجارية عندك حلواء؟ قالت: لا ، قلت: ولا التمر ، قالت: ولا التمر. فاستلقيت ثم تلوت هذه الآية: (عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ في الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)فقد والله أهلك الله عدوك ، واستخلفك في الأرض ، فانظر ماذا تعمل ، قال: يا عبد الرحمن ، إنا لا نجد الأعوان ، قلت: يا أمير المؤمنين ، السلطان سوق نافق لو نفق عليك الصالحون لجلبوا إليك ، قال: فكأني ألقمته حجراً ، فلم يرد عليّ شيئاَ)[1].

صفته وبعض أقواله:

روى الخطيب البغدادي أن الخليفة المنصور كان (فتىً أسمر رقيق السمرة ، موفر اللمة ، خفيف اللحية ، رحب الجبهة ، أقنى الأنف بيّن القنى ، أعين كأن عينيه لسانان ناطقان ، تخالطه أبهة الملوك بزي النساك تقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرف الشرف في تواضعه ، والعتق في صورته ، واللب في مشيته)[2] ، وقال الذهبي: (كان يُخالط أبهة الملك بزي أولي النسك ، ذا حزمٍ وعزمٍ ودهاءٍ ورأي وشجاعة وعَقْل ، وفيه جبروت وظلم)[3].

فيما وصفه المطهر المقدسي بقوله: (كان رجلاً أسمر نحيفاً ، طويل القامة ، قبيح الوجه ، دميم الصورة ، ذميم الخلق ، أشح خلق الله ، وأشده حباً للدينار والدراهم ، سفاكاً للدماء ، ختاراً بالعهود ، غداراً بالمواثيق ، كفوراً بالنعم قليل الرحمة ، وكان جال في الأرض ، وتعرض للناس وكتب الحديث ، وحدث في المساجد ، وتصرف في

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٥٢/٢٤ -٣٥٣ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٩/٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٧٩/٩ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٩٩.

(٢) تاريخ بغداد، ٢٤٤/١١ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٥/٧ -٣٣٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٩٨/٥.

(٣) العبر في خبر من غبر، ١٧٧/١ ؛ سير أعلام النبلاء، ٥٢٦/٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٠/١٠.

الأعمال الدنية والحرف الشائنة ، وقاد القود لأهلها ، وضربه سليمان بن حبيب بالسياط ، في الجملة والتفصيل كان رجلاً دنياً خسيساً كريهاً شريراً)[1].

ووصفه ابن الطقطقي العلوي بقوله: (كان المنصور من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وعلمائهم ، وذوي الآراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة ، وقوراً شديد الوقار ، حسن الخلق في الخلوة ، من أشدّ الناس احتمالاً لما يكون من عبث أو مزاح ، فإذا لبس ثيابه وخرج إلى المجلس العامّ ، تغير لونه واحمرّت عيناه ، وانقلبت جميع أوصافه ، قال يوماً لبنيه: يا بنيّ: إذا رأيتموني قد لبست ثيابي وخرجت إلى المجلس ، فلا يدنونّ أحد منّي مخافة أن أعرّه بشيء ، قالوا: وكان المنصور يلبس الخشن وربّما رقع قميصه ، وقيل ذلك لجعفر بن محمّد الصادق- عليهما السّلام- فقال: الحمد للّه الّذي ابتلاه بفقر نفسه في ملكه ، قالوا: ولم يكن يرى في دار المنصور لهو ولعب أو ما يشبه اللهو واللّعب)[2].

وكان المنصور يقول: الملوك تحتمل كل شيء من أصحابها إلا ثلاثاً: إفشاء السر ، والتعرض للحرمة ، والقدح في الملك[3] ، وكان يقول: عقوبة الحليم التعريض ، وعقوبة السفيه التصريح[4].

ووصف بأنه كان(مبخّلاً يضرب بشحّه الأمثال ، وقيل كان كريماً: وإنه لّما حجّ أفضل على أهل الحجاز ، فكان يسمّون عامه عام الخصب ، والصّحيح أنّه كان رجلاً حازماً يعطي في موضع العطاء ، ويمنع في موضع المنع. وكان المنع عليه أغلب)[5].

ومن أقواله: (ما كان أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون أعفّ منهم ، قيل له: ومن هم يا أمير المؤمنين ، قال: هم أركان الملك ، ولا يصلح الملك إلّا بهم ، كما أنّ السرير لا يصلح إلّا بأربع قوائم إن نقصت قائمة واحدة لم تستقم ، أمّا

---

(١) البدء والتاريخ، ٩٠/٦ -٩١.

(٢) الفخري، ص ١٥٥.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨٨/٨ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٤٥٨/٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨٩/٨

(٥) ابن الطقطقي، الفخري، ص ١٥٧.

أحدهم فقاضٍ لا تأخذه في الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة يأخذ للضعيف من القويّ ، والثالث ، صاحب خراج يستقصي لي ولا يظلم الرعيّة ، فإنّي غنّى عن ظلمهم ، ثمّ عضّ على إصبعه السبّابة وقال: آه ، آه ، قيل له: يا أمير المؤمنين ، ومن هو؟ قال: صاحب بريد يكتب إليّ بخبر هؤلاء على الصّحة)[1].

ومن الأمور التي اخترعها في عهده ولم يسبقه أحد ما ذكره ابن الطقطقي العلوي فيه: (واعلم أنّ المنصور هو الّذي أصّل الدّولة ، وضبط المملكة ، ورتّب القواعد وأقام النّاموس ، واخترع أشياء ، فمن جملة ما اخترع: فرس النّوبة [2] ، ولم يكن الملوك قبله يعرفون ذلك ،... ، ومن جملة ما اخترع: عمل الخيش الكتّان في الصّيف ، ولم يكن الناس قبله يعرفون ذلك ، وكان الأكاسرة يطيّنون كلّ يوم من أيّام الصّيف بيتا يسكنونه ، ثمّ في الغد يطيّن بيت آخر)[3] ، وكان لا يتخلف عن صلاة الفجر وعندما يخرج من مقصورة النساء يريد المسجد كانت تخرج معه جارية حبشية تحمل له سراجاً[4].

نقش خاتمه: (اللَّه ثقة عبد اللَّه وبه يؤمن)[5].

ألقابه:

كان المنصور يلقب في صغره بمدرك التراب[6] ربما لسرعة إدراكه وفطنته ، وبالطويل[7] ، وعبد الله الطويل[8] ، ولعل ذلك لطول قامته ، كما كان يلقب في صغره

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ٤٥٤/٣ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٤٧/٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٠٠/٥ -٢٠١.

(٢) كان سببه أن الراوندية لما أحاطوا بقصره طلب دابة يركبها فلم يجد فخرج ماشياً، فمنذ ذلك الوقت ارتبط فرساً يكون معه في قصره على الدوام فسمي فرس النوبة، وقلده على ذلك من جاء بعده، ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠/٨.

(٣) الفخري، ص ١٥٦.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ١٩١/٤

(٥) المسعودي، التنبيه والإشراف٢٩٦ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٤٤/١١.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء٥٢٦/٦ ؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ٣٢٤/٢.

(٧) الدياربكري، تاريخ الخميس، ٣٢٤/٢

(٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ١٨٣/٤.

بمقلاص ، أما عن سبب هذا اللقب فقد ذكر المنصور ذلك قال: (كنا بناحية الشراة في زمان بني أمية على الحال التي تعلم ، فكنت ومن كان في مقدار سنّي من عمومتي وأخوتي نتداعى ونتعاشر ، فبلغت النوبة إليّ يوماً من الأيام وما أملك درهماً واحداً فما سواه ، فلم أزل أفكر وأعمل الحيلة إلى أن أصبت غزلا لداية كانت لي فسرقته ثم وجهت به فبيع واشتري بثمنه ما احتجت إليه وجئت إلى الداية فقلت لها: افعلي كذا واصنعي كذا ، قالت: ومن أين لك ما أرى؟ قلت: اقترضت دراهم من بعض أهلي ، ففعلت ما أمرتها به ، فلما فرغنا من الأكل جلسنا للحديث ، طلبت الغزل فلم تجده ، فعلمت أني صاحبه ، وكان في تلك الناحية لصّ يقال له مقلاص شهر بالسرقة ، فجاءت إلى باب البيت الذي كنا فيه فدعتني فلم أخرج إليها لعلمي أنها قد وقفت على ما عملت ، فلما ألحت وأنا لا أخرج قالت: اخرج يا مقلاص! الناس يتحرزون من مقلاصهم ومقلاصي معي في البيت ، فمزح معي أخوتي وعمومتي بهذا اللقب ساعة)[1] ، وقال ابن الابار لقب بمقلاص(تَشْبِيها بالمقلاص من الْإِبِل وَهِي النَّاقة الَّتِي تسمن فِي الصَّيف وتهزل فِي الشتَاء وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُو جَعْفَر)[2].

وبعد الخلافة كان يقال له فحل بني العباس[3] أبو الدوانيق[4] لتدنيقه ومحاسبته الصناع لما أنشأ بغداد[5] ، وكذلك لقب بالمنصور بعد مقتل محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[6].

وفاته:

(كانت وفاة المنصور ببئر ميمون على أميال من مكة يوم السبت لست ليال خلون من ذي الحجة سنة١٥٨ وله ثلاث وستون سنة ، ودفن بالحرم ، وكانت خلافته

(١) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٨٥.
(٢) الحلة السيراء، ٣٣/١.
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٢٦/٦.
(٤) المقدسي، البدء والتاريخ، ٩١/٦.
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٢٦/٦.
(٦) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٥.

إحدى وعشرين سنة ، واحد عشر شهراً ، وعشرين يوماً)[1].

وروي عن عبد العزيز بن مسلم—وهو من المقربين من المنصور— قال: دخلت على المنصور فرأيته باهت لا يحير جواباً ، فسألته عن ذاك فقال: رأيت في المنام رجلاً ينشدني هذه الأبيات:

أَأُخَيَّ خَفِّضْ مِنْ مُنَاكَا	فَكَأَنَّ يَوْمَكَ قَدْ أَتَاكَا
وَلَقَدْ أَرَاكَ الدَّهْرَ مِنْ	تَصَرُّفَيْهِ مَا قَدْ أَرَاكَا
فَإِذَا أَرَدْتَ النَّاقِصَ الْ	عَبْدَ الذَّلِيلَ، فَأَنْتَ ذَاكَا
مُلِّكْتَ مَا مُلِّكْتَهُ	وَالْأَمْرُ فِيهِ إِلَى سِوَاكَا[2]

بعدها خرج إلى مكة ، فلما غادر الكوفة عرض له وجعه الذي مات فيه ، فلما اشتد وجعه قال للربيع[3]: (بادِرْني حرم ربي هرباً من ذنوبي)[4] ، فعرض له وجع ببئر ميمون هاض له بطنه ، ثم انقض كوكب في إثره إلى طلوع الشمس ، ولما وصل إلى آخر منزل من منازل مكة نظر إلى صدر البيت مكتوباً فيه:

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت	سنوك وأمر الله لا بد واقع
أبا جعفر هل كاهن أو منجم	بحيلته عنك المنية دافع

فأحضر متولي البيت وقال له: ألم أخبرك ألاّ يدخل أحد المنازل ، فقال له: والله ما دخلها أحد ، فقال له المنصور اقرأ في صدر البيت ، فقال: ما أرى شيئاً ، فأحضر آخر فقال: ما أرى شيئاً ، فقال المنصور: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)[5] ثم رحل عن المنزل متطيراً[6].

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٥

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٩٤/٥.

(٣) وهو الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان حاجب المنصور وعاش إلى أيام الخليفة الهادي حيث قتل مسموماً، ينظر: ابن الطقطقي، الفخري، ص ١٧٧ –١٧٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٩٧/٥.

(٥) سورة الشعراء، آية ٢٢٧.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٩٨/٥.

وروي أن المنصور لما احتضر قال: (اللَّهُمَّ إِنِّيْ قَدِ ارْتَكَبتُ عَظَائِمَ جُرْأَةً مِنِّي عَلَيْكَ ، وَقَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الأشياء إليك شهادة أن لا إله إلَّا اللهُ مَنّاً مِنْكَ لاَ مَنّاً عَلَيْكَ)[1].

وروى المأمون عن سرية كانت مع المنصور عندما احتضر قالت: (ما زال يَقُول: أَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شريك له لَهُ الملكُ وَلَهُ الحمد يُحيى ويُميت وَهُوَ حي لا يموت بيده الخير وَهُوَ عَلَى كل شيء قدير وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ يعيد ذَلِكَ ويهلل ويكبر ويُلبّي حَتَّى قبض ، فغمضه الرَّبِيع وشد لحيته بعصابة)[2].

فلما وصل إلى بئر ميمون مات مع السحر لست في٦ ذي الحجة لسنة١٣٦هـ/ ، وروى محمد بن علي النوفلي عن أبيه وكان قد حضر موت المنصور قال: (..فدخلنا فإذا نحن بالمنصور على سريره في أكفانه ، مكشوف الوجه ، فحملناه حتى أتينا به مكة ثلاثة أميال ، فكأني أنظر إليه أدنو من قائمة سريرة نحمله ، فتحرك الريح ، فتطير شعر صدغيه ، وذلك أنه كان قد وفر شعره للحلق ، وقد نصل خضابه)[3]، ثم (فرغوا منه العصر ، وكفّن ، وغطّي وجهه وبدنه ، وجعل رأسه مكشوفاً لأجل إحرامه ، وصلّى عليه عيسى بن موسى ، وقيل إبراهيم بن يحيى بن محمّد بن عليّ بن عبد اللَّه بن عبّاس ، ودفن في مقبرة المعلاة ، وحفروا له مائة قبر ليغمّوا على النّاس ، ودفن في غيرها ، ونزل في قبره عيسى بن عليّ ، وعيسى بن محمّد ، والعبّاس بن محمّد ، والربيع والرّيّان مولياه ، ويقطين ، وكان عمره ثلاثاً وستّين سنة ، وقيل أربعا وستّين ، وقيل ثمانياً وستّين سنة ، فكانت مدّة خلافته اثنتين وعشرين سنة إلّا أربعة وعشرين يوماً ، وقيل إلّا ثلاثة أيّام ، وقيل إلّا يومين)[4] ، وخلف من الصامت تسع مائة ألف ألف درهم وستين ألف ألف درهم سوى سائر الأصناف ولم يروا منها بشيء[5].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٢٨/٦.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٧٢/٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١١٢/٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢١/٦ -٢٢.

(٥) المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ٩٢/٦.

روى أن المنصور كان لا يستمريء طعامه ويشكو إِلَى المتطببين ويسألهم أن يتخذوا لَهُ الجوارشنات[1] ، وكانوا يكرهون ذلك ويأمرونه أن يقل من الطعام ، ويخبرونه أن الجوارشنات تهضم ، ولكنها تحدث من العلل مَا هو أشد عليه ، فَقَالَ أحدهم: لا يموت أَبُو جَعْفَر إلا بالبطن ، فقيل له: وما علمك ؟ فقال: هو يأخذ الجوارش فيهضم طعامه ويحلق من رأس معدته كل يوم شيئاً وشحم مصارينه فيموت ببطنه ، وَقَالَ: أضرب لذلك مثلاً أرأيت لو أنك وضعت جرة فِي موضع وضعت تحتها آجرة جديدة فقطرت إنما كَانَ قطرها يثقب الآجرة عَلَى طول الدهر ، فمات بالبطن)[2].

ورثاه بعض من حضر فقال:

قَفَل الحجيجُ وخلّفوا ابْن مُحَمَّد ... رهنًا بمكة فِي الضريح الملحد

شهدوا المناسك كلها وإمامُهم ... تحت الصفائح محرم لم يشهد[3]

(١) الجوارشن وهو من أدوية المعدة، ينظر عن استعمالاته: ابن سينا، القانون في الطب، ٤٤٢/٣ - ٤٤٦.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٢١٩/٨

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٧٥/٤.

٣ - محمد المهدي

(١٢٧ -١٦٩ هـ / ٧٤٤ -٧٨٥ م)

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي العباسي ثالث الخلفاء العباسيين ، واختلف في مكان وسنة ولادته ، فذهب البعض إلى أنه ولد سنة١٢٧هـ/٧٤٤م[١] بأيذج[٢] ، وقيل ولادته سنة١٢٦هـ/٧٤٣م[٣] ، وذهب آخرون أنه ولد بالحميمة من أرض الشام سنة١٢١ هـ/٧٣٨م[٤] ، وقيل إنه ولد سنة١٢٢هـ/٧٣٩م[٥] ، وأنه سمي باسم محمد بن علي بن عبد الله بن العباس لأنه ولد في السنة التي توفي فيها محمد بن علي سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م وقيل سنة ١٢٥ هـ/٧٤٢م[٦].

وأمه أمّ موسى أروى بنت منصور الحميرية بن عبد الله بن شهر بن يزيد بن مثوّب بن الأشهل بن مثوب بن الحارث بن شمر ذي الجناح بن لَهِيعة يَنُعم بن يَعفر يَنكف بن فهدِي ذي عَسيم بن أعرب ينكف بن غيدان بن يَريم ذي رُعين بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهَميسع بن حمير بن سبأ[٧] عربية من حمير ،

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٦

(٢) وهي بلدة من كور الاهواز ولد فيها المهدي العباسي، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ١/١٨٨.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٦٨ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨/١٧١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٠/٤٣٥ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٠١ -٢٠٢.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٤٣٩ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٣/٤١٧

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ١/١٢٤ ؛ مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص ٢٣٩ ؛ المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ٦/٩٩

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ٤/٨٠.

(٧) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٦ ؛ ابن قتيبة، المعارف، ١/٣٧٩ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨/١٠٩ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٦ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٣/٤١٨.

وأمّها أمّ ولد[1] ، وأخوه من أمّه وأبيه جعفر[2] ، بويع له بالخلافة سنة١٥٨ هـ/٧٧٤م[3] بمكة أخذها له ابنه موسى[4] ، وكان هو بالري[5] ودامت خلافته (عشر سنين وشهراً ونصف)[6] ، وقيل: (عشر سنين وشهراً واثنين وعشرين يوماً)[7].

زوجاته وأولاده

تزوج الخليفة المهدي ريطة بنت أبي العباس السفاح سنة١٤٤ هـ/٧٦١ م[8] ، وكانت قد عقد عليها محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس فمات قبل الدخول بها[9] ، فولت له علياً وعبد الله[10] وعيسى[11] ، كما تزوج ميمونة بنت الحسين الحسين بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب وله منها ولد[12] ، وجارية مخرمة الأذن تدعى سكر فولدت له إسحاق بن المهدي[13] ، وتزوج جارية تدعى الخيزران[14] فولدت له هارون(الرشيد) وموسى(الهادي) والبانوقة ماتت صغيرة[15] ، وقيل إن المهدي لمّا عُرضت عليه الخيزران قال لها: (والله يا جارية

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٦.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ٣٧٨/١

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٤٣٦ ؛

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ٣٧٩/١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١١٢/٨

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٠٤/٨.

(٦) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٤٣٩.

(٧) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٧.

(٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٣١/٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٤/٩.

(٩) ابن حبيب، المحبر، ص ٦٠ ؛ ابن قتيبة، المعارف، ١٢٦/١ ؛

(١٠) ابن قتيبة، المعارف، ٣٨٠/١ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ١٨٠/٤.

(١١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٧٨/٤.

(١٢) ابن قتيبة، المعارف، ٢١٦/١ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ١٤٧/٣ ؛

(١٣) ابن حبيب، المنمق، ص ٤٠٢.

(١٤) وهي أم ولد جرشية من اليم تزوجها الخليفة المهدي وهي أم الخليفة الهادي والرشيد وتوفيت سنة ١٧٣ هـ/٧٨٩ م، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٣٨/٨.

(١٥) ابن قتيبة، المعارف، ٣٨٠/١ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٧٧/٤

إنك لعلى غاية التمني ، لكنك خمشة[1] الساقين ، فقالت: يا مولانا إنك أحوط ما تكون إليهما لا تراهما ، فقال: اشتروها ، فحظيت عنه)[2] ، كما تزوج البحترية بنت الاصبهذ فولت له منصور والعالية وسليمة وهي أسماء[3] وكانت تعرف بالخيرة[4] ، وله من أمّ ولد يعقوب وإسحاق[5] ، وإبراهيم أمّه أم ولد[6] تدعى شكلة[7] ، وفي سنة ١٥٩هـ/٧٧٥ م تزوج أمّ عبدالله بنت صالح بن علي العباسي[8] ؛ كما تزوج سنة ١٦٠هـ/٧٧٦ م رقية بنت عمرو العثمانية[9].

ومن بناته: العباسة بنت المهدي أمها أمّ ولد تزوجها هارون بن محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس فتوفي عنها وخلف عليها إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس[10] ، وأمّ عبد الله بنت المهدي تزوجها إبراهيم بن جعفر الكبير الكبير بن المنصور فولدت له أمّ موسى ، وعلية بنت المهدي تزوجت موسى بن عيسى بن موسى فولدت له عيسى وأسماء[11].

صفته وبعض أقواله :

قال الطبري: (كان طويلا مضمر الخلق ، جعدا واختلف في لونه ، فقال بعضهم: كان أسمر ، وقال بعضهم: كان أبيض ، وكان في عينه اليمنى- في قول بعضهم-

(١) الخمش هو الخدش في الوجه وقد يكون في سائر الجسد، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ١٩٣/١٧ (مادة خمش).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٤٦/٨.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ٣٨٠/١ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٧٨/٤.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٠/٩.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ٣٨٠/١ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٧٨/٤.

(٦) ابن قتيبة، المعارف، ٣٨٠/١.

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٧٨/٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٠/٩.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٢١/٨.

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٣٩/٨

(١٠) ابن حبيب، المحبر، ص ٦١ ؛ ابن قتيبة، المعارف، ٣٨٠/١ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٨٠/٤.

(١١) ابن حبيب، المحبر، ص ٦١.

نكتة بياض وقال بعضهم: كان ذلك بعينه اليسرى)[1] ، وقال المسعودي: (وكان حسن الوجه والجسم أسمر طوالاً ، بعينه اليمنى نكتة بياض ، كريما حبيباً ، بذولاً للأموال ، حسن العفو ، كريم الظفر ، لا يدخله غفلة عند مخوفة ، ولا يتكل في الأمور على غير ثقة ، وصولا لأرحامه ، براً بأهله ، فيه لين جانب)[2] ، ووصفه المطهر المقدسي بالقول: (كان كما سمي هادياً مهدياً رد المظالم وشهد الصلوات في جماعة وفرق خزائن المنصور في سبل الخير)[3] ، وقال الذهبي: (كان جواداً ممدحاً محبباً إلى الناس ، وصولاً لأقاربه ، حسن الأخلاق ، حليماً ، قصاباً للزنادقة ، وكان طويلاً أبيض مليحاً ، يقال إن المنصور خلف في الخزاين مئة ألف ألف ، وستين ألف ألف درهم ففرقها المهدي ، ولم يل الخلافة أحد أكرم منه ، ولا أبخل من أبيه ، ويقال إنه أعطى شاعراً مرةً خمسين ألف دينار)[4].

وكان المهدي يقول: (ما توسّل إليّ أحد بوسيلة ولا تذرّع بذريعة هي أقرب من تذكيره إيّاى يداً سلفت منّى إليه أتبعها أختها فأحسن ربّها لأنّ منع الأواخر يقطع شكر الأوائل)[5] ، وكان يجلس للمظالم بنفسه ويقول: (أدخلوا عليّ القضاة ، فلو لم يكن ردّي المظالم إلّا للحياء منهم لكفى)[6].

ووصفه أبو عبيدة[7] فقال: (ما رأيت قط أكرم من المهدي ولا أسمح خلقاً منه ، كان يصلى بنا الصلاة الخمس حين قدم البصرة بالجامع ، فأقيمت الصلاة فقال أعرابى: يا أمير المؤمنين لست على طُهر وقد رغبت إلى الله تعالى في الصلاة

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ١٧١/٨.

(٢) التنبيه والإشراف، ص ٢٩٧.

(٣) البدء والتاريخ، ٩٥/٦.

(٤) العبر في خبر من غبر، ١٩٧/١.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ٤٨٣/٣.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ٤٨٠/٣ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ١٩٣/١.

(٧) أبو عبيدة معمر بن مثنى التيمي بالولاء اشتهر بالمثالب وخلف عشرات الكتب في أخبار العرب وآدابهم توفي سنة ٢١٠ هـ/٨٢٥ م، ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٧٦.

خلفك ، فوقف ينتظره إلى أن أقبل ، فعجب الناس من كرم طبعه وفرط تواضعه)[1].

وروي عن حاجبه أنه قال: (هَاجَتْ رِيحٌ سَوْدَاءُ ، فَخِفْنَا أَنْ تَكُونَ السَّاعَةَ ، وَطَلَبْتُ الْمَهْدِيَّ فِي الإِيوَانِ فَلَمْ أَجِدْهُ ، ثُمَّ سَمِعْتُ حَرَكَةً فِي بَيْت ، فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ عَلَى التُّرَابِ يَقُولُ: اللَّهمّ لا تُشَمِّتْ بِنَا أَعْدَاءَنَا مِنَ الأُمَمِ ، وَلا تَفْجَعْ بِنَا نَبِيَّنَا ، اللَّهمّ وَإِنْ كُنْتَ أَخَذْتَ الْعَامَّةَ بِذَنْبِي فَهذِه نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، فما أتمّ كلامه حتى انجلت)[2].

وله رواية الحديث ، فحدث عن أبيه المنصور ومبارك بن فضالة[3] ، وحدث عنه يحيى بن حمزة[4] وجعفر بن سليمان الضبعي[5] وآخرون ، وقال الذهبي: (ما علمت فيه جرحاً ولا توثيقاً)[6] ، ومن حديثه روى يحيى بن حمزة قَالَ: (صَلَّى بِنَا الْمَهْدِيُّ ، فَجَهَرَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: مَا هَذَا ؟ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيه ، عَنْ جَدِّه ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم جَهَرَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَقُلْتُ لِلْمَهْدِيِّ: نأثره عنك؟ قال: نعم)[7].

وروي أنه قدم على الخليفة المهدي بعشرة محدثين: منهم فرج بن فضالة[8] ،

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٢٨/٥٣ ينظر أيضاً: ابن العمراني، الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٧١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٤٠/١٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٤/١٠.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٣٩/١٠.

(٣) مبارك بن فضالة بن أبي أمية يكنى أبا فضالة من أهل البصرة حدث عن الحسن البصري روى عنه يزيد بن هارون، قال عنه ابن معين: ضعيف الحديث، توفي سنة ١٦٦ هـ/٧٨٢ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢١٣/١٣ -٢١٧.

(٤) يحيى بن حمزة يكنى أبا عبد الرحمن كان كثير الحديث صالحه، تولى قضاء دمشق وتوفي سنة ١٨٣ هـ/٧٩٩ م، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٣٢٥/٧.

(٥) جعفر بن سليمان الضبعي يكنى أبا سليمان قال ابن سعد: كان ثقة وبه ضعف، توفي سنة ١٧٨هـ /٧٩٤ م، الطبقات، ٢١٢/٧.

(٦) تاريخ الإسلام، ٤٥٣/١٠ ؛ ينظر أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٢/١٠.

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٣٦/١٠ ؛ ينظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤١١/٥٣.

(٨) فرج بن فضالة بن النعمان الحمصي التنوخي سكن بغداد روى عن هشام بن عروة روى عنه شعبة بن الحجاج، كان ضعيفاً في الحديث، توفي سنة ١٧٧ هـ/٧٩٣ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٩٠/١٢ -٣٩٣.

وغيّاث بن إبراهيم[١] - وكان المهدي يحب الحمام - فلما أدخل غياث قيل له: حدّث أمير المؤمنين ، فحدثه عن فلان عن أبي هريرة مرفوعًا: "لا سبق إلا في حافر أو نصل[٢]" وزاد فيه: "أو جناح" ، فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم ، فلما قام قال: أشهد أن قفاك قفا كذاب ، وإنما استجلبت ذلك ، ثم أمر بالحمام فذبحت[٣].

وكان الخليفة المهدي أديباً شاعراً ومن شعره ما كتب به إلى الخيزران أمّ ولده موسى وهارون وهي بمكة:

نحن في أفضل السرور ولكن — ليس إلا بكم يتم السرور

عيب ما نحن فيه يا أهل ودّي — أنكم غيّب ونحن حضور

فأجدّوا المسير بل إن قدرتم — أن تطيروا مع الرياح فطيروا

ومن شعره وقد دخل ميدان كسرى بالمدائن في يوم المهرجان:

إذا ما كنت في الميدان يوماً — أجوّل في السرور مع الغواني

خرجت كأنني كسرى إذا ما — علاه التاج يوم المهرجان[٤]

ومن شعره:

ما يكف الناس عنّا — ما يملّ الناس منا

إنما همتهم أن — ينبشوا ما قد دفنّا

لو سكنّا بطن أرض — فلكانوا حيث كنّا

---

(١) غياث بن إبراهيم النخعي الكوفي يكنى أبا عبد الرحمن روى عن موسى الجهني روى عنه بقية بن الوليد، ضعفه يحيى بن معين وقال: كان كذاباً، وقيل متروك الحديث، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٧٦/١٤.

(٢) الحديث أخرجه جماعة بغير هذا اللفظ، منهم: ابن حنبل، مسند أحمد، ٢٨٤/٧ ولفظه (لا سبق إلا في خفٍ أو حافرٍ) ؛ أبو داود، سنن أبي داود، ٢٢١/٤ ولفظه(لا سَبَق إلا في خُفٍّ أو حافرٍ أو نَصلٍ)؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ١٣١/٤؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٢٠٥/٤.

(٣) الخطيب، البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٧٦/١٤؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٤.

(٤) ابن العمراني، الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٧٠.

وهـــــمُ إن كاشفونـــــــا في الهـــوى يومًـــا مجنّـــا[1]

وروي أن المهدي دخل(إلى حجرة جارية على غفلة ، فوجدها وقد نزعت ثيابها وأرادت لبس غيرها ، فلما رأته غطت بيدها فقصرت كفها عنه فضحك وقال:

نظـــرت في القصـــر عـــيني نظـــرة وافـــق حـــيني

ثم خرج فرأى بشارًا[2] فأخبره وقال: أجز ، فقال بشار:

ســــترته إذ رأتنــــي دونــــه بالراحتيــــن

فبـــدا لـــي منـــه فضـــل تحـــت طـــي العكنـــتين[3]

وقد ختم الذهبي وصفه بقوله: (وَالْمَهْدِيُّ كَغَيْرِه مِنْ عُمُومِ الْخَلائِف وَالْمُلُوك ، لَهُ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْه مَا عَلَيْهِمْ ، كَانَ مُنْهَمِكًا فِي اللَّذَّاتِ وَاللَّهْوِ وَالْعَبِيدِ ، ولكن مُسْلِمٌ خَائِفٌ مِنَ اللَّه)[4].

ألقابه

وُضع في لقبه حديث عن ابن عباس عن النبي﴿ﷺ﴾ أنه قال: (منا السفاح ، ومنا المنصور ، ومنا المهدي)[5] ،لقبه أبوه المنصور بالمهدي وضرب ذلك على النقود[6] ، ولعله كان يبغي مواجهة إعلان محمد بن عبد الله الحسني[7] أنه المهدي[8] ، وقد

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٤.

(٢) بشار بن برد العقيلي بالولاء كان ضريراً نشأ بالبصرة وسكن بغداد من شعراء الدولة العباسية، اتهمه الخليفة المهدي بالزندقة وضربه بالسياط حتى مات سنة ١٦٧ هـ/٧٨٣ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤/٦١٠.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٥.

(٤) تاريخ الإسلام، ١٠/٤٤٤.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١/٣٦٩ -٣٧٠ ؛ قال ابن الجوزي: هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﴿ﷺ﴾، العلل المتناهية، ١/٢٩٠

(٦) الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٥١٤.

(٧) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ثار سنة ١٤٥ هـ/٧٦٢ م في المدينة المدينة وقتل فيها من قبل الجيش العباسي، ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٢٠٦٠٢٤٤.

(٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ٩/٣ ؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ١٨٥.

أمضى المنصور ذلك اللقب لابنه على الرغم من اعتراض بعض خواصه عليه ، فقد اعترض عليه عمرو بن عبيد المعتزلي[1] في مجلس جمع المنصور والمهدي وعمرو بن عبيد فلما أراد عمرو الانصراف دفع إليه المنصور مالاً فرفض أخذه فحلف المنصور وحلف عمرو ، فقال المهدي: يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟ فالتفت عمرو إلى المنصور وقال: من هذا الفتى؟ فقال: هذا المهدي ولدي وولي عهدي ، فقال: أما فقد ألبسته لباساً ما هو لباس الأبرار ، وسميته باسم ما استحقه ، ومهدت له أمراً أمنع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ، ثم التفت إلى المهدي وقال: نعم يا ابن أخي إذا حلف أبوك احنثه ، لأن أباك أقوى على الكفارات من عمك[2].

نقش خاتمه :

وكان نقش خاتمه(الله ثقة محمد ، وبه يؤمن)[3] ، وقيل: كان نقش خاتمه: العزة لله[4].

وفاته :

توفي المهدي بقرية يقال لها الرذ من ماسبذان وكان خرج إليها متنزهاً [5] في ليلة الخميس لثمان بقين من محرم سنة١٦٩ هـ/٧٨٥م فصلى عليه ابنه هارون[6] ، عن ثمان وأربعين سنة وقبره هناك[7].

---

(١) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب من سبي كابل شيخ المعتزلة صحبه الخليفة المنصور العباسي قبل خلافته ووفد عليه بعدها وأنكر عليه أموراً، توفي سنة ١٤٤ هـ/٧٦١ م، ينظر: ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٣٥ -٤١.

(٢) اليافعي، مرآة الجنان، ٢٣٢/١.

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٧ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤١٩/٥٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٣٨/١٠ ؛

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤١٩/٥٣.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٦٨.

(٦) الفسوي، المعرفة والتاريخ، ١٥٨/١ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٤٩/٥٣.

(٧) ابن قتيبة، المعارف، ٣٨٠/١

وفي سبب وفاته عدة روايات منها: (عن واضح قهرمان[1] المهدي ، قَالَ: خرج المهدي يتصيد بقرية يقال لها الرذ بماسبذان ، فلم أزل معه إلى بعد العصر ، وانصرفت إلى مضربي- وكان بعيداً من مضربه- فلما كان في السحر الأكبر ركبت لإقامة الوظائف ، فإني لأسير في برية ، وقد انفردت عمن كان معي من غلماني وأصحابي ، إذ لقيني أسود عريان على قتد رحل ، فدنا مني ، ثم قَالَ لي: أبا سهل ، عظم الله أجرك في مولاك أمير المؤمنين! فهممت أن أعلوه بالسوط ، فغاب من بين يدي ، فلما انتهيت إلى الرواق لقيني مسرور ، فقال لي: أبا سهل ، عظم الله أجرك في مولاك أمير المؤمنين! فدخلت فإذا أنا به مسجى في قبة ، فقلت: فارقتكم بعد صلاة العصر ، وهو أسرّ ما كان حالاً وأصحه بدناً ، فما كان الخبر؟ قَالَ: طردت الكلاب ظبياً ، فلم يزل يتبعها ، فاقتحم الظبي باب خربة ، فاقتحمت الكلاب خلفه ، واقتحم الفرس خلف الكلاب ، فدق ظهره في باب الخربة ، فمات من ساعته)[2].

وفي رواية أخرى إن جارية من جواري المهدي بعثت(إلى ضرة لها بلبأ فيه سم ، وهو قاعد في البستان ، بعد خروجه من عيساباذ[3] ، فدعا به فأكل منه ، ففرقت الجارية أن تقول له: إنه مسموم)[4].

وفي رواية(أن المهدي كان جالساً في علية في قصر بماسبذان ، يشرف من منظرة فيها على سفله ، وكانت جاريته حسنة ، قد عمدت إلى كمثراتين كبيرتين ، فجعلتهما في صينية ، وسمت واحدة منهما وهي أحسنهما وأنضجهما في أسفلها ، وردت القمع فيها ، ووضعتها في أعلى الصينية- وكان المهدي يعجبه الكمثرى- وأرسلت بذلك مع وصيفة لها إلى جارية للمهدي- وكان يتحظاها- تريد بذلك قتلها ، فمرت الوصيفة بالصينية التي فيها تلك الكمثرى ، تريد دفعها إلى الجارية التي أرسلتها حسنة إليها ،

---

(١) القهرمان هو المسيطر الحفيظ على ما تحت يديه، وبلغة الفرس القائم بأمر الرجل، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٣٢٢/٣٣ (مادة قهرم).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٦٩/٨ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٤٧٩/٣ ؛ الذهبي العبر في خبر من غبر، ١٩٦/١.

(٣) محلة بالجانب الشرقي من بغداد، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ١٧٢/٤.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٦٩/٨.

بحيث يراها المهدي من المنظرة ، فلما رآها ورأى معها الكمثرى ، دعا بها ، فمد يده إلى الكمثراة التي في أعلى الصينية وهي المسمومة ، فأكلها ، فلما وصلت إلى جوفه صرخ: جوفي! وسمعت حسنة الصوت ، وأخبرت الخبر ، فجاءت تلطم وجهها وتبكي ، وتقول: أردت أن أنفرد بك ، فقتلتك يا سيدي! فهلك من يومه)[1].

وفي رواية ثالثة (ذكر عبد الله بن إسماعيل صاحب المراكب ، قَالَ: لما صرنا إلى ماسبذان دنوت إلى عنانه ، فامسكت به وما به علّه ، فو الله ما أصبح إلا ميتاً ، فرأيت حسنة وقد رجعت ، وإن على قبتها المسوح ، فقال أبو العتاهية[2] في ذلك:

رحن في الوشي وأصبحن ... عليهن المسوح

كل نطاح من الدهر ... له يوم نطوح

لست بالباقي ولو عمرت ... ما عمر نوح

فعلى نفسك نح إن ... كنت لا بد تنوح)[3]

وقيل: (أن علي بن يقطين[4] ، قَالَ: كنا مع المهدي بماسبذان فأصبح يوماً فقال: إني أصبحت جائعاً ، فأتي بأرغفة ولحم بارد مطبوخ بالخل ، فأكل منه ثم قَالَ: إني داخل إلى البهو ونائم فيه ، فلا تنبهوني حتى أكون أنا الذي أنتبه ، ودخل البهو فنام ، ونحن في الدار في الرواق ، فانتبهنا ببكائه ، فقمنا إليه مسرعين ، فقال: أما رأيتم ما رأيت؟ قلنا: ما رأينا شيئاً ، قَالَ: وقف على الباب رجل ، لو كان في ألف أو في مائة ألف رجل ما خفي عليّ ، فأنشد يقول:

كأني بهذا القصر قد باد أهله ... وأوحش منه ربعه ومنازله

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٦٩/٨ -١٧٠ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٤٨٠/٣ ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ١٩٦/١.

(٢) هو إسماعيل بن القاسم مولى عنزة كان كثير الشعر لاسيما في الزهد توفي سنة ٢١١ هـ/٨٢٦ م، ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٧٧٩/٢ -٧٨٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٧٠/٨.

(٤) أبو الحسن علي بن يقطين بن موسى مولى بني أسد خدم الخلفاء العباسيين أبا العباس وأبا جعفر والمهدي والهادي والرشيد وتوفي سنة ١٨٢ هـ/٧٩٨ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٠٢/١٩ -٢٠٤.

وصار عميد القوم من بعد بهجة ... وملك إلى قبر عليه جنادله

فلم يبق إلا ذكره وحديثه ... تنادي عليه معولات حلائله

قَالَ: فما أتت عليه عاشرة حتى مات)[1].

وفي رواية المطهر المقدسي أن المهدي: (اعتل المهدي فحُمل إلى ماسبذان يتروح إلى ذلك بالهواء فمات فحمل على درابة إذ لم يجدوا جنازة)[2] ، وقيل إنه مات بالحمى[3].

وأشار الطبري بشكل غير مباشر إلى سبب وفاة المهدي متهم ابنه موسى الهادي بالقول: (ذكر أن المهدي كان في آخر أمره قد عزم على تقديم هارون ابنه على ابنه موسى الهادي ، وبعث إليه وهو بجرجان بعض أهل بيته ليقطع أمر البيعة ، ويقدم الرشيد فلم يفعل ، فبعث إليه المهدي بعض الموالي ، فامتنع عليه موسى من القدوم ، وضرب الرسول ، فخرج المهدي بسبب موسى وهو يريده بجرجان فأصابه ما أصابه)[4] ، وهو ما يرجح أنه توفي مسموماً ربما بدسيسة من ابنه موسى الهادي.

قال الطبري: (ذكر أن المهدي توفي بقرية من قرى ماسبذان ، يقال لها الرذ ، وفي ذلك يقول بكار بن رباح[5]:

ألا رحمة الرحمن في كل ساعة ... على رمة رمت بماسبذان

لقد غيب القبر الذي تم سوددا ... وكفين بالمعروف تبتدران

وصلى عليه ابنه هارون ، ولم توجد له جنازة يحمل عليها ، فحمل على باب ، ودفن تحت شجرة جوز كان يجلس تحتها)[6] ، وكان له من العمر ثمان وأربعين سنة[7] ، وقيل

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٧٠/٨ -١٧١.

(٢) البدء والتاريخ، ٩٨/٦.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤١٦/٥٣.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ١٦٨/٨ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٤٧٩/٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٢/١٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٦/١٠

(٥) بكار بن رياح قال الذهبي حديثه منكر في المزاح، المغني في الضعفاء، ١١٠/١.

(٦) تاريخ الرسل والملوك، ١٧١/٨.

(٧) المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ٩٩/٦.

كان عمره اثنتان وأربعون سنة[1] ، وقيل ثلاث وأربعون سنة[2] ، وقيل إن بعض القواد أشاروا على هارون أن يخفي خبر وفاته ثم ينادي بالتوجه إلى بغداد ويواريه هناك كي يأمن شغب الجند إذا سمعوا بموته ، فشاور هارون بذلك خالد بن يحيى البرمكي فأشار عليه يدفنه في مكانه وأن يفرق المال في الجند ثم يتجه بهم إلى بغداد ففعل ذلك[3] ، وكان آخر ما تكلم به عند وفاته: (الحمد لله يحيي ويميت وهو حي لا يموت)[4].

وقال الشاعر سلم الخاسر يرثيه:

وباكية على المهدي عبري ... كأن بها، وما جنت جنونًا

وقد خمشت محاسنها، وأبدت ... غدائرها، وأظهرت القرونا

لئن بلى الخليفة بعد عز ... لقد أبقى مساعي ما بلينا

سلام الله عدة كل يوم ... على المهدي حين ثوى رهينا

تركنا الدين والدنيا جميعًا ... بحيث ثوى أمير المؤمنينا[5]

وقيل فيه من الرثاء:

وأفضل قبر بعد قبر محمد ... نبي الهدى قبر بماسبذان

عجبت لأيد حثت التراب فوقه ... غداة فلم يرجع بغير بنان[6]

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٠٦.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ٤٨٠/٣ ؛ ابن العمراني، الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٧١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٣/١٠ ؛

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ٤٨٥/٣.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٤٨/٥٣.

(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٣ ؛ العصامي المكي، سمط النجوم العوالي، ٣٩٣/٣.

(٦) المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ٩٩/٦.

٤ - موسى الهادي

(١٤٧ -١٧٠ هـ/٧٦٤ -٧٨٦ م)

هو أبو محمد موسى بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي العباسي ، رابع الخلفاء العباسيين ، ولد بالري سنة ١٤٧هـ/٧٦٤م في منطقة السيروان[١] ، وقيل ولد سنة١٤٦هـ/٧٦٣ م[٢] ، أمّه أمّ ولد تدعى الخيزران من جرش من أرض اليمن ، بويع له بالخلافة في محرم سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م وتوفي لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ /٧٨٦م وله خمس وعشرون سنة[٣].

زوجاته وأولاده

أشارت المصادر إلى عدد من زوجاته منهن جارية تدعى أمة العزيز بارعة الجمال كانت عند الربيع بن يونس[٤] فأهداها للخليفة المهدي فوهبها لابنه موسى وولدت له أبناءه الأكابر ثم تزوجها الرشيد فولدت له ابنه علي بن الرشيد[٥] ، كما تزوج لبابة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور[٦] وذلك سنة ١٦٠ هـ/٧٧٦م[٧] ، وحكى الجاحظ أن

---

(١) قال ياقوت: (موضع قرب الري كان المهدي نزله في حياة المنصور حين وجّهه إلى خراسان وبنى فيه أبنية آثارها إلى الآن باقية بها وولد فيها الهادي أيضا في سنة ست وأربعين)، معجم البلدان، ٢٩٧/٣.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ٢٩٧/٣.

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٧٩/١٠.

(٤) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان خدم الخليفة المنصور ثم المهدي وقتله الهادي، ينظر: ابن الطقطقى، الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٧٩ -١٨٠.

(٥) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص ٢٦٥ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٨/٨

(٦) ابن قتيبة، المعارف، ٣٧٩/١ ؛

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٣٩/٨

أن موسى الهادي خرج يوماً على أصحابه مغضباً هائجاً منتفخ الأوداج منتقع اللون فسألوه عن ذلك فقال: (لبابة بنت جعفر بن أبي جعفر قد علمتم موقعها مني ، وأثرتها عندي ، كلمتني بإدلال فأغلظت ، فلم يكن لها عندي احتمال ، ولا عندها إقصار ، حتى وثبت عليها وضربتها ضرباً موجعاً)[1].

قال الطبري: (كان له من الأولاد تسعة ، سبعة ذكور وابنتان فأما الذكور فاحدهم جعفر- وهو الذي كان يرشحه للخلافة - والعباس وعبد الله وإسحاق وإسماعيل وسليمان وموسى بن موسى الأعمى ، كلّهم من أمهات أولاد وكان الأعمى- وهو موسى- ولد بعد موت أبيه والابنتان ، إحداهما أمّ عيسى كانت عند المأمون ، والأخرى أمّ العباس بنت موسى ، تلقب نوته)[2] ، وقال ابن عبد ربه (وتزوج أمة العزيز فأولدها عيسى ، ثم رحيم ، فأولدها جعفراً ، ثم سعوف فأولدها العباس ، واشترى جارية حسنة بألف درهم- وكانت شاعرة- فرزق منها عدّة بنات ، منهم أمّ عيسى ، تزوجها المأمون ، وكان له من أمهات الأولاد: عبد الله ، وإسحاق وموسى وكان أعمى)[3].

وقال ابن حزم (ولد موسى الهادي جعفر ، الذي كان ولي عهده ، ولاه أبوه العهد ، وله سبع سنين أو نحوها ، ولم يتم له أمر ، وإسماعيل ، وعبد الله ، وموسى الأعمى ، أمّهم أمّ ولد تسمى أمة العزيز ، تزوجها الرشيد بعده ، وهي التي كان حلف لأخيه بالمشي إلى الكعبة أن لا يتزوجها ، فلما مات الهادي ، تزوّجها ومشى راجلاً من بغداد إلى مكّة ، وهو خليفة ، فولدت له علياً ، وكان أقبح الناس صورة ، وإسحاق بن الهادي ، وعيسى ، والعبّاس ، وسليمان بنو الهادي ، وبنات ، تزوّج إحداهن المأمون)[4].

---

(١) المحاسن والأضداد، ص ٢١٥

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ٢١٤/٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٦٩/٥ وفيه أن أم العباس تلقب نونة ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٠/١٠ وفيه أن أمّ العباس تلقب توبة.

(٣) العقد الفريد، ٣٧٢/٥.

(٤) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٣.

صفته وبعض أقواله

كان موسى الهادي طويلاً جسيماً جميلاً أبيض ، مشرباً حمرة ، وكان بشفته العليا تقلص[1] ، وقال المسعودي: (كان طوالاً جسيماً ، أبيض ، أفوه ، بشفته العليا بياض ، شجاعاً بطلاً ، أشد الناس بدناً ، وأجرأه مقدماً في تسرع ، وجبرية ينسب بهما إلى الهوج)[2] ، وقال الذهبي: (كَانَ يَتَنَاوَلُ الْمُسْكِرَ وَيَلْعَبُ ، وَيَرْكَبُ حِمَارًا فَارِهًا ، وَلا يُقِيمُ أُبَّهَةَ الْخِلافَةِ ، وَكَانَ فَصِيحًا قَادِرًا عَلَى الْكَلامِ ، أَدِيبًا ، تَعْلُوهُ هَيْبَةٌ ، وَلَهُ سَطْوَةٌ وَشَهَامَةٌ)[3] ، وقال ابن كثير: (كَانَ مُوسَى الْهَادِي مِنْ أَفْكَهِ النَّاسِ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْخَلْوَةِ ، فَإِذَا جَلَسَ فِي مقام الخلافة كانوا لَا يَسْتَطِيعُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، لِمَا يَعْلُوهُ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالرِّيَاسَةِ ، وَكَانَ شَابًّا حَسَنًا وَقُورًا مَهِيبًا)[4].

وقيل كان الخليفة الهادي(جبارًا ، وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة ، والأعمدة ، والقسيّ الموترة ، فاتبعه عماله به في ذلك وكثر السلاح في عصره)[5].

وهناك من وصفه بأنه كان (شكس الأخلاق ، صعب المرام ، قليل الإغضاء ، سيء الظن ، قلّ من توقاه وعرف أخلاقه ، إلاّ أغناه ، وما كان شيء أبغض إليه من ابتدائه بسؤال ، وكان يأمر للمغني بالمال الخطير الجزيل ، فيقول: لا يعطيني بعدها شيئاً ، فيعطيه ، بعد أيام ، مثل تلك العطية)[6].

وقيل: كان جواداً يجلس للمظالم ، فحكي عن علي بن صالح قال إن موسى الهادي: (كان جفا المظالم عامة ثلاثة أيام- فدخل عليه الحراني[7] ، فقال له: يا أمير

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢١٤/٨ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٥/٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٦٩/٥ ؛

(٢) التنبيه والإشراف، ص ٢٩٧.

(٣) تاريخ الإسلام، ٤٨٠/١٠

(٤) البداية والنهاية، ١٦٨/١٠

(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣١.

(٦) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص ٣٣.

(٧) هو إبراهيم بن دكوان الحراني وزير الخليفة موسى الهادي، ينظر: ابن الطقطقى، الفخري في في الآداب السلطانية، ص ١٩٢

المؤمنين ، إن العامة لا تنقاد على ما أنت عليه ، لم تنظر في المظالم منذ ثلاثة أيام ، فالتفت إليّ ، وقال: يا علي ، ائذن للناس ، علي بالجفلى لا بالنقرى ، فخرجت من عنده أطير على وجهي ثم وقفت فلم أدر ما قَالَ لي ، فقلت: أراجع أمير المؤمنين ، فيقول: أتحجبني ولا تعلم كلامي ! ثم أدركني ذهني ، فبعثت إلى إعرابي كان قد وفد ، وسألته عن الجفلى والنقرى ، فقال: الجفلى جفالة ، والنقرى ينقر خواصهم فأمرت بالستور فرفعت وبالأبواب ففتحت ، فدخل الناس على بكرة أبيهم ، فلم يزل ينظر في المظالم إلى الليل ، فلما تقوض المجلس مثلت بين يديه ، فقال: كأنك تريد أن تذكر شيئاً يا علي ، قلت: نعم يا أمير المؤمنين ، كلمتني بكلام لم أسمعه قبل يومي هذا ، وخفت مراجعتك ، فتقول: أتحجبني وأنت لم تعلم كلامي ! فبعثت إلى أعرابي كان عندنا ، ففسر لي الكلام ، فكافئه عني يا أمير المؤمنين ، قَالَ: نعم مائة ألف درهم تحمل إليه ، فقلت له: يا أمير المؤمنين ، إنه أعرابي جلف ، وفي عشرة آلاف درهم ما أغناه وكفاه ، فقال: ويلك يا علي ! أجود وتبخل)[1].

وكان موسى الهادي يقول لحاجبه: (لا تحجب عني الناس ، فإن ذلك يزيل عني البركة ، ولا تلق إليّ أمراً إذا كشفته أصبته باطلاً ، فإن ذلك يوقع الملك ، ويضر بالرعية)[2].

كما كان يقول بعض الشعر ، منه ما قاله في أخيه هارون عندما امتنع عن خلع نفسه فقال:

نصحت لهارون فرد نصيحتي ... وكل امرئ لا يقبل النصح نادم

وأدعوه للأمر المؤلف بيننا ... فيبعد عنه؛ وهو في ذاك ظالم

ولولا انتظاري منه يومًا إلى غد ... لعاد إلى ما قلته وهو راغم[3]

وكتب موسى الهادي بن المهدي على سِتره:

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢١٥/٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٦٩/٥،٢٧٠

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢١٧/٨ ؛ ينظر أيضاً: الجاحظ، الرسائل السياسية، ص ٥٦٧

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٢

يـــا أيهـــا الــــزاعم الــــذي زعمـــا أن الهـــوى لـــيس يُـــورثُ السَّـــقَما
لـــو أن مـــا بـــي بـــكَ الغَـــداة لَمـــا لُمْـــتَ مُحبّـــاً إذا شـــكا ألَمـــا[1]

ولعـل هـذا التنـاقض في شخصـية الخليفـة العباسـي موسـى الهـادي يرجـع إلى حرصه الشديد على منصبه وأنه كان يشعر بالقلق من منافسيه فحاول التخلص منهم مهما كانوا حتى أقرب الناس إليه أمّه وأخوه وهو ما عجل في نهايته.

نقش خاتمه

كـان نقـش خاتمـة (الله ربـي)[2] ، وقيـل كـان نقـش خاتمـه: (الله ثقـة موسـى وبـه يؤمن)[3].

ألقابه

كـان يلقـب موسـى أطبـق لأن في شـفته العليـا تقلـص[4] ، وقيـل إن(شـفته قصـيرة وكان فمه أبداً يكون مفتوحاً فوكل به خادم في حال صغره كلما فتح فمه يقول لـه: موسـى أطبـق وكـان يعـرف ، إلى أن مـات ، بموسـى أطبـق)[5] ، ومما يحكـى أن الْهَـادِي ركب(يَوْمًا ، فَنظر إِلَى مَجْنُون يلقب بكسرة ، ويرمـى مـن يَقُول هَذَا اللقب ، وَيعْمـل الْعَجَائِب ، فَأمر بِحملِهِ إِلَى الدَّار ، فَقَالَ لَـهُ: لم تَشْتُم النَّاس إِذا قَالُوا لَـك: كسـرة؟. قَالَ: وَلم تضرب الْأَعْنَاق إِذا قيل لَك: مُوسَى اطبق؟ ، قَالَ: أَنا لَا أغضـب مـن هَذَا ، قَالَ: فصح أَنْت بِي ثَلَاث مرات ، وأصيح مرَّتَيْنِ فَنَنْظُر من يحرد ، قَالَ: قد رضيت ، فَقَالَ الْهَادِي: يَاكسـرة ، يَاكسـرةً ، ثَلَـاث مَـرَّات ، وطولها ، فَلـم يلْتَفت الْمَجْنُون ، وَلم يَتَحَرَّك وَلم يحرد ، ثمَّ صَاح: يَا مُوسَى اطبق ، فَلم يَتَحَرَّك الْهَادِي ، فَقَالَ الْمَجْنُون: مَا

---

(١) الوشاء، الظرف والظرفاء، ص ٢٣٠.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٢/٥ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٨ ؛ النويري، نهاية الأرب، ١٢٥/٢٢

(٣) ابن العمراني، الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٧٤ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٣

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢١٤/٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٧٨/١٠

(٥) ابن العمراني، الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٧٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٧٩/١٠ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣١

يتغافل إِلَّا من أمّه قحبة ، فحرد الْهَادِي ، ودعا بالنطع وَالسيف ، فَقَالَ الْمَجْنُون: كَيفَ رَأَيت؟ كَانَ الْمَجْنُون وَاحِدًا ، صرنا اثْنَيْنِ ، وَأَنا أَيْضا هَكَذَا ، لَو قَالُوا: يَا كسرة ، يَا رغيف ، ألف سنة مَا باليت ، وَلَكِن كَذَا يَقُولُونَ لي إِذا تغافلت ، فَضَحِك الْهَادِي وَأمر لَهُ بجائزة)[1].

وكان الخليفة المهدي يسميه ريحانتي[2] ، ولقب بالهادي[3] وهو اسم فاعل من الهدى أي أنه يهدي إلى الطريق الحق[4] ، ويكنى أبا محمد[5] ، وقيل أبا جعفر[6].

وفاته :

توفي الخليفة موسى الهادي بعيساباذ ، واختلف في سبب وفاته ، فقيل إنها من قرحة كانت في جوفه[7].

وقيل إن سبب وفاته (أَنَّهُ دَفَعَ نَدِيمًا مِنْ جُرُف عَلَى أُصُول قَصَب قَدْ قُطِعَ فَعَلقَ النَّدِيمُ بِهِ فَوَقَعَ فَدَخَلَتْ قَصَبَةٌ فِي مَخْرَجِه ، فكَانَتْ سَبَبَ مَوْته ، فَمَاتَا جَمِيعًا)[8].

وقيل إن جوارٍ لأمه الخيزران هم من تولوا سمّه بأمرها[9] ، وساق الطبري السبب

---

(١) الآبي، نثر الدرر، ١٨٢/٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢١٩/٨ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٥/٨ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٠/١٠

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٨٧/٨ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٧/١٥ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٢.

(٤) الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٥٣٦.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ٣٨١/١ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٧٧/٤ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، بغداد، ٧/١٥ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٥/٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٧٨/١٠ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣١

(٦) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٧.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٥/٨ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٤/٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٠/١٠

(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٨٠/١٠ ؛ سير أعلام النبلاء، ١٠٥/٧ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣١ ٣٣١

(٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٥/٨ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٤/ ٤٨٨

بقوله: (إن الهادي نابذ أمّه ونافرها ، لما صارت إليه الخلافة ، فصارت خالصة[1] إليه يوماً ، فقالت: إن أمّك تستكسيك ، فأمر لها بخزانة مملوءة كسوة قَالَ: ووجد للخيزران في منزلها من قراقر الوشي ثمانية عشر ألف قرقر قَالَ: وكانت الخيزران في أول خلافة موسى تفتات عليه في أموره ، وتسلك به مسلك أبيه من قبله في الاستبداد بالأمر والنهي ، فأرسل إليها ألا تخرجي من خفر الكفاية إلى بذاذة التبذل ، فإنه ليس من قدر النساء الاعتراض في أمر الملك ، وعليك بصلاتك وتسبيحك وتبتلك ، ولك بعد هذا طاعة مثلك فيما يجب لك قَالَ: وكانت الخيزران في خلافة موسى كثيراً ما تكلمه في الحوائج ، فكان يجيبها إلى كل ما تسأله حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته ، وانثال الناس عليها ، وطمعوا فيها ، فكانت المواكب تغدو إلى بابها ، قَالَ: فكلمته يوماً في أمر لم يجد إلى إجابتها إليه سبيلا ، فاعتل بعلة ، فقالت: لا بد من إجابتي ، قَالَ: لا أفعل ، قالت: فإني قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك قَالَ: فغضب موسى ، وقال: ويل على ابن الفاعلة! قد علمت أنه صاحبها ، والله لا قضيتها لك ، قالت: إذا والله لا أسألك حاجة أبداً ، قَالَ: إذا والله لا أبالي وحمي وغضب ، فقامت مغضبة ، فقال: مكانك تستوعي كلامي والله ، وإلاّ فأنا نفي من قرابتي من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو أحد من خاصتي أو خدمي لأضربن عنقه ، ولأقبضن ماله ، فمن شاء فليلزم ذلك ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كل يوم! أما لك مغزل يشغلك ، أو مصحف يذكرك ، أو بيت يصونك! إياك ثم إياك ، ما فتحت بابك لملّي أو لذمي فانصرفت ما تعقل ما تطأ ، فلم تنطق عنده بحلوة ولا مرة بعدها ،... ، خالصة تقول: بعث موسى إلى أمّه الخيزران بأرزة ، وقال: استطبتها فأكلت منها ، فكلي منها ، قالت خالصة: فقلت لها: أمسكي حتى تنظري ، فإني أخاف أن يكون فيها شيء تكرهينه ، فجاءوا بكلب فأكل منها ، فتساقط لحمه ، فأرسل إليها بعد ذلك: كيف رأيت الأرزة ؟ فقالت: وجدتها طيبة ، فقال: لم تأكلي ، ولو أكلت لكنت قد

---

(١) هي إحدى جواري الخيزران.

استرحت منك ، متى أفلح خليفة له أمّ...)[1].

وعلى خطى الرواية أعلاه ، ذكر أحد خواصه إنه(كان يتصل بموسى وصول القواد إلى أمه الخيزران ، يؤملون بكلامها في قضاء حوائجهم عنده ، قَالَ: وكانت تريد أن تغلب على أمره كما غلبت على أمر المهدي ، فكان يمنعها من ذلك ويقول: ما للنساء والكلام في أمر الرجال! فلما كثر عليه مصير من يصير إليها من قواده ، قَالَ يوماً وقد جمعهم: أيما خير؟ أنا أو أنتم؟ قالوا: بل أنت يا أمير المؤمنين ، قَالَ: فأيما خير ، أمّي أو أمهاتكم؟ قالوا: بل أمّك يا أمير المؤمنين ، قَالَ: فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمّه ، فيقولوا: فعلت أمّ فلان ، وصنعت أمّ فلان ، وقالت أمّ فلان ؟ قالوا: ما أحد منّا يحب ذلك ، قَالَ: فما بال الرجال يأتون أمّي فيتحدثون بحديثها ! فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها البتة ، فشق ذلك عليها فاعتزلته ، وحلفت ألاّ تكلمه ، فما دخلت عليه حتى حضرته الوفاة)[2].

وقيل إن(سبب موت الهادي كان أنه لما جدّ في خلع هارون والبيعة لابنه جعفر ، وخافت الخيزران على هارون منه ، دست إليه من جواريها لّما مرض منْ قتله بالغم والجلوس على وجهه ، ووجهت إلى يحيى بن خالد: أن الرجل قد توفي ، فاجدد في أمرك ولا تقصر)[3].

وقيل إن (الخيزران كانت قد حلفت ألا تكلم موسى الهادي ، وانتقلت عنه ، فلما حضرته الوفاة ، وأتاها الرسول فأخبرها بذلك ، فقالت: وما أصنع به؟ فقالت لها خالصة: قومي إلى ابنك أيتها الحرة ، فليس هذا وقت تعتب ولا تغضب فقالت: أعطوني ماء أتوضأ للصلاة ، ثم قالت: أما إنا كنا نتحدث أنه يموت في هذه الليلة خليفة ، ويملك

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٥/٨ -٢٠٦ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٤٨٨/٣ -٤٩٠ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٤/٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٦٨/٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ١٢٤/٢٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٩/١٠

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٦/٨ -٢٠٧ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٤٩٠/٤

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٦/٨ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٤٩٣/٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٠/١٠

خليفة ، ويولد خليفة ، قَالَ: فمات موسى ، وملك هارون ، وولد المأمون)[1].

وفي رواية أن هرثمة بن أعين[2] قال: أرسل إليّ الهادي أن اذهب إلى الرشيد فتقبض عليه وتجيئني برأسه ثم دخل دار النساء ودخلني همٌ كبير فإذا بخادم يقول لي أجب أمير المؤمنين فعرفت أنه عزم على قتلي فترددت فإذا بالخيزران أمّه تصيح ويلك يا هرثمة ، أنا الخيزران ، وقد حدث أمر عظيم استدعيتك له ، فادخل ، فورد عليّ ما لم يكن في حسابي ، وتحيّرت ثمّ دخلت ، فإذا بستارة ممدودة ، فقالت لي من وراءها: إنّ موسى قد مات ، وقد أراحك الله والمسلمين منه ، فقم فانظر إليه ، فإذا هو مسجّى ، فمست مجسّه وقلبه ومناخره فإذا هو ميت ، ثمّ قالت الخيزران: إنّي كنت بحيث أسمع خطابه لك في أمر ابني هارون وغيره ، فلمّا دخل استعطفته ، ثمّ سألته ألّا يفعل ما همّ به ، فصاح عليّ ، فكشفت له رأسي وبكيت وأقسمت عليه ألّا يفعل ، فانتهرني وقال: إن أمسكت ، وإلّا ضربت عنقك ، فخفته وقمت وصلّيت وضرعت إلى الله في قبضه إليه ، فما كان بأسرع ممّا شرق ، فتداركناه بكوز ماء فازداد شرقه حتّى تلف ، فقم إلى يحيى بن خالد وعرّفه ما كان خاطبك به والخبر كلّه ، وعجّل بهارون قبل أن ينتشر الخبر وجدّدا له البيعة ، قال: فقمت ، ففعلت ذلك ، وما أصبحنا حتّى فرغنا من البيعة واستقام أمره وكفاني الله والناس شرّ موسى)[3].

ومما يرجح أن وفاته كانت بتدبير من الخيزران ما روي عن زينب بنت سليمان بن علي[4] قالت: (لما مات موسى بعيساباذ ، أخبرتنا الخيزران الخبر ، ونحن أربع نسوة ، أنا وأختي وأم الحسن وعائشة ، بنيات سليمان ، ومعنا ريطة أمّ علي ، فجاءت خالصة ،

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢١٢/٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن العمراني، الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٧٣

(٢) هرثمة بن أعين من قادة الدولة العباسية خدم المهدي والهادي والرشيد ثم ويعده قبض عليه المأمون وقتله سنة ٢٠١ هـ/٨١٦ م، ينظر: المحبر، ابن حبيب، ص ٤٨٨ ؛ أبو حنيفة الدينوري،= =الأخبار الطوال، ص ٣٩٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٢٠/١٤ -٤٢١.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ٤٩٦/٣ -٤٩٧ ؛ ينظر أيضاً: التنوخي، نشوار المحاضرة، ١٩/٣ -٢٢

(٤) زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمية القرشية نشأت في الحميمة من الشام وأدركت عددا من خلفاء بني العباس تزوجت من محمد بن إبراهيم الإمام، وكانت ذات عقل ورأي وفصاحة، وتوفيت بعد سنة ٢١٨ هـ/٨٣٣ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٦٢١/١٦ ؛ الدرويش، أعلام نساء البصرة، ص ٩٣ -٩٦.

فقالت لها: ما فعل الناس؟ قالت: يا سيدتي ، مات موسى ودفنوه ، قالت: إن كان مات موسى ، فقد بقي هارون ، هات لي سويقاً ، فجاءت بسويق ، فشربت وسقتنا ، ثم قالت: هات لساداتي أربعمائة ألف دينار ، ثم قالت: ما فعل ابني هارون؟ قالت: حلف ألا يصلي الظهر إلا ببغداد قالت: هاتوا الرحائل ، فما جلوسي هاهنا ، وقد مضى! فلحقته ببغداد)[1].

وكانت وفاته للنصف من ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ/٧٨٦ م في عيساباذ دامت خلافته سنة وثلاثة أشهر وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وقيل ابن ست وعشرين سنة وصلى عليه أخوه هارون ودفن ببستانه في عيساباذ[2] ، وقيل توفي وهو ابن خمسة وعشرين[3] ، وقيل أربع وعشرين سنة[4] ، والراجح أنه ابن ثلاث وعشرين سنة كون ولادته سنة١٤٧ هـ/ ٧٦٤م ، وقيل توفي ببغداد بالجانب الشرقي منها ببستانه المعروف بموسى أطبق[5].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢١٣/٨.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٧ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢١٣/٨ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٧٣/٥ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٧/١٥ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٥/٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٦٩/٥ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٠/١٠.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ٣٨١/١ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٠/١٠.

(٤) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٨٦.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٧/١٥.

٥ - هارون الرشيد

(١٤٥ -١٩٣ هـ/٧٦٢ -٨٠٨ م)

أبو جعفر هارون بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي العباسي خامس الخلفاء العباسيين ، ولد بالري لثلاث بقين من ذي الحجة سنة١٤٥هـ/٧٦٢ م في خلافة المنصور وبويع بالخلافة وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وأمّه أمّ ولد يمانية يقال لها الخيزران[١] ، وفي رواية أنه ولد أول يوم من المحرم سنة١٤٩هـ/٧٦٦م[٢] ، وكان الفضل بن بن يحيى ولد قبله بسبعة أيام ، وكان مولد الفضل لسبع بقين من ذي الحجة سنة١٤٨هـ /٧٦٥م ، فجعلت أم الفضل ظئراً للرشيد ، وهي زينب بنت منير ، فأرضعت الرشيد بلبان الفضل ، وأرضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيد[٣].

زوجاته :

تزوج الخليفة هارون الرشيد العديد من الحرائر والإماء وقد بلغ عددهنّ ثماني وعشرين وهم: أمة العزيز كانت جارية للربيع بن يونس فأهداها للمهدي فوهبها المهدي للهادي وولدت له بنيه الأكابر وبعد وفاته تزوجها الرشيد فأولها علي بن الرشيد وهي التي كان حلف لأخيه بالمشي إلى الكعبة أن لا يتزوجها ، فلما مات الهادي ، تزوّجها ومشى راجلاً من بغداد إلى مكّة ، وهو خليفة ، فولدت له علياً ، وكان أقبح الناس صورة[٤] ، وتزوج زبيدة واسمها أمّة العزيز وكنيتها أمّ جعفر بنت جعفر بن المنصور ، وإنما لقبت

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨/ ٢٣٠.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ٥٠٣/٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨/ ٢٣٠ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣١٨/٨.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٣.

زبيدة لأن جدها المنصور كان يحبها وكانت بيضاء سمينة فكان يقلبها ويرقصها ويقول لها: أنت زبيدة فعرفت بذلك[1] ، وأعرس بها الرشيد في سنة١٦٥هـ /٧٧٢ م في خلافة المهدي ببغداد فولدت له محمدا الأمين ، وماتت ببغداد في جمادى الأولى سنة٢١٦هـ/٨٣١ م ، وتزوج أمّ محمد ابنة صالح المسكين ، وأعرس بها بالرقة في ذي الحجة سنة١٨٧هـ/٨٠٢م وأمّها أمّ عبد الله ابنة عيسى بن علي كانت أملكت من إبراهيم بن المهدي ، ثم خلعت منه فتزوجها الرشيد ، وتزوج العباسة ابنة سليمان بن أبي جعفر ، وأعرس بها في ذي الحجة سنة١٨٧هـ/٨٠٢ م ، حُملت هي وأمّ محمد ابنة صالح إليه ، وتزوج عزيزة ابنة الغطريف ، وكانت قبله عند سليمان بن أبي جعفر فطلقها ، فخلف عليها الرشيد ، وهي ابنة أخي الخيزران ، وتزوج الجرشية العثمانية ، وهي ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وسميت الجرشية لأنها ولدت بجرش باليمن ، وجدة أبيها فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ، وعمّ أبيها عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، ومات الرشيد عن أربع مهائر: أمّ جعفر زبيدة ، وأمّ محمد ابنة صالح ، وعباسة ابنة سليمان ، والعثمانية[2].

كما تزوج الخليفة الرشيد زينب بنت عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، وأمّها أمّ ولد نوبية الأصل[3] ، فباتت عنده ليلةً ثم طلقها ، فلقبها أهل المدينة "زينب ليلة"[4] ، وقيل إنه أدخل عليها خادماً ليربطها بتكه لئلا تمتنع عليه ، فلما جاءها الخادم رفسته ، فكسرت له ضلعين من صدره ، فردها الرشيد إلى الحجاز وجعل لها في كل سنة أربعة آلاف دينار[5].

---

(١) ابن العمراني، الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٨٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٥٩/٨ -٣٦٠ ؛ ينظر أيضاً: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٣ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣١٩/٨.

(٣) ابن طباطبا ، أبناء الإمام، ص ١١٥.

(٤) الزبيري ، نسب قريش، ص ٧٣ ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ٥٢.

(٥) أبو نصر البخاري ، سر السلسلة العلوية، ص ٧٠ ؛ ابن الطقطقي ، الأصيلي في أنساب الطالبيين، ص ٢٨٣ ؛ العمري ، المجدي في أنساب الطالبيين، ص ٢٠٦.

أولاده وبناته

ذكر الطبري ولد الرشيد بالتفصيل فقال: وولد للرشيد من الرجال: محمد الأكبر وأمّه زبيدة ، وعبد الله المأمون وأمّه أمّ ولد يقال لها مراجل ، والقاسم المؤتمن وأمّه أمّ ولد يقال لها قصف ، ومحمد أبو إسحاق المعتصم وأمّه أمّ ولد يقال لها ماردة ، وعلي وأمّه أمة العزيز ، وصالح وأمّه أمّ ولد يقال لها رثم ، ومحمد أبو عيسى وأمّه أمّ ولد يقال لها عرابة ، ومحمد أبو يعقوب وأمّه أمّ ولد يقال لها شذرة ، ومحمد أبو العباس وأمّه أمّ ولد يقال لها خبث ، ومحمد أبو سليمان وأمّه أمّ ولد يُقال لها رواح ، ومحمد أبو علي وأمّه أمّ ولد يقال لها دواج ، ومحمد أبو أحمد وأمّه أمّ ولد يُقال لها كتمان.

ومن البنات: سكينة وأمّها قصف وهي أخت القاسم ، وأمّ حبيب وأمّها ماردة وهي أخت أبي إسحاق المعتصم ، وأروى أمّها حلوب ، وأمّ الحسن وأمّها عرابة ، وأمّ محمد وهي حمدونة ، وفاطمة وأمّها غصص واسمها مصفى ، وأمّ أبيها وأمّها سكر ، وأمّ سلمة وأمّها رحيق ، وخديجة وأمّها شجر ، وأمّ القاسم وأمّها خزق ، ورملة أمّ جعفر وأمّها حلى ، وأمّ علي أمّها أنيق ، وأمّ الغالية أمّها سمندل ، وريطة وأمّها زينه[(١)].

وقال ابن حبيب من أصهار الرشيد: (محمد بن صالح بن المنصور ، كانت عنده خديجة بنت الرشيد ، وجعفر بن الهادي ، كانت عنده أمّ محمد بنت الرشيد وهي حمدونة)[(٢)].

صفته وبعض أقواله:

وُصف الرشيد بأنه (كان تام الخلقة جميلاً ، طويلاً أبيض مسمناً ، قد وخطه الشيب ، له وفرة إذا حج حلقها ، وكان كامل الأخلاق سمحاً شجاعاً كثير الحج والجهاد ، حج في خلافته ثماني حجج وغزا ثماني غزوات)[(٣)] ، وَكَانَ به حول فِي فرد عين ، لا يتبين إلا لمن تأمله[(٤)].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ٨/٣٦٠ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٨/٣١٩ -٣٢٠.
(٢) المحبر، ص ٦١.
(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٩ ؛ ينظر أيضاً: ابن قتيبة، المعارف، ١/٣٨١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٣/٤٢٦.
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٨/٣١٩.

ووصفه الطبري بالقول: (كان الرشيد يصلي في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا ، إلاّ أن تعرض له علّة ، وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم بعد زكاته ، وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة ، وكان يقتفي آثار المنصور ، ويطلب العمل بها إلاّ في بذل المال ، فإنه لم ير خليفة قبله كان أعطى منه للمال ، ثم المأمون من بعده وكان لا يضيع عنده إحسان محسن ، ولا يؤخر ذلك في أول ما يجب ثوابه وكان يحب الشعراء والشعر ، ويميل إلى أهل الأدب والفقه ، ويكره المراء في الدين ، ويقول: هو شيء لا نتيجة له ، وبالحري إلاّ يكون فيه ثواب ، وكان يحب المديح ، ولاسيما من شاعر فصيح ، ويشتريه بالثمن الغالي)[1].

وفي أحدى الحجج روي(أن الرشيد لما حج دخل الكعبة ، وقام على أصابعه ، وقال: يا من يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمير الصامتين ، فإن لكل مسألة منك ردا حاضراً ، وجواباً عتيداً ، ولكل صامت منك علم محيط ناطق بمواعيدك الصادقة ، وأياديك الفاضلة ، ورحمتك الواسعة صل على محمد وعلى آل محمد ، واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا يا من لا تضره الذنوب ، ولا تخفى عليه العيوب ، ولا تنقصه مغفرة الخطايا يا من كبس الأرض على الماء ، وسد الهواء بالسماء ، واختار لنفسه الأسماء ، صل على محمد ، وخر لي في جميع أمري يا من خشعت له الأصوات بألوان اللغات يسألونك الحاجات ، إن من حاجتي إليك أن تغفر لي إذا توفيتني ، وصرت في لحدي ، وتفرق عني أهلي وولدي اللّهم لك الحمد حمداً يفضل على كل حمد كفضلك على جميع الخلق اللهم صلى على محمد صلاة تكون له رضا ، وصل على محمد صلاة تكون له حرزا ، وأجزه عنا خير الجزاء في الآخرة والأولى اللّهم أحينا سعداء وتوفنا شهداء ، واجعلنا سعداء مرزوقين ، ولا تجعلنا أشقياء محرومين)[2] ، وكَانَ

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ٣٤٧/٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٣٢٦/٨ ؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ١ ١٩١ -١٩٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٢٦/١٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٥٥/٨ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٢٠/٤.

الرشيد يكثر الحج والغزو واتخذ قلنسوة مكتوب عَلَيْهَا: غاز حاج[1].

وقال الجاحظ يصف الرشيد: (وكان الرشيد في أخلاق أبي جعفر المنصور، يمتثلها كلّها إلا في العطايا والصلات والخلع، فإنه كان يقفو فعل أبي العباس والمهدي، ومن خبرك أنه رآه قط وهو يشرب إلا الماء، فكذبه، وكان لا يحضر شربه إلا خاص جواريه، وربما طرب للغناء، فتحرك حركةً بين الحركتين في القلة والكثرة، وهو من بين خلفاء بني العباس، من جعل للمغنين مراتب وطبقات)[2].

وقال ابن الطقطقا العلوي: (كانت دولة الرشيد من أحسن الدول، وأكثرها وقاراً ورونقاً وخيراً وأوسعها رقعة مملكة، جبى الرّشيد معظم الدنيا، وكان أحد عمّاله صاحب مصر ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشّعراء والفقهاء، والقرّاء والقضاة والكتّاب والندماء ما اجتمع على باب الرشيد، وكان يصل كلّ واحد منهم أجزل صلة، ويرفعه إلى أعلى درجة، وكان فاضلاً شاعراً، راوية للأخبار والآثار والأشعار صحيح الذوق والتمييز، مهيباً عند الخاصّة والعامّة)[3].

سمع الحديث من مالك بن أنس[4]، وإبراهيم بن سعد الزهري[5]، وأكثر حديثه عَنْ آبائه، روى عنه: أبو يوسف القاضي[6] والشافعي[7][8]، وكان الرشيد شديد

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٢١/٨ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٢٥/٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٤/١٢.

(٢) التاج في أخلاق الملوك، ص ٣٥.

(٣) الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٩٥.

(٤) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي إمام أهل المدينة وصاحب المذهب وله كتاب الموطأ في الحديث توفي سنة ١٧٩ هـ/ ٧٩٥ م، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٤٦٥/٥ -٤٦٩.

(٥) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري يكنى أبا إسحاق كان كثير الحديث ثقة سكن بغداد ومات بها سنة ١٨٣ هـ/٧٩٩ م، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٤٧٥/٥.

(٦) يوسف بن يعقوب بن إبراهيم قاضي القضاة وصاحب كتاب الخراج وصاحب أبي حنيفة وتوفي سنة ١٩٢ هـ/ ٨٠٧ م، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٢٤٢/٧ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٧٢/٩ -٨١.

(٧) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المطلبي القرشي فقيه ومحدث وصاحب المذهب المعروف به دخل بغداد ثم رحل إلى مصر وتوفي بها سنة ٢٠٤ هـ/٨١٩ م، ينظر: ابن حبان، الثقات، ٣١/٩.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، ٣١٩/٨.

التواضع لأهل العلم والدين ، فذكر أن أبا معاوية الضرير[1] أكل مع الرشيد يوماً فقام فصب عليه الماء ، فقال له: أتدري من يصب عليك الماء ، قال: لا: قال: أنا ، قلت: أنت ياأمير المؤمنين؟ قال: نعم ، إجلالاً للعلم[2].

ومما رواه الرشيد من الحديث النبوي ، قال: (حدثني مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن أنس قال: قال النبي﴿ ﷺ﴾: (اتقوا النار ولو بشق تمرة[3])[4].

وقال: (حدثني محمد بن علي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن علي بن أبي طالب قال: قال النبي﴿ ﷺ﴾: (نظفوا أفواهكم فإنها طريق القرآن[5])[6].

وللرشيد بعض الشعر وصف بأنه حَسَن ، منها ما قاله في ثلاث جوارٍ له:

ما لي تطاوعني البرية كلها	**وأطيعهن وهن في عصياني؟**
مَا ذاك إلا أن سُلْطَانَ الهوى	**وبه قوين أعز من سلطاني[7]**

ومن شعره ما قاله في ماردة أمّ المعتصم:

وإذا نظرت إلى محاسنها	**فبكلّ موقع نظرة نبل**
وتنال منك بحدّ مقلتها	**ما لا ينال بحدّه النصل**

---

(1) أبو معاوية الضرير محمد بن خازم مولى بني تميم كان ثقة كثير الحديث يدلس، توفي سنة ١٩٥هـ/٨١٠ م، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٣٦٤/٦.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٢٣/٨ ؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٩٢ -١٩٣.

(3) الحديث أخرجه جماعة، منهم: ابن حنبل، مسند أحمد، ١٩٧/٤ ؛ البخاري، صحيح البخاري، ١٠٩/٢ ولفظه: قال رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) ؛ مسلم، صحيح مسلم، ٧٠٤/٢ ولفظه قال رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) ؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ١٢٨/١ باختلاف اللفظ ؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٦١١/٤.

(4) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٥٠.

(5) أخرجه جماعة، منهم: قاضي المارستان، مشيخة قاضي المارستان، ٨٧٨/٢ ؛ الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، ٢٤٨/٤ ؛ السلفي، معجم السفر، ص ٢٦٦ ؛ ابن حجر، لسان الميزان، ٤٣٧/٥ وقال: (قال الدارقطني: هذا باطل لا يصح) ؛ جرار، الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء، ٧٣/٥.

(6) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٥٠.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٢٦/٨.

ولقلبهــــا حلـــم يباعدهـــا عـــن ذي الهـــوى ولطرفهـــا جهـــل
ولوجههـــا مـــن وجههـــا قمـــر ولعينهـــا مـــن عينهـــا كحـــل[١]

لقبه

لقبه أبوه المهدي الرشيد سنة١٦٦هـ/٧٨٢ م وجعله ولي عهده بعد موسى الهادي[٢] ، ويكنى أبا جعفر[٣] ، وقيل: كان يكنى بأبي موسى ثم تكنى بأبي جعفر[٤].
جعفر[٤].

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه: (بالله يثق هارون)[٥].

وفاته

قال الأصمعي[٦]: (دخلت علىِ الرشيد وهو ينظر في كتاب ودموعُه تنحدر على خَدَّيه ، فظللت قائماً حتى سكن ، وحان منه التفاتة فقال: أجلس يا أصمعي ، أرأيت ما كان؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين ، قال: أما والله لو كان لأمر الدنيا ما رأيت هذا ، ورمى بقرطاس فإذا فيه شعر لأبي العتاهية بخط جليل ، وهو:

هـــل أنـــت مُعتـــبرٌ بمـــن خَلِيَـــت منـــه غَـــدَاةَ مضـــى دســـاكره
وبمـــن أذلَّ المـــوت مصـــرعه فتـــبرأت منـــه عشائـــره
وبمـــن خَلَـــتْ منـــه أسِرتُـــه وبمـــن خلـــت منـــه منابـــره
أيـــن الملـــوك وأيـــن غيرهُـــم؟ صـــاروا مصـــيراً أنـــت صـــائره

---

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١٢٧/٦.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٥٤/٨.
(٣) ابن قتيبة، المعارف، ٣٨١/١ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٩.
(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٦.
(٥) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٩.
(٦) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي صاحب لغة ونحو وأخبار ونوادر، من أهل البصرة أحضره الخليفة الرشيد إلى بغداد وقربه إليه، وله العديد من المؤلفات، وتوفي سنة ٢١٧ هـ/٨٣٢ م، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٧٠/٣ -١٧٥.

يـــا مُــــؤثر الـــدنيا بلذتـــــه والمســـــتعد لمــــــن يفـــــاخره
نَــــلْ مـــا بـــدا لـــك إن تنـــال مـــن الـــدنيا فـــإن المـــوت آخــــره

ثم قال الرشيد: كأني واللّه أخاطَبُ بذلك دون الناس فلم يلبث بعد إلا يسيراً حتى مات)[1].

ففي صفر من سنة١٩٣هـ/٨٠٨ م كان الخليفة هارون الرشيد بطوس حيث وجه ابنه المأمون وبعض قادته لمقاتلة رافع بن الليث[2] ، فأصاب الرشيد وجع أقعده عن المسير ، وحكى طبيبه جبريل بن بختيشوع قصة علة الرشيد ووفاته فقال: (كنت مع الرشيد بالرقة ، وكنت أول من يدخل عليه في كل غداة ، فأتعرف حاله في ليلته ، فإن كان أنكر شيئاً وصفه ، ثم ينبسط فيحدثني بحديث جواريه وما عمل في مجلسه ، ومقدار شربه ، وساعات جلوسه ، ثم يسألني عن أخبار العامة وأحوالها ، فدخلت عليه في غداة يوم ، فسلمت فلم يكد يرفع طرفه ، ورأيته عابسا مفكراً مهموماً ، فوقفت بين يديه ملياً من النهار ، وهو على تلك الحال ، فلما طال ذلك أقدمت عليه ، فقلت: يا سيدي ، جعلني الله فداك ! ما حالك هكذا ، عله فأخبرني بها ، فلعله يكون عندي دواؤها ، أو حادثة في بعض من تحب فذاك ما لا يدفع ولا حيلة فيه إلا التسليم والغم ، لأدرك فيه ، أو فتق ورد عليك في ملكك ، فلم تخل الملوك من ذلك ، وأنا أولى من أفضيت إليه بالخبر ، وتروجت إليه بالمشورة فقال: ويحك يا جبريل! ليس غمي وكربي لشيء مما ذكرت ، ولكن لرؤيا رأيتها في ليلتي هذه ، وقد أفزعتني وملأت صدري ، وأقرحت قلبي ، قلت: فرجت عني يا أمير المؤمنين ، فدنوت منه ، فقبلت رجله ، وقلت: أهذا الغم كله لرؤيا! الرؤيا إنما تكون من خاطر أو بخارات رديئه أو من تهاويل السوداء ، وإنما هي أضغاث أحلام بعد هذا كله قَالَ: فأقصها عليك ، رأيت كأني جالس على سريري هذا ، إذ بدت من تحتي ذراع أعرفها وكف أعرفها ،

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٣/٢٦٥.

(٢) هو رافع بن الليث بن نصر بن سيار ثار بسمرقند وخلع طاعة الخليفة الرشيد واستمر حتى المأمون حيث طلب منه الأمان فأمنه سنة ١٩٤ هـ/٨٠٩ م، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٣٨٣ – ٣٨٤، ٤٠٢ ؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٩٦ -١٩٧.

لا أفهم اسم صاحبها ، وفي الكف تربة حمراء ، فقال لي قائل أسمعه ولا أرى شخصه: هذه التربة التي تدفن فيها ، فقلت: وأين هذه التربة؟ قَالَ: بطوس وغابت اليد وانقطع الكلام ، وانتبهت فقلت: ياسيدي ، هذه والله رؤيا بعيدة ملتبسة ، أحسبك أخذت مضجعك ، ففكرت في خراسان وحروبها وما قد ورد عليك من انتقاض بعضها قَالَ: قد كان ذاك ، قَالَ: قلت: فلذلك الفكر خالطك في منامك ما خالطك ، فولد هذه الرؤيا ، فلا تحفل بها جعلني الله فداك! وأتبع هذا الغم سروراً ، يخرجه من قلبك لا يولد علة قَالَ: فما برحت أطيب نفسه بضروب من الحيل ، حتى سلا وانبسط ، وأمر بإعداد ما يشتهيه ، ويزيد في ذلك اليوم في لهوه ، ومرت الأيام فنسي ، ونسينا تلك الرؤيا ، فما خطرت لأحد منا ببال ، ثم قدر مسيره إلى خراسان حين خرج رافع ، فلما صار في بعض الطريق ، ابتدأت به العلة فلم تزل تتزايد حتى دخلنا طوس ، فنزلنا في منزل الجنيد بن عبد الرحمن في ضيعة له تعرف بسناباذ ، فبينا هو يمرض في بستان له في ذلك القصر إذ ذكر تلك الرؤيا ، فوثب متحاملاً يقوم ويسقط ، فاجتمعنا إليه ، كل يقول: يا سيدي ما حالك؟ وما دهاك؟ فقال: ياجبريل ، تذكر رؤياي بالرقة في طوس؟ ثم رفع رأسه إلى مسرور ، فقال: جئني من تربة هذا البستان ، فمضى مسرور ، فأتى بالتربة في كفه حاسراً عن ذراعه ، فلما نظر إليه قَالَ: هذه والله الذراع التي رأيتها في منامي ، وهذه والله الكف بعينها ، وهذه والله التربة الحمراء ما خرمت شيئاً ، وأقبل على البكاء والنحيب ثم مات بها والله بعد ثلاثة ، ودفن في ذلك البستان)[1].

وفي رواية أن جبريل بن بختيشوع كان غلط على الرشيد في علته في علاج عالجه به ، كان سبب منيته ، فكان الرشيد همّ ليلة مات بقتله ، وأن يفصله كما فصل أخا رافع[2] ، ودعا بجبريل ليفعل ذلك به ، فقال له جبريل: انظرني إلى غد يا أمير

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٤٣/٨ -٣٤٤ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ١٥/٤ -١٧ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢٣٠/٩.

(٢) يذكر أن الخليفة الرشيد عند جيء به بأخي رافع بشير بن الليث أسيراً قطعه إرباً، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٤٢/٨.

المؤمنين ، فإنك ستصبح في عافية فمات في ذلك اليوم)[1].

وروى الطبري عن جمّال كان مع الرشيد في طوس إذ حضرته الوفاة فقال: (احفروا لي قبراً قبل أن أموت ، فحفروا له ، قَالَ: فحملته في قبة أقود به ، حتى نظر إليه قَالَ ، فقال: يا بن آدم تصير إلى هذا! وذكر بعضهم أنه لما اشتدت به العلة أمر بقبره فحفر في موضع من الدار التي كان فيها نازلاً ، بموضع يسمى المثقب ،... ، فلما فُرغ من حفر القبر ، أنزل فيه قوماً فقرءوا فيه القرآن حتى ختموا ، وهو في محفة على شفير القبر)[2].

وروي عن سهل بن صاعد[3] قال: (قَالَ: كنت عند الرشيد في بيته الذي قبض فيه ، وهو يجود بنفسه ، فدعا بملحفة غليظة فاحتبى بها ، وجعل يقاسي ما يقاسي ، فنهضت فقال لي: أقعد يا سهل ، فقعدت وطال جلوسي لا يكلمني ولا أكلمه ، والملحفة تنحل فيعيد الاحتباء بها ، فلما طال ذلك نهضت ، فقال لي: إلى أين يا سهل؟ قلت: يا أمير المؤمنين ، ما يسع قلبي أن أرى أمير المؤمنين يعاني من العلة ما يعاني ، فلو اضطجعت يا أمير المؤمنين كان أروح لك! قَالَ: فضحك ضحك صحيح ، ثم قَالَ: يا سهل إني أذكر في هذه الحال قول الشاعر:

وإني من قوم كرام يزيدهم شماساً وصبراً شدة الحدثان)[4].

قال المسعودي: (لما اشتدت علة الرشيد وصار إلى طوس سنة ثلاث وتسعين ومائة هَوَّنَ عليه الأطباء علَّته ، فأرسل إلى متطبب فارسي كان هناك ، فأراه ماءه مع قوارير شتى ، فلما انتهى إلى قارورته قال: عَرِّفُوا صاحب هذا الماء إنه هالك فليوص فإنه لا براء له من هذه العلة ، فبكى الرشيد وجعل يردد هذين البيتين:

إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع محذور القضا

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٤٤/٨ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٤/١٣.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ٣٤٤/٨ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٥/١٣.

(٣) كان قهرمان الرشيد ثم ولده المأمون، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٧١/٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٤٤/٨ -٣٤٥ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١٨/٤ -١٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٨٩/٥.

مـــا للطبيـــب يمـــوت بالـــداء الـــذي قد كان يبرىء مثله فيما مضى؟)[1]

وروي عن مسرور الكبير[2] أنه قال: (لما حضرت الرشيد الوفاة ، وأحس بالموت ، أمرني أن أنشر الوشي فآتيه بأجود ثوب أقدر عليه وأغلاه قيمة ، فلم أجد ذلك في ثوب واحد ، ووجدت ثوبين أغلى شيء قيمة ، وجدتهما متقاربين في أثمانهما ، إلاّ أن أحدهما أغلى من الآخر شيئاً ، وأحدهما أحمر والآخر أخضر ، فجئته بهما ، فنظر إليهما وخبرته قيمتهما ، فقال: اجعل أحسنهما كفني ، ورد الآخر إلى موضعه)[3].

وروي أنه لما حضر الأطباء لتمريضه قال:

إن الطبيـــب بطبـــه ودوائـــه لا يســـتطيع دفـــاع محـــذور جـــرى

مـــا للطبيـــب يمـــوت بالـــداء الـــذي قـد كـان يشـفى مثلـه فيمـا مضـى

فلما اشتد به الوجع قال للفضل بن الربيع: يا عباسي ، ما تقول الناس؟ قال: يقولون ، إن شأني أمير المؤمنين قد مات ، فأمر أن يسرج له حمار ليركبه ، ويخرج ، فاسرج له ، وحُمل حتى وضع على السرج ، فاسترخت فخذاه ولم يستطع الثبوت ، فقال: أرى الناس قد صدقوا)[4] ، ثم أمر بحفر قبر له فلما اطلع فيه قال: (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ(٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ(٢٩))[5] ، ثم (دعا من كان بعسكره من بني هاشم فقال: إن كل مخلوق ميت ، وكل جديد بَال ، وقد نزل بي ما ترون وأنا أوصيكم بثلاث: الحفظ لأمانتكم ، والنصيحة لأئمتكم ، واجتماع كلمتكم وانظروا محمداً وعبد الله فمن بغى منهما على صاحبه فردُوهُ عن بغيه وقبحوا له بغيه ونكثه ، وأقطع في ذلك اليوم أموالاً كثيرة وضياعاً ورباعاً)[6].

---

(١) مروج الذهب، ٢٦٤/٣.

(٢) مسرور الكبير كان أحد خدم الرشيد ومن خاصته وبقي إلى أيام المعتصم، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٨/٨ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٤١/١١.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٤٥/٨.

(٤) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٩٢.

(٥) سورة الحاقة، آية ٢٨، ٢٩.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ٢٦٥/٣.

وتوفي الخليفة الرشيد في موضع يدعى المثقب في منتصف الليل ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة من سنة١٩٣ هـ/٨٠٨م ، وصلى عليه ابنه صالح ، وحضر وفاته الفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح ، ومن خدمه مسرور وحسين ورشيد ، وعمره خمس وأربعين سنة ، وقيل كان سنُّه يوم توفي سبعاً وأربعين سنة[١] ، وقيل توفي وهو ابن أربع وأربعين سنة فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة[٢].

وقال أبو الشيص[٣] يرثي هارون الرشيد:

غربت في الشرق شمس	فلها عينان تدمع
ما رأينا قط شمسا	غربت من حيث تطلع[٤]

وقال يرثي هارون الرشيد ويمدح ابنه محمد الأمين:

جرت جوار بالسعد والنحس	فنحن في وحشة وفي أنس
العين تبكي والسّنّ ضاحكة	فنحن في مأتم وفي عرس
يضحكنا القائم الأمين	ويبكينا وفاة الإمام بالأمس
بدران بدر أضحى ببغداد في	الخلد وبدر بطوس في الرّمس[٥]

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٩ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٤٥/٨ ؛ المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ١٠٧/٦ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١٩/٤.

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٩.

(٣) أبو الشيص محمد بن عبد الله بن رزين الخزاعي وهو شاعر مطبوع عاصر الرشيد وتوفي سنة ١٩٦ هـ/ ، ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٨٣٢/٢ -٨٣٧ ؛

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٦٤/٨.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٤٩/٣ .

٦ - محمد الأمين

(١٧٠ - ١٩٨ هـ/٧٨٦ - ٨١٣ م)

أبو موسى محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي العباسي سادس الخلفاء العباسيين ، أمّه زبيدة أمة العزيز أمّ جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وقيل إنها كانت(لا تعلق من الرشيد ، فشاور بَعْضَ مجالسيه من الحكماءِ وشكا ذلك إليه ، فأشار عليه بأن يُغيِرَها ، فأن إبراهيم الخليل عليه السلام كانت عنده سارة ، فلم تكن تعلق منه ، فلما وهبت له هاجر علقت منه بإسماعيل فغارت سارة عند ذلك ، فعلقت بإسحاق ، فأشترى الرشيد أمّ المأمون ، فاستخلاها ، فعلقت بالمأمون ، فغارت أمّ جعفر عند ذلك فعلقت بمحمد)[١] ، وذكر بعض المؤرخين أنه ولم يكن فيما سلف من الخلفاء قبله من أبوه وأمّه من بني هاشم ، إلاّ علي بن أبي طالب والحسن بن علي ومحمد بن زبيدة[٢].

ولد محمد بن هارون الرشيد سنة١٧٠هـ/٧٨٦م ، وقيل سنة١٧١هـ/٧٨٧ م وولِّيّ الخلافة يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة١٩٣هـ/٨٠٨م ، وقتل ليلة الأحد لست بقين من صفر سنة١٩٧هـ/٨١٣م وقيل بل قتل لليلتين خلتا من محرم سنة١٩٨ هـ/٨١٣م ، فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام وعمره ثمان وعشرين سنة[٣].

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٢٨٣/٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٢٨٦/٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧٤٧/٢.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٤٦٨ ؛ ابن حبيب، المحبر، ص ٣٩ ؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٤٠٠ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٩٨/٨ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف،=

زوجاته وأولاده

تزوج جارية اسمها نظم فولت له ابنه موسى وهو الذي ولاه عهده وخلع أخاه المأمون ولقبه الناطق بالحق وهو صبي صغير[١] ، وله ابن آخر اسمه عبد الله ولقبه أبوه القائم بالحق[٢] أمّه أمّ ولد[٣] ، وماتت نظم في حياته فاشتدّ جزعه عليها ، فدخلت أمّه زبيدة معزية له ، فقالت:

نفسي فداؤك لا يذهب بك التلف	ففي بقائك ممّن قد مضى خلف
عوّضت موسى فكانت كلّ مرزئة	ما بعد موسى على مفقودة أسف[٤]

كما تزوج لبابة بنت علي بن المهدي إلا أنه لم يدخل بها فقالت حين قتل:

أبكيك لا للنعيم والأنس	بل للمعالي والرمح والفرس
أبكي على هالك فجعت به	أرملني قبل ليلة العرس[٥]

وقال ابن حزم: (ولد محمد الأمين أمير المؤمنين: موسى الناطق بالحق ، ولاه العهد ، ولم يتمّ له أمر ، ومات وله أربعة عشر عاماً ، لا عقب له ، وعبدالله ، كان شاعراً ، طال عمره ، وإبراهيم ، مات صغيراً ، العقب منهم لعبد الله وحده ، أدرك عبد الله أيام المعتمد)[٦].

وذكر ابن عبد ربه أنه(كان لجعفر بن موسى الهادي جارية اسمها بذل ، فطلبها

=ص ٣٠١ -٣٠٢ ؛ مروج الذهب، ٢٨٠/٣ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٠٧/٤ -١٠٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٥٢/٥.

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٤/٥ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٠٠ ؛ مروج الذهب، ٣/ ٢٨٤، ٢٨٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٠٧/٥ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٩/١٣ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٤٣/١٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤١١/٥

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٥/٥.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٥/٥.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٣١/٢ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣٠٠/٣ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٧٠/١٠ -٧١ ؛

(٦) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤.

الأمين منه فأبى عليه ، وكان شديد الوجد بها ، فزاره الأمين يوماً ، فسر به وزاد عليه في الشرب حتى ثمل ، فانصرف وأخذ الجارية ، فلما أصبح جعفر ندم على ما جرى ولم يدر ما يصنع فدخل على الأمين ، فلما مثل بين يديه ، قال له: أحسنت والله يا جعفر بدفعك بذل إلينا وما أحسنّا ، وأقر رزقه على عشرين ألف ألف درهم)[1].

لقبه وكنيته

لما بلغ عمره خمس سنين ولاه أبو الرشيد ولاية العهد ولقبه الأمين وذلك سنة ١٧٥هـ/[2] ، ولقبته بعض المصادر بالمخلوع[3] كونه خُلع من الخلافة ، وكان يكنى أبا موسى ، وقيل: أبا عبدالله[4].

صفته وبعض أقواله

يبدو أن خلعه لأخيه المأمون ثم غلبة المأمون على الحكم وطول عهد الأخير جعل العديد من المؤرخين يحملون على الأمين ويلصقون به كل ذميمة ، فمن ذلك ما روي أن أمّه(زُبَيْدَةَ رأت في المنام ليلة عَلقَتْ بمحمد كأن ثلاث نسوة دخلن عليها وهي بمجلس ، قعدت اثنتان عن يمينها وواحدة عن يسارها ، فدنت أحداهن ، فجعلت يدها على بطن أمّ جعفر ، ثم قالت: ملك فخم عظيم ، ثقيل الحمل ، نكد الأمر ، ثم فعلت الثانية كما فعلت الأولى ، وقالت: ملك ناقص الجد ، مفلول الحد ، ممذوق الود ، تجور أحكامه ، وتخونه أيامه ، ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية ، وقالت: ملك قصاف ، عظيم الإيلاف ، كثير الخلاف ، قليل الأنصاف ، قالت: فأستيقظت وأنا فَزِعَة ، فلما كان في الليلة التي وضعتُ فيها محمداً دخلنَّ عَلَّيَ وأنا نائمة كما كُنَ دخلنّ ، فقعدن عند رأسي ، ونظرن في وجهي ، ثم قالت إحداهن: شجرة نضرة ،

---

(١) العقد الفريد، ٣٧٥/٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٤٠/٨ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢٨٩/٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٨٨/٥

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٤٦٦ ؛ الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص ٤٠ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١١٠/٤ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٠٨/٤.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٩٨/٨ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٠٠ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٠٨/٤ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢١٨/٩.

وريحانة حسنة ، وروضة زاهرة ، ثم قالت الثانية: عين غدقة قليل لبثها سريع فناؤها عجل ذهابها ، وقالت الثالثة: عدو لنفسه ، ضعيف في بطشه ، سريع إلى غشه ، مُزَال عن عرشه ، فأستيقظت من نومي وأنا فَزِعَة بذلك ، وأخبرت بذلك بعض قَهَارِمتي ، فقالت: بعض ما يطرق النائم ، وعبث من عبث التوابع ، فلما تم فصاله أخذت مرقدي ليلة ومحمد أمامي في مهلي ، إذ بهن قد وقفن على رأسي وأقبلن على ولدي محمد ، فقالت أحداهن: ملك جبار ، متِّلاف مهذار ، بعيد الآثار ، سريع العثار ، ثم قالت الثانية: ناطق مخصوم ، ومحارب مهزوم ، وراغب محروم ، وشقي مهموم ، وقالت الثالثة: احفروا قبره ، ثم شقوا لحده ، قدموا أكفانه ، وأعدوا جهازه ، فإن موته خير من حياته ، قالت: فأستيقظت وأنا مضطربة وَجِلَة ، وسألت مفسري الأحلام والمنجمين ، فكل يخبرني بسعادته وحياته وطول عمره ، وقلبي يأبى ذلك ، ثم زجرت نفسي وقلت: وهل يدفع الإشفاق والحذر والإحترُاز واقعَ القدر ، أو يقدر أحد أن يدفع عن أحبابه الأجل؟)[1].

فقد وصف المسعودي الأمين بالقول: (وكان حسن الوجه ، تام القامة ، أبيض مسمناً ، صغير العينين ، بعيد ما بين المنكبين ، شديداً في بدنه ، باسطاً يده بالعطاء ، قبيح السيرة ، ضعيف الرأي ، سفاكاً للدماء ، يركب هواه ويهمل أمره ، ويتكل في جليلات الخطوب على غيره ، ويثق بمن لا ينصحه)[2] ، كما وصفه أيضاً بقوله: (كان محمد في نهاية الشدة والقوة والبطش والبهاء والجمال ، إلا أنه كان عاجز الرأي ضعيف التدبير ، غير مفكر في أمره ، وحكي أنه اصطبح يوماً ، وقد كان خرج أصحاب اللبابيد والحراب على البغال - وهم الذين كانوا يصطادون السباع-إلى سبع كان بلغهم خبره بناحية كوثى والقصر ، فاحتالوا في السبع إلى أن أتوا به في قفص من خشب على جمل بُختي ، فَحُطَّ بباب القصر وأدخل ، فمثل في صحن والأمين مصطبح ، فقال: خلوا عنه وشيلوا باب القفص ، فقيل له: يا أمير المؤمنين ، أنه سبع

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٢٨١/٣.

(٢) التنبيه والإشراف، ص ٣٠٢.

هائل أسود وحش ، فقال: خلوا عنه ، فشالوا باب القفص ، فخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور ، فزأر وضرب بذنبه إلى الأرض ، فتهارب الناس ، وغلقت الأبواب في وجهه ، وبقي الأمين وحده جالساً في موضعه غير مكترث بالأسد ، فقصده الأسد حتى دنا منه ، فضرب الأمين بيده إلى مرفقة أرمنية ، فأمتنع منه بها ، ومًدّ السبع يد إليه ، فجذبها الأمين وقبض على أصل إذنيه ، وغمزه ثم هَزَّه أو دفع به إلى خلف فوقع السبع ميتاً على مؤخره ، وتبادر الناسُ الأمين فإذا أصابعه ومفاصل يديه قد زالت عن مواضعها ، فأتي بمجبر فرد عظام أصابعه إلى مواضعها ، وجلس كأنه لم يعمل شيئاً ، فشقوا بطن الأسد فإذا مرارته قد أنشقت عن كبده)[1].

كما وصفه الجاحظ بقوله: (ما كان أعجب أمره كله ! فأما تبذله ، فما كان يبالي أين قعد ، ومع من قعد ، وكان ، لو كان بينه وبين ندمائه مائة حجاب ، خرقها كلها ، وألقاها عن وجهه ، حتى يقعد حيث قعدوا ، وكان من أعطى الخلق لذهبٍ وفضة ، وأنهبهم للأموال إذا طرب أو لها)[2].

ووصفه ابن الأثير بالقول: (كَانَ سَبْطًا ، أَنْزَعَ ، صَغِيرَ الْعَيْنَيْنِ ، أَقْنَى ، جَمِيلًا ، طَوِيلًا ، عَظِيمَ الْكَرَادِيسِ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ)[3] ، ثم ذمه ابن الأثير وقال: (وَلَمْ نَجِدْ فِي سِيرَتِهِ مَا يُسْتَحْسَنُ ذِكْرُهُ مِنْ حِلْمٍ ، أَوْ مَعْدَلَةٍ ، أَوْ تَجْرِبَةٍ ، حَتَّى نَذْكُرَهَا)[4].

وقال ابن العمراني: كان الأمين(أقنى أنزع طويلُ القامة والعنق ، أبيض الوجه أسود العينين أسود الشعر بعيد ما بين الكتفين متواضعاً في كلامه وجلوسه ، سخيّا بكل ما يملك)[5].

أما ابن الطقطقي فذكر أن الأمين كان(كثير اللهو واللّعب ، منقطعاً إلى ذلك مشتغلا به عن تدبير مملكته ،... كان الأمين فصيحاً بليغاً كريماً وفيه يقول بعض

(١) مروج الذهب، ٢٨٥/٣ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥٨/١٣.

(٢) التاج في أخلاق الملوك، ص ٤٠.

(٣) الكامل في التاريخ، ٤٥٣/٥.

(٤) الكامل في التاريخ، ٤٥٩/٥.

(٥) الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٩٥.

الشعراء يمدحه ، ويعرّض بهجو المأمون أخيه:

لم تلـــــــــده أمـــــــــة تعـــرف في السّـــوق التّجـــارا

لا ولا، حـــــدّ ولا خـــــان ولا في الخـــــزي جــــارا

يعرّض بالمأمون ، لأن الرشيد كان قد حدّه في خمر)[1].

ووصفه الذهبي بالقول: (كان مِن أحسن الشباب صورة ، أبيض ، طويلاً ، جميلاً ، ذا قوّة مُفْرِطة وبطْش وشجاعة معروفة ، وفصاحة ، وأدب ، وفضيلة ، وبلاغًا ، لكن كَانَ يسيء التدبير ، كثير التبذير ، ضعيف الرأي ، أرعن ، لا يصلُح للإمارة)[2].

وقال عنه ابن تغري بري: (كان الأمين من أحسن الشباب صورة: كان أبيض طويلاً جميلاً ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة معروفة وفصاحة وأدب وفضيلة وبلاغة ، لكنه كان سيىء التدبير ضعيف الرأي أرعن مبذّراً للأموال لا يصلح للخلافة ، وكان مدمناً للخمر ، منادماً للفساق والمغاني والمساخر ، واشترى عريب المغنية بمائة ألف دينار ، واحتجب عن إخوانه وأهل بيته ، وقسّم الأموال والجواهر في النساء والخصيان)[3].

أما حديثه ، فذكر أنه سمع الكثير وأسند ، ومن روايته قال: (حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيه ، عَنِ الْمَنْصُورِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ أبيه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﴿ﷺ﴾ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ مُحْرِمًا حُشِرَ مُلَبِّيًا[4])[5].

وخطب الناس عندما تولى الخلافة فقال: (أيها الناس إن المنون تراصد ذوى الأنفاس حتماً من الله ، لا يدفع حلولها ، ولا ينكر نزولها ، فاسترجعوا قلوبكم عن

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢١٢.

(٢) تاريخ الإسلام، ٣٨٢/١٣.

(٣) النجوم الزاهرة، ١٦٠/٢.

(٤) أخرجه جماعة، منهم: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٠٨/٤ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢١٣/٥٦ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٠ ؛ الألباني، ضعيف الجامع الصغير، ص ٨٤٣ وقال: ضعيف.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٢١٨/٩.

الجزع على الماضي ، إلى البهج للباقي ، تعطوا أجور الصابرين ، وجزاء الشاكرين)[1].

ولما حوصر في بغداد وسمع أصوات المحاصرين له من ناحية والمدافعين عنه من ناحية أخرى قال: (لعن الله الفريقين: أما أحدهما ، فيطلب دمي! وأما الآخر ، فيطلب مالي)[2].

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه: نعم القادر الله ، وقيل: سائل الله لا يخيب[3] ، وقيل: (محمد واثق بالله)[4].

وفاته

لما اشتعلت الفتنة بين الأمين والمأمون وأرسل الأخير قادته وجيشه إلى بغداد وعلى رأسهم طاهر بن الحسين[5] وهرثمة بن أعين وآيس الأمين من المقاومة بعد تفرق أتباعه وأشاروا عليه بالاستسلام وطلب الصلح والخروج إلى طاهر بن الحسين ، فقال لهم الأمين: (ويحكم! أنا أكره طاهراً ، وذلك أني رأيت في منامي كأني قائم على حائط من آجر شاهق في السماء ، عريض الأساس وثيق ، لم أر حائطاً يشبهه في الطول والعرض والوثاقة ، وعلى سوادي ومنطقتي وسيفي وقلنسوتي وخفي ، وكان طاهر في أصل ذلك الحائط ، فما زال يضرب أصله حتى سقط الحائط وسقطت ، وندرت قلنسوتي من رأسي ، وأنا أتطير من طاهر ، وأستوحش منه ، وأكره الخروج إليه لذلك ، وهرثمة مولانا وبمنزلة الوالد ، وأنا به أشد أنساً وأشد ثقة)[6] ، وكان يقول

---

(١) التوحيدي، البصائر والذخائر، ١٧٧/٨ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٠٨/٤ -١٠٩ ؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢١٩/٤.

(٢) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٨٤.

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٠٢.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٤/٥.

(٥) طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن أسعد بن زاذان أحد قواد المأمون بعثه لقتال أخيه الأمين فظفر به وقتله، وتوفي هو سنة ٢٠٧ هـ/٨٢٢ م، ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ١٦٥/١٠ -١٦٨.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٨٠/٨ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ١٠٠/٤ -١٠١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٤٨/٥.

عندما طلب منه طاهر بن الحسين أن ينزل على حكمه: (لا والله لا أنزل على حكم عبد السوء العاض بظر أمّه وما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت عليّ)[1].

ولما عزم على الخروج إلى هرثمة ودع أهله وأبناءه وهو يبكي ، وعمل طاهر بن الحسين على وضع العيون عليه ، وكان هرثمة قد هيأ له زورقاً فلما ركب هاجمه أصحاب طاهر وكاد محمد الأمين أن يغرق فأخذوه وأودعوه السجن أحمد بن سلام صاحب المظالم الذي كان يحكي قصة مقتل الخليفة الأمين ، قال: أخذني جند طاهر وأودعوني السجن ثم أدخلوا عليّ رجل عريان عليه سراويل وعمامة ، قال: (فلما استقر في البيت حسر العمامة عن وجهه ، فإذا هو محمد ، فاستعبرت واسترجعت فيما بيني وبين نفسي قَالَ: وجعل ينظر إليّ ، ثم قَالَ: أيهم أنت؟ قَالَ: قلت: أنا مولاك ياسيدي ، قَالَ: وأي الموالي؟ قلت: أحمد بن سلام صاحب المظالم ، فقال: وأعرفك بغير هذا ، كنت تأتيني بالرقة؟ قَالَ: قلت: نعم ، قَالَ: كنت تأتيني وتلطفني كثيراً ، لست مولاي بل أنت أخي ومني ثم قَالَ: يا أحمد ، قلت: لبيك يا سيدي ، قال: أدن منى وضمني إليك ، فأني أجد وحشة شديدة قَالَ: فضممته إليّ ، فإذا قلبه يخفق خفقاً شديداً كاد أن يفرج عن صدره فيخرج قَالَ: فلم أزل أضمه إلي وأسكنه قَالَ: ثم قَالَ: ياأحمد ، ما فعل أخي؟ قَالَ: قلت: هو حي ، قَالَ: قبح الله صاحب بريدهم ما أكذبه! كان يقول: قد مات ، شبه المعتذر من محاربته ، قال: قلت: بل قبح الله وزراءك! قَالَ: لا تقل لوزرائي إلا خيراً ، فما لهم ذنب ، ولست بأول من طلب أمراً فلم يقدر عليه قَالَ: ثم قَالَ: يا أحمد ، ما تراهم يصنعون بي؟ أتراهم يقتلوني أو يفون لي بأيمانهم؟ قَالَ: قلت: بل يفون لك يا سيدي قَالَ: وجعل يضم على نفسه الخرقة التي على كتفيه ، ويضمها ويمسكها بعضده يمنة ويسرة قَالَ: فنزعت مبطنة كانت عليّ ثم قلت: يا سيدي ، ألق هذه عليك قَالَ: ويحك! دعني ، هذا من الله عز وجل ، لي في هذا الموضع خير ، قَالَ: فبينا نحن كذلك ، إذ دق باب الدار ، ففتح ، فدخل علينا رجل عليه سلاحه ، فتطلع في وجهه مستثبتاً له ، فلما أثبته معرفة ،

---

(١) ابن العمراني، الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٩٢.

انصرف وغلق الباب ، وإذا هو محمد بْن حميد الطاهري ، قَالَ: فعلمت أن الرجل مقتول ، قَالَ: وكان بقي عليّ من صلاتي الوتر ، فخفت أن أقتل معه ولم أوتر ، قَالَ: فقمت أوتر ، فقال لي: يا أحمد ، لا تتباعد مني ، وصل إلى جانبي ، أجد وحشة شديدة قَالَ: فاقتربت منه ، فلما انتصف الليل أو قارب ، سمعت حركة الخيل ، ودق الباب ، ففتح ، فدخل الدار قوم من العجم بأيديهم السيوف مسللة ، فلما رآهم قام قائماً ، وقال: إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَيْه راجعُونَ! ذهبت والله نفسي في سبيل الله! أما من حيلة! أما من مغيث! أما من أحد من الأبناء! قَالَ: وجاءوا حتى قاموا على باب البيت الذي نحن فيه ، فأحجموا عن الدخول ، وجعل بعضهم يقول لبعض: تقدم ، ويدفع بعضهم بعضاً قَالَ: فقمت فصرت خلف الحصر المدرجة في زاوية البيت ، وقام محمد ، فأخذ بيده وسادة ، وجعل يقول: ويحكم! إني ابن عمّ رسول الله﴿ ﷺ ﴾ ، أنا ابن هارون ، وأنا أخو المأمون ، الله الله في دمي! قَالَ: فدخل عليه رجل منهم يقال له خمارويه–غلام لقريش الدنداني مولى طاهر– فضربه بالسيف ضربة وقعت على مقدم رأسه ، وضرب محمد وجهه بالوسادة التي كانت في يده ، واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده فصاح خمارويه: قتلني قتلني– بالفارسية قَالَ: فدخل منهم جماعة ، فنخسه واحد منهم بالسيف في خاصرته ، وركبوه فذبحوه ذبحاً من قفاه ، وأخذوا رأسه ، فمضوا به إلى طاهر ، وتركوا جثته ، قَالَ: ولما كان في وقت السحر جاءوا إلى جثته فأدرجوها في جل ، وحملوها)[1].

وأضاف أحمد بن سلام صاحب المظالم قال: لما أدخلوا الخليفة الأمين عليّ (قلت له: هذا الإزار الذي عليك إزار غليظ فالبس إزاري وقميصي هذا فإنه لين ، فقال لي: من كانت حاله مثل حالي فهذا له كثير قَالَ: فلقنته ذكر الله والاستغفار ، فجعل يستغفر قَالَ: وبينا نحن كذلك ، إذْ هدة تكاد الأرض ترجف منها ، وإذا

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٨٦/٨ –٤٨٧ ؛ ينظر أيضاً: المسعودي، مروج الذهب، ٢٩٤/٣ –٢٩٩ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١٠١/٤ –١٠٧ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٤٥/١٠ –٤٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٤٩/٥ –٤٥١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥٨/١٣ –٦٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦١/١٠ –٢٦٢.

أصحاب طاهر قد دخلوا الدار وأرادوا البيت ، وكان في الباب ضيق ، فدافعهم محمد بمجنة كانت معه في البيت ، فما وصلوا إليه حتى عرقبوه ، ثم هجموا عليه ، فحزوا رأسه واستقبلوا به طاهراً ، وحملوا جثته إلى بستان مؤنسة إلى معسكره ، إذ أقبل عبد السلام بْن العلاء صاحب حرس هرثمة فأذن له-وكان عبر إليه على الجسر الذي كان بالشماسية - فقال له: أخوك يقرئك السلام ، فما خبرك؟ قَالَ: يا غلام ، هات الطس ، فجاءوا به وفيه رأس محمد ، فقال: هذا خبري فأعلمه فلما أصبح نصب رأس محمد على باب الأنبار ، وخرج من أهل بغداد للنظر إليه ما لا يحصى عددهم ، وأقبل طاهر يقول: رأس المخلوع محمد)[1] ، وكان مقتله في بغداد بشارع باب الأنبار ، ونقل التنوخي: إنه لم يمت خليفة في بغداد منذ بنيت إلا محمد الأمين[2].

وروي أنه (أي الأمين)رأى على ثوبه قملة ، فقال: ما هذا ، فقالوا: شيء يكون في ثياب الناس ، فقال: أعوذ بالله من زوال النعمة! فقتل من يومه[3].

وقد اختلف الناس فيه ، فقال ابن الأثير: أكثر الشعراء في مراثي الأمين وهجائه[4] ، ومما قيل في هجائه:

لم نبكيك لماذا ؟ للطرب	**يا أبا موسى وترويج اللعب**
ولترك الخمس في أوقاتها	**حرصا منك على ماء العنب**
وشنيف أنا لا أبكي له	**وعلى كوثر لا أخشى العطب**
لم تكن تعرف ما حد الرضا	**لا ولا تعرف ما حد الغضب**
لم تكن تصلح للملك ولم	**تعطك الطاعة بالملك العرب**
أيها الباكي عليه لا بكت	**عين من أبكاك إلا للعجب**

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٨٧/٨ -٤٨٨ ؛

(٢) نشوار المحاضرة، ٤١/٥.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٨٨/٨.

(٤) الكامل في التاريخ، ٤٥٣/٥.

لم نبكيك لما عرضتنا ... للمجانيق وطورا للسلب

ولقوم صيرونا اعبدا ... لهم ينزو على الرأس الذنب

في عذاب وحصار مجهد ... سدد الطرق فلا وجه طلب

زعموا أنك حي حاشر ... كل من قال بهذا قد كذب

ليت من قد قاله في وحدة ... من جميع ذاهب حيث ذهب

أوجب الله علينا قتله ... فإذا ما أوجب الأمر وجب

كان والله علينا فتنة ... غضب الله عليه وكتب[1]

وقال الحسين بن الضحاك الأشقر[2]، مولى باهلة، يرثي محمداً الأمين:

يا خير أسرته وإن زعموا ... إني عليك لمثبت أسف

الله يعلم أن لي كبدا ... حرى عليك ومقلة تكف

ولئن شجيت بما رزئت به ... إني لأضمر فوق ما أصف

هلا بقيت لسد فاقتنا ... أبدا، وكان لغيرك التلف[3]

ورثته أمّه أمّ جعفر:

لخير إمام قام من خير عنصر ... وأفضل سام فوق أعواد منبر

لوارث علم الأولين وفهمهم ... وللملك المأمون من أمّ جعفر

كتبت وعيني مستهل دموعها ... إليك ابن عمي من جفوني ومحجري

وقد مسني ضر وذل كابه ... وارق عيني يا بن عمي تفكري

وهمت لما لاقيت بعد مصابه ... فأمري عظيم منكر جد منكر

سأشكو الذي لاقيته بعد فقده ... إليك شكاة المستهام المقهر

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨/٥٠٠.

(٢) الحسين بن الضحاك الأشقر مولى باهلة شاعر ماجن مطبوع صحب الخليفة الأمين ومن بعده من الخلفاء حتى وفاته سنة ٢٥٠ هـ/٨٦٤ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨/٥٠١.

وأرجو لما قد مر بي مذ فقدته فأنت لبثي خير رب مغير

أتى طاهر لا طهر الله طاهرا فما طاهر فيما أتى بمطهر

فأخرجني مكشوفة الوجه حاسرا وأنهب أموالي وأحرق آدري

يعز على هارون ما قد لقيته وما مر بي من ناقص الخلق أعور

فإن كان ما أسدى بأمر أمرته صبرت لأمر من قدير مقدر

تذكر أمير المؤمنين قرابتي فديتك من ذي حرمة متذكر

فلما قرأ المأمون شعرها بكى ثم قال: اللهم إني أقول كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما بلغه قتل عثمان: والله ما قتلت ، ولا أمرت ، ولا رضيت ، اللّهم جلل قلب طاهر حزناً[1].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٠٦/٨ وذكر أن الشعر لخيمة بن الحسن قاله على لسان أم جعفر ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢١٩/٣ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣٠٠/٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٥٤/٥ -٤٥٥.

٧ -إبراهيم المبارك- المرضي

(١٦٢ -٢٢٤ هـ/٧٧٨ -٨٣٨م)

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي العباسي ، أمّه أمّ ولد تدعى شكلة ، ولد غرة ذي القعدة سنة ١٦٢هـ/٧٧٨ م ، بويع له بالخلافة أيام المأمون عندما كان في خراسان سنة٢٠٢هـ/٨١٧ م وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، وسبب ذلك أنه لما أقام المأمون في خراسان ولبس الخضرة بدل السواد شعار العباسيين اجتمع العباسيون ببغداد وخلعوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة وذلك في أول يوم من محرم سنة٢٠٢هـ/٨١٧م وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، ولقبوه بالمبارك ، وقيل: المرضي ، فغلب على بغداد والكوفة والسواد ، وأقام في الخلافة حتى دخول المأمون بغداد في الرابع من صفر سنة٢٠٤هـ/٨١٩م ، فكان أيام خلافته سنة وأحدى عشر شهراً ، وكان إبراهيم بن المهدي قد اختفى ثم أُخذ ومَثل بين يدي المأمون سنة ٢١٠هـ /٨٢٥ م الذي عفا عنه ، وبقي حتى وفاته سنة٢٢٤هـ/٨٣٨م[1].

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ٣٩٢/١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٥٥/٨، ٥٥٧، ٥٧٠ — ٥٧٣، ٦٠٤ -٦٠٥؛ المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ١١١/٦ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١٣٢/٤ -١٣٤، ١٤١ -١٤٤؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤٠/٦ -١٤١ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٦٧،٧ -١٦٨ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٠٠ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٠٧/١٠، ١١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٩٦/٥، ٥٠١، ٥٠٦، ٥٤٢ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٩/١ -٤١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٧/١٤، ١٦، ٢٩ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٧٠/١٠، ٢٧٢، ٣١٨ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٣ -٣٦٤.

صفته وبعض أقواله

وصف إبراهيم بن المهدي بأنه(كَانَ أسود اللون ، شديد السواد ، عظيم الجثة ، ولم ير فِي أولاد الخلفاء أفصح منه ، ولا أجود شعراً ، وَكَانَ كريمًا)[1].

كما وصف بأنه(كان فصيحًا مُفَوَّهًا بارعًا في الأدب والشِّعْر ، بارعًا إلى الغاية في الغناء ومعرفه الموسيقى)[2].

وقال عنه الخطيب البغدادي: (كان وافر الفضل ، غزير الأدب ، واسع النفس ، سخي الكف ، وكان معروفاً بصنعة الغناء ، حاذقا بها)[3] ، حتى قيل عنه: كان (إبراهيم إذا تنحنح طرِبَ من يسمعه ، فإذا غنّى أصْغَت الوحوش ومدّت أعناقها إليها حتّى تضع رءوسها في حجْره ، فإذا سكت نَفَرَت وهربت ، وكان إذا غنى لم يبقَ أحدٌ إلّا ذُهلَ ، ويترك ما في يده حَتّى يفرغ)[4].

وقال طيفور: (كَانَ إِبْرَاهيم بن الْمهْدي ذَا رأى لغيره ، ضَعيف الرَّأْي في أمر نَفسه فَقيل لَهُ فِي ذَلك؟ فَقَالَ: لَا تنكروه فَإِنِّي أنظر في أمر غَيْرِي بطباع سليمَة مُسْتَقيمَة ، وَأنْظرَ فِي أمر نَفسِي بطباع مائلة إِلَى الْهوى)[5].

ومن أقواله عندما قُبض عليه وأُدخل على المأمون: (ذنبي أعظم من أن يحيط به عُذْر ، وعفوك أعظم من أن يتعاظمه ذَنْب)[6].

وكان شاعراً جيد الشعر ، ومن شعره عندما دخل على المأمون:

إن أكن مذنبا فحظّي أخطأ　　　ت فدع عنك كثرة التأنيب

قل كما قال يوسف لبني يع　　　قوب لما أتوه لا تثريب

فقال: لا تثريب[7].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ٨٩/١١ ؛ ينظر أيضاً: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤٠/٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٧٢/١٦.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٩/١٦.

(3) تاريخ بغداد، ١٤٢/٦.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٧٥/١٦.

(5) كتاب بغداد، ص ١٠١.

(6) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص ١٠١ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤٣/٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٧٣/١٦.

(7) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤٣/٦.

ومن شعره أيضاً:

قد شاب رأسي ورأس الحرص لم يشب	**إن الحريص عَلَى الدنيا لفي تعب**
قد ينبغي لي مَعَ مَا حزت من أدب	**أن لا أخوض فِي أمر ينقص بي**
لو كَانَ يصدقني دهري بفكرته	**مَا اشتد غمي على الدنيا ولا نصبي**
أسعى وأجهد فيمَا لست أدركه	**والموت يكدح فِي زندي وفي عصبي**
باللّه ربك كم بيت مررت به	**قد كَانَ يغمر باللذات والطرب**
طارت عباب المنايا فِي جوانبه	**فصارت بعدها للويل والحرب**
فامسك عنانك لا تجمح به طلع	**فلا وعينك مَا الأرزاق بالطلب**
قد يرزق العبد لم يتعب رواحله	**ويحرم الرزق من لم يوف من طلب**
مَعَ أنني واجد فِي الناس واحدة	**الرزق والنول مقرونان فِي سبب**
وخطة ليس فيها من بيان عنى	**الرزق أروع شيء عن ذوي الأدب**
يَاثاقب الفهم كم أبصرت ذا حمق	**الرزق أعرى به من لازم الجرب**[1]

ألقابه

لما بويع بالخلافة لقب بالمبارك ، وقيل: المرضي ، وكان قبل ذلك يلقب بالتيس لسُمنه وضخامته ، كما يقال له: ابن شكلة وهي أمّه [2] ، كما لقب بالتنين لشدة سواده وعظم جثته[3].

وفاته

توفي إبراهيم بن المهدي لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٢٢٤ هـ/٨٣٨ م وصلى عليه الخليفة المعتصم[4].

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤٥/٦ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٩٠/١١ -٩١.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤١/٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٨/١٦ -٦٩، ٧٢.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٦٥/٧ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٩/١.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤٥/٦ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٩٣/٧.

٨ - المأمون

(١٧٠ -٢١٨ هـ/٧٨٦ -٨٣٣م)

هو أبو جعفر عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي سابع الخلفاء العباسيين ، ولد سنة١٧٠هـ/٧٨٦ م في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول وهي الليلة التي مات فيها الهدي واستخلف أبو الرشيد ، أمّه أمّ ولد اسمها مراجل باذغيسية[1] توفيت في نفاسها له ، وبويع له بالخلافة في بغداد سنة ١٩٨هـ /٨١٣ م ، وتوفي في بالرقة وحُمل إلى طرسوس[2] فدفن بها سنة٢١٨هـ/٨٣٣م وكان عمره ٤٩ سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً[3].

زوجاته وأولاده

تزوج المأمون العديد من الإماء والحرائر ، فقد تزوج من أمّ عيسى بنت موسى ، كما تزوج بوران بنت الحسن بن سهل سنة٢١٠هـ/٨٣٥م واسمها خديجة وبوران لقب لها[4] ،

---

(١) نسبة إلى باذغيس ناحية من أعمال هراة، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٣١٨/١.

(٢) طرسوس وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٢٨/٤.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ٤٠ -٤١ ؛ ابن قتيبة، المعارف، ٣٨٧/١، ٣٩١ ؛ الفسوي، المعرفة والتاريخ، ١٦١/١، ٢٠٢ وقال: دفن بأذنة قرب طرسوس ؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٤٠١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦٥٠/٨ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٥/٥ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣٠١/٣ ؛ المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ١١٣/٦ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١٧١/٤ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٣٠/١١ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٩٦ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٤٩/١٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٢٧/١٥ ؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٢٢٥/٢ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٢.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٧٨/١.

وحكى ابن العمراني عن حفل زفاف المأمون ببوران وما جرى له في ذلك ، وهي قصة فيها الكثير من الغرابة والمبالغة ، قال: (ثم إن المأمون أراد أن يبنى ببوران وكان قد أمهرها ألف ألف دينار ، فقال أبوها للمأمون: يا أمير المؤمنين تجعل مهرها أن تبنى بها في قريتنا بفم الصّلح[1] فأجابه إلى ذلك ، وأمر المأمون بعد ذلك لها بألف ألف دينار فأمر الحسن بن سهل فنثرت على العسكر يوم وصول المأمون إلى فم الصّلح ، وحكى بعض وكلاء المأمون قال: انحدر في جملة المأمون إلى فم الصلح ثلاثون ألفاً من الغلمان الصغار والخدم الصغار والكبار وسبعة آلاف جارية ، وكان من يتبعهم يزيد على مائتي ألف نفس سوى سفن العسكر أربعة آلاف شبارة كبار وصغار فكنا نجري على ستة وثلاثين ألف ملاح ، وحين وصل المأمون إلى فم الصلح عرض العسكر الّذي انحدر معه فكان أربع مائة ألف فارس وثلاث مائة ألف راجل ، وكان الحسن بن سهل كل يوم يذبح في مطبخه ثلاثين ألف رأس من الغنم ومثليها من الدجاج وأربع مائة بقرة وأربع مائة فرس وأربع مائة جمل مدة مقامهم هناك ونفد الحطب من الرحال والآجام وأشجار الكروم فصاروا يعمدون إلى الخيم الكبار ويضربون النفط في أعمدتها وآلاتها من الأخشاب ويوقدونها تحت القدور ، وجاف المعسكر من نتن كبود الحملان والدجاج وصار من ذلك على باب القرية مثل الجبل العظيم حتى احتاج الحسن بن سهل إلى أن نفذ إلى البوادي ومكارية القرى فأحضروا الجمال والبغال والحمير ونقلوا ذلك من موضعه في مدة ثلاثة أشهر ورموا به إلى دجلة وأراحت حافة دجلة إلى حد لم يمكن شرب الماء منها أياما عدة وكانت هذه الدعوة تسمى دعوة الإسلام ، وحين بنى المأمون ببوران نثروا من سطح دار الحسن بن سهل على العسكر بنادق عنبر فاستركّ الناس ذلك وقالوا: في مثل هذا العرس ينثر بنادق عنبر ، وإذا بصائح يصيح من السطح: كل من وقعت بيده بندقة فليكسرها وكل ما وجد فيها فهو له ، فكسر الناس البنادق ووجدوا في وسط كل بندقة رقعة وفي الرقعة مكتوب ألف دينار وفي أخرى خمس مائة وهكذا إلى مائة ،

---

(١) فم الصلح بلدة على دجلة قريبة من واسط، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٢٧٦/٤.

وفي بعضها فرس وفي بعضها قرية وفي بعضها عشرة أثواب من الديباج أو خمسة وأقل أو أكثر وفي بعضها بستان وفي بعضها غلام وفي بعضها جارية ، فكل من وقعت بيده رقعة حملها إلى الديوان وأخذ ما فيها ، ولما كان ساعة الزفاف جلست بوران على حصير منسوج من الذهب ، ودخل المأمون عليها ومعه عمّاته وعدة من نساء بني هاشم فنثر الحسن بن سهل عليهما ثلاث مائة لؤلؤة وزن كل واحدة مثقال فما مدّ أحد يده إليه فقال المأمون لعماته: أكرمن أبا محمد بلقطة ومدّ يده فأخذ منه واحدة فحينئذ مدوا أيديهم ولقطوه)(١).

أما أولاده فكان له ثمان عشر ذكراً وتسع بنات(٢) ، وأجمل ابن حزم ولد المأمون بقوله: (ولد المأمون أمير المؤمنين: محمّد الأكبر ، والعبّاس ، قتله عمه المعتصم ، وأحمد ، وهارون الأكبر ، وعيسى ، وهارون الأصغر ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، وعلي ، والحسن ، والحسين ، وجعفر ، لأمهات أولاد ، ومحمّد الأصغر ، وعبد الله ، أمّهما أمّ عيسى بنت الهادي)(٣).

أما بناته: أم حبيب بنت المأمون تزوجت الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) سنة٢٠٢ هـ/٨١٧م(٤) ، وعائشة بنت المأمون تزوجت محمد بن المعتصم ، وأسماء بنت المأمون تزوجت هارون الواثق ولم يدخل بها ، ونامية بنت المأمون تزوجت المتوكل بن المعتصم وتوفيت عنده ، وأمينة بنت المأمون تزوجت عبد الله بن منصور بن المهدي ، وأمّ الفضل بنت المأمون تزوجت الإمام محمد الجواد بن علي بن موسى الرضا(عليه السلام)(٥) سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م(٦).

---

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٠١ -١٠٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٨٧/١ - ٢٩٠ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٦/١١.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٦٦/٨ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١٤١/٤ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٩٨ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٠٩/١٠.

(٥) ابن حبيب، المحبر، ص ٦١ -٦٢ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٦٦/٨ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١٤١/٤ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٠٩/١٠.

(٦) العصامي المكي، سمط النجوم، ١٥٦/٤.

صفته وبعض أقواله:

قيل إن المأمون: (كان ربعة أبيض جميلاً ، طويل اللحية ، قد وخطه الشيب ، وقيل: كان أسمر تعلوه صفرة ، أحنى أعين طويل اللحية رقيقها ، أشيب ، ضيق الجبهة ، بخده خال أسود)[1] ، وكانت ساقاه(دون سائر جسده صفراوين كأنهما طليا بالزعفران)[2].

وقال أبو حنيفة الدينوري عن المأمون(كان شهماً ، بعيد الهمة ، أبيّ النفس ، وكان نجم ولد العباس في العلم والحكمة ، وقد كان أخذ من جميع العلوم بقسط ، وضرب فيها بسهم ، وهو الذي استخرج كتاب أقليدس من الروم ، وأمر بترجمته وتفصيله ، وعقد المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات)[3] ، ووصفه المسعودي بالقول: (كان أبيض يعلوه صفرة أجنى طويل اللحية ضيق الجبين كاملاً عالماً ، جواداً ، عظيم العفو ، كريم المقدرة ، ميمون النقيبة ، حسن التدبير ، جليل الصنائع ، لا تخدعه الأماني ، ولا تجوز عليه الخدائع ، علمه بما بعد عنه من ملكه كعلمه بما حضره ، وربما حرك منه الغضب فعجل بالعقوبة)[4].

وذكر أن المأمون كان فطناً ذكياً منذ صغره ، فحكى مؤدبه أبو محمد اليزيدي[5] قال: كنت أؤدب المأمون: (فأتيته يوماً وهو داخل ، فوجهت إليه بعض خدمه يعلمه بمكاني ، فأبطأ عليّ ، ثم وجهت آخر فأبطأ عليّ ، فقلت لسعيد[6]: إنّ هذا الفتى ربما

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦٥١/٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٥/٥ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١٧١/٤ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٣٠/١١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٧٩/٥ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٢٧/١٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٢/١٠ ؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٢٢٥/٢.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٣٠/١١ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٤٩/١٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٢٧/١٥.

(٣) الأخبار الطوال، ص ٤٠١.

(٤) التنبيه والإشراف، ص ٣٠٤.

(٥) هو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي بصري سكن بغداد، كان ثقة فصيحاً عالماً بلغات العرب وأخبار الناس والأدب، وعمل مؤدباً للمأمون في صغره، وتوفي سنة ٢٠٢ هـ/٨١٧ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٢٠/١٦.

(٦) هو سعيد الجوهري وهو الذي تولى تربية المأمون إذ توفيت أمه في نفاسها فأرضعته زوجته وكان في حجره، ينظر: ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٩٦.

تشاغل بالبطالة وتأخر ، فَقَالَ: أجل ، ومع هذا إذا فارقك عزم على خدمه ، ولقوا منه أذى شديداً ، فقومه بالأدب ، فلما خرج أمرت بحمله فضربته سبع درر ، قَالَ: فإنه ليدلك عينه من البكاء إذ قِيلَ: هذا جعفر بن يحيى قد أقبل ، فأخذ منديلاً ، فمسح عينيه ، وجمع ثيابه ، وقام إلى فراشه ، فقعد عليه متربعاً وقال: ليدخل ، فدخل ، فقمت إلى المجلس ، وخفت أن يشكوني إليه ، فألقى منه ما أكره ، فأقبل عليه بوجهه وحدثه حتى أضحكه ، وضحك إليه ، فلما هم بالحركة دعى بدابته ، وأمر غلمانه فسعوا بين يديه ، ثم سأل عني ، فجئت فَقَالَ: خذ عليّ ما بقي من جزئي ، فقلت: أيها الأمير ، أطال الله بقاءك ، لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر بن يحيى ، ولو فعلت ذلك لتنكر لي ، فقال: أتراني يا أبا محمد كنت أطلع الرشيد على هذا ، فكيف بجعفر بن يحيى حتى أطلعه إني أحتاج إلى أدب ، أدب يغفر الله لك بعد ظنك ، خذ في أمرك ، فقد خطر ببالك ما لا تراه أبداً ، ولو عدت كل يوم مائة مرة)[1].

وكان المأمون يعني بالعلم قبل الخلافة ، وكان جعل له مجلس نظر ، فدخل عليه (يهودي حسن الوجه ، طيب الرائحة ، حسن الثوب ، فتكلم فأحسن الكلام ، فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال لَهُ: إسرائيلي؟ قَالَ: نعم. قَالَ: أسلم حتى أفعل لك وأصنع ، فَقَالَ: ديني ودين آبائي فلا تكشفني ، فتركه ، فلما كان بعد سنة جاءنا وهو مسلم ، فتكلم في الفقه ، فأحسن الكلام ، فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فَقَالَ: ألست صاحبنا؟ قَالَ: نعم ، قَالَ: أي شيء دعاك إلى الإسلام ، وقد كنت عرضته عليك فأبيت؟ قَالَ: إني أحسن الخط ، فمضيت فكتبت ثلاث نسخ من التوراة ، فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة ، فبعتها ، فاشتريت ، قَالَ: وكتبت ثلاث نسخ من الإنجيل ، فزدت فيها ونقصت فأدخلتها إلى البيعة فاشتريت مني ، قَالَ: وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها إلى الوراقين ، فكلما تصفحوها قرءوا الزيادة والنقصان ورموا بها ، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ ، فكان سبب إسلامي)[2].

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٣٠/١١ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٤٩/١٠-٥٠؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٧١.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٥١/١٠.

قال الذهبي: قرأ العلم في صِغره وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ، ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل وشهر فيها ، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن[1].

وقال ابن كثير: (كَانَتْ لَهُ بَصِيرَةٌ بِعُلُومٍ متعددة ، فقهاً وطباً وشعراً وفرائض وكلاماً ونحواً وغريبه ، وغريب حديث ، وَعِلْمِ النُّجُومِ ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ الزِّيجُ الْمَأْمُونِيُّ)[2].

وقال السيوطي: (كان أفضل رجال بني العباس حزمًا ، وعزمًا ، وحلمًا ، وعلمًا ، ورأيًا ، ودهاء ، وهيبة ، وشجاعة ، وسؤددًا ، وسماحة ، وله محاسن وسيرة طويلة لولا ما أتاه من محنة الناس في القول بخلق القرآن ، ولم يلِ الخلافة من بني العباس أعلم منه ، وكان فصيحًا مفوّهًا)[3].

ومن بليغ ما قال هو في وصيته التي قال فيها: (هذا ما أشهد عليه عبدالله بْن هارون أمير المؤمنين بحضرة من حضره ، أشهدهم جميعاً على نفسه أنه يشهد ومن حضره أن الله عز وجل وحده لا شريك له في ملكه ، ولا مدبر لأمره غيره ، وأنه خالق وما سواه مخلوق ، ولا يخلو القرآن أن يكون شيئاً له مثل ، ولا شيء مثله تبارك وتعالى ، وإن الموت حق ، والبعث حق ، والحساب حق ، وثواب المحسن الجنة وعقاب المسيء النار ، وأن محمداً ﷺ قد بلغ عن ربه شرائع دينه ، وأدى نصيحته إلى أمته ، حَتَّى قبضه اللَّه إِلَيْهِ صلى اللَّه عَلَيْهِ أفضل صلاة صلاها على أحد من ملائكته المقربين وأنبيائه والمرسلين ، وإني مقر مذنب ، أرجو وأخاف ، إلا أني إذا ذكرت عفو الله رجوت ، فإذا أنا مت فوجهوني وغمضوني ، وأسبغوا وضوئي وطهوري ، وأجيدوا كفني ، ثم أكثروا حمد الله على الإسلام ومعرفة حقه عليكم في محمد ، إذ جعلنا من أمته المرحومة ، ثم أضجعوني على سريري ، ثم عجلوا بي ، فإذا أنتم وضعتموني للصلاة ، فليتقدم بها من هو أقربكم بي نسباً ، وأكبركم سناً ، فليكبر خمساً ، يبدأ في الأولى في أولها بالحمد لله والثناء عليه

---

(١) تاريخ الإسلام، ٢٢٧/١٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٢٢٥/٢ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٣.

(٢) البداية والنهاية، ٣٠٢/١٠.

(٣) تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٢.

والصلاة على سيدي وسيد المرسلين جميعاً ، ثم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، ثم الدعاء للذين سبقونا بالإيمان ، ثم ليكبر الرابعة ، فيحمد الله ويهلله ويكبره ويسلم في الخامسة ، ثم أقلوني فأبلغوا بي حفرتي ، ثم لينزل أقربكم إليّ قرابة ، وأودكم محبة ، وأكثروا من حمد الله وذكره ، ثم ضعوني على شقي الأيمن واستقبلوا بي القبلة ، وحلوا كفني عن رأسي ورجلي ، ثم سدوا اللحد باللبن ، واحثوا تراباً عليّ ، واخرجوا عني وخلوني وعملي ، فكلكم لا يغني عني شيئاً ، ولا يدفع عني مكروها ، ثم قفوا بأجمعكم فقولوا خيراً إن علمتم ، وأمسكوا عن ذكر شر إن كنتم عرفتم ، فإني مأخوذ من بينكم بما تقولون وما تلفظون به ، ولا تدعوا باكية عندي ، فإن المعول عليه يُعذب ، رحم الله امرأ اتعظ وفكر فيما حتم الله على جميع خلقه من الفناء ، وقضى عليهم من الموت الذي لا بد منه ، فالحمد لله الذي توحد بالبقاء ، وقضى على جميع خلقه الفناء ثم لينظر ما كنت فيه من عز الخلافة ، هل أغنى ذلك عني شيئاً إذ جاء أمر الله ! لا والله ، ولكن أضعف عليّ به الحساب ، فيا ليت عبد الله بن هارون لم يكن بشراً ، بل ليته لم يكن خلقاً)[1].

وكان المأمون يحفظ القرآن وسمع الحديث من مالك بن أنس[2] وحماد بن زيد[3] وغيرهم ، وأسند بعض الحديث ، وذكر أنه كان (يقرأ القرآن كثيراً ، فروى عنه ذو الرئاستين[4] أنه ختم في رمضان ثلاثة وثلاثين ختمة ، وكان يحفظ الحديث ويرويه)[5] ، ويرويه)[5] ، ومن حديثه ما رواه عن أبيه عن جده عن ابن عباس أنَّ النَّبيَّ ﴿ﷺ﴾

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦٤٧/٨ -٦٤٨ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ١٦٩/٤ - ١٧٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٧٧/٥ -٥٧٨.

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي إمام أهل المدينة روى عن الزهري روى عنه سفيان الثوري والاوزاعي، توفي سنة ١٧٩ هـ/٧٩٥ م، ينظر: ابن حبان، الثقات، ٤٥٩/٧.

(٣) حماد بن زيد بن درهم الأزرق يكنى أبا إسماعيل من أهل البصرة روى عن ثابت البناني، توفي سنة ١٧٧هـ/ ٨٩٣ م، ينظر: ابن حبان، الثقات، ٢١٧/٦ -٢١٨.

(٤) ذو الرئاستين هو الفضل بن سهل وزير المأمون اسلم أبوهما علي يد الخليفة المهدي، وأسلم الفضل بن سهل على يد المأمون سنة ١٩٠ هـ/ لقبه بذي الرياستين لأنه أوكل إليه السيف والقلم أي الوزارة والحرب، ثم ثقل على المأمون فقتله سنة ٢٠٢ هـ/ ٨١٧ م، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤١/٤ -٤٣ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٦٠/٨.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٥٢/١٠ ؛ ينظر أيضاً: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٣٠/١١ ؛ الذهبي،

قَالَ: (مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ)وَقَالَ مَرَّةً: (مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ[1])[2] ، وقال أيضاً: حَدَّثَنِي الرَّشِيدُ قَالَ: حَدَّثَنِي الْمَهْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْمَنْصُورُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الله قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ﴿ﷺ﴾ يَقُولُ: (سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ[3])[4] ، وجلس يوماً يملي الحديث فاجتمع عنده جماعة فأملى عليهم من حفظه ثلاثين حديثاً[5].

ودخلت عله امرأة وهو في مجلس من العلماء فقالت: (ياأمير المؤمنين ، مات أخي وخلف ستمائة دينار ، أعطوني ديناراً واحداً وقالوا: هذا نصيبك ، قَالَ: فحسب المأمون ثم قَالَ: هكذا نصيبك رحمك اللَّه ، فقالت العلماء: كيف علمت يا أمير المؤمنين؟ فقال لها: هذا الرجل خلف أربع بنات ، قالت: نعم ، قال: فلهما الثلثان أربعمائة ، وخلف والدة فلها السدس مائة ، وخلف زوجة فلها الثمن خمسة وسبعون ديناراً ، باللَّه لك اثنا عشر أخاً ، قالت: نعم ، قال: أصابهم ديناران ديناران ، وأصابك دينار)[6].

وكان المأمون يقول الشعر ، ومن مشهور شعره:

بعثتك مرتادا ففزت بنظرة وأغفلتني حتّى أسات بك الظّنا

تاريخ الإسلام، ٢٢٨/١٥.

(١) أخرجه جماعة، منهم: البخاري، صحيح البخاري، ٥٥/٨ ؛ أبو داود، سنن أبي داود، ٨٨/٣ ؛ النسائي، سنن النسائي، ١٠٧/٥ ؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٢٣٢/٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٥٣/١٠.

(٣) أخرجه جماعة، منهم: البيهقي، شعب الإيمان، ٥٨٢/١٠ بلفظ مختلف مع زيادات ؛ الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، ٣٢٤/٢ ؛ السخاوي، المقاصد الحسنة، ص ٣٩٥ -٣٩٦ ؛ السيوطي، الفتح الكبير، ١٦٠/٢ ؛ العجلوني، كشف الخفاء، ٥٢٩/١ -٥٣٠ وقال: (فالحديث ضعيف كما علمت، على أنه قد يقال: إنه حسن لغيره، لتعدد طرقه كما مرّ فتدبر) ؛ الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ٩/٤ وقال: ضعيف.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٣٠/١١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٦٣/١٠.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٢/١٠.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ٥٤/١٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٣٠/١٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٢/١٠ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٧٢.

فناجيت من أهوى وكنت مباعدا فيا ليت شعري عن دنوّك ما أغنى
أرى أثرا منه بعينك بيّنا لقد سرقت عيناك من عينه حسنا
فيا ليتني كنت الرّسول وكنتني فكنت الّذي تقصى وكنت الّذي أدنى[1]

ومن شعره:

لساني كتومٌ لأسراركُمْ ودمعي نَمُومٌ لسريّ مُذِيعُ
فلولا دموعي كَتَمْتُ الهوى ولولا الهوى لم تكن لي دموعُ[2]

ومن شعره أيضاً:

أصبح ديني الذي أدِينُ به ولستُ من الغَداةِ مُعْتَذرا
حبّ عليّ بعد النّبيِّ ولا أشتم صِدِّيقَه ولا عُمَرا
وابنُ عفّانٍ في الْجِنان مع الأبرار ذاك القتيل مُصْطَبَرا
وعائشُ الأمّ لستُ أشْتمها مَن يَفْتَريها فنحن منه بُرا[3]

ومن شعره في الشطرنج:

أرض مربعة حمراء من أدم ما بين إلفين معروفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها حيلًا من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا، وذاك على هذا يغير، وعين الحزم لم تنم
فانظر إلى فطن جالت بمعرفة في عسكرين بلا طبل ولا علم[4]

وكان المأمون يقول: الملوك تحتمل لأصحابها كل شيء خلا ثلاث خصال: القدح في الملك ، وإفشاء السر ، والتعرض للحرمة[5] ، وكان يقول: (الإخوان ثلاث طبقات ، فأخ

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ١٧٣/٤.
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٣٧/١٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٥/١٠ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٨٦.
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٣٨/١٥.
(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٨٦.
(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٣/١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم٥٩/١٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٣٨/١٥.

كالغذاء الذي تحتاج إليه في كل يوم وفي كل وقت ، وهو الأخ العاقل الأديب ، وأخ كالدواء تحتاج إليه عند الداء ، وهو الأخ الأريب الّذي يصادق المودة ، وأخ كالداء الذي لا يحتاج إليه ، وهو الأحمق)[1] ، وكان يقول: (أنا والله أستلذ العفو حتى أخاف أن لا أؤجر عليه ، ولو علم النَّاسَ مقدار محبتي للعفو لتقربوا إليّ بالذنوب)[2].

وكان لا يحب الوشاية ويزدري صاحبها ، فقيل: (إن بعض المشايخ كتب إليه رقعة فيها مرافعة في إنسان ، فكتب عليها المأمون: السّعاية قبيحة وإن كانت صحيحة ، فإن كنت أخرجتها من النّصح ، فخسرانك فيها أكثر من الرّبح ، وأنا لا أسعى في محظور ولا أسمع قول مهتوك في مستور ، ولولا أنت في خفارة شيبك لعاقبتك على جريرتك مقابلة تشبه أفعالك)[3].

ألقابه

بايع له أبوه بالعهد سنة١٨٢هـ/٧٩٨ م ولقبه المأمون[4] ، يكنى أبا العباس[5] ، وقيل كان يكنى أبا جعفر[6] ، وقيل تكنى بأبي جعفر في خلافته تفاؤلاً بكنية المنصور والرشيد في طول العمر[7] ، وقال ابن العمراني: (أبو العباس كنيته كنّاه بها أبوه فأما هو فإنه تكنّى بعد موت أبيه بأبي جعفر وهي كنية الرشيد وكنية المنصور)[8] ، وكان يسمى نجيب بني العباس[9].

٢٣٨/١٥.

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٦٠/١٠.

(٢) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٠٠ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٦٥/١٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٣٢/١٥.

(٣) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٢٢٧/٢.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٦٩/٨ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢٠/٩ وقال إن ذلك كان سنة ١٧٦ هـ/٧٩٢ م ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٧/٥ ؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٩٨/٢.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٤٩/١٠.

(٦) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٠٢ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٣٠/١١.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ٤٩/١٠.

(٨) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٩٦ ؛ ينظر أيضاً: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٣.

(٩) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٦.

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه: (الله ثقة عبد الله ، وبه يؤمن)[1] ، وقيل كان نقشه: (المأمون عبدالله بن عبيد الله)[2] ، وقيل كان نقش خاتمه: (سل الله يعطك)[3].

وفاته

روى الطبري في سبب وفاته عن سعيد العلاف القاريء قال: (أرسل إلي المأمون وهو ببلاد الروم – وكان دخلها من طرسوس يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة– فحملت إليه وهو في البدندون ، فكان يستقرئني ، فدعاني يوماً ، فجئت فوجدته جالساً على شاطئ البدندون ، وأبو إسحاق المعتصم جالس عن يمينه ، فأمرني فجلست نحوه منه ، فإذا هو وأبو إسحاق مدليان أرجلهما في ماء البدندون ، فقال: ياسعيد ، دل رجليك في هذا الماء وذقه ، فهل رأيت ماء قط أشد برداً ، ولا أعذب ولا أصفى صفاء منه! ففعلت وقلت: ياأمير المؤمنين ، مارأيت مثل هذا قط ، قَالَ: أي شيء يطيب أن يؤكل ويشرب هذا الماء عليه؟ فقلت: أمير المؤمنين أعلم ، فقال: رطب الآزاذ ، فبينا هو يقول هذا إذا سمع وقع لجم البريد فالتفت ، فنظر فإذا بغال من بغال البريد ، على أعجازها حقائب فيها الألطاف ، فقال لخادم له: اذهب فانظر: هل في هذه الألطاف رطب؟ فانظره ، فان كان آزاذ فأت به ، فجاء يسعى بسلتين فيهما رطب آزاذ ، كأنما جني من النخل تلك الساعة ، فأظهر شكراً لله تعالى ، وكثر تعجبنا منه ، فقال: أدن فكل ، فأكل هو وأبو إسحاق ، وأكلت معهما ، وشربنا جميعاً من ذلك الماء ، فما قام منا أحد إلا وهو محموم ، فكانت منية المأمون من تلك العلة ، ولم يزل المعتصم عليلاً حتى دخل العراق ، ولم أزل عليلاً حتى كان قريباً)[4] ، وروي أنه كان في تلك الأيام ينعي نفسه ويقول: (ملكت الدنيا وذلت

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٠٥.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٢٨/١٥.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٥/٥.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ٦٤٦/٨ –٦٤٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٧٦/٥ –٥٧٧.

لي صعابها وبلغت آرابي منها ، ويذكر وصول الرطب في ذلك اليوم ويقول: أظنه آخر عهدي بأكل الرطب)[1] ، فلما اشتدت علّته أمر(أن يفرش له الرماد وينقل عن الفرش التي كان نائما عليها ويوضع على الرماد عرياناً ففعل به ذلك ، وكان يتقلب على الرماد ويقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه ، وتوفى من ساعته)[2].

وروى المسعودي في وفاته أنه لما (انصرف من غزاته ، فنزل على عَيِّن البديدون ، المعروفة بالقشيرة على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب ، فأقام هنالك حتى ترجع رُسُله من الحصون ، فوقف على العين ومنبع الماء ، فأعجبه بَرْدُ مائها وصفاؤه وبياضه وطيب حسن الموضع وكثرة الخضرة ، فأمر بقطع خشب طوال وأمر به فبسط على العين كالجسر ، وجعل فوقه كالأزج من الخشب وورق الشجر ، وجلس تحت الكنيسة التي قد عقدت له والماء تحته ، وطرح في الماء درهم صحيح فقرأ كتابته وهو في قرار الماء لصفاء الماء ، ولم يقدر أحد يدخل يده في الماء من شدة بَرْده ، فبينما هو كذلك إذ لاحت سمكة نحو الذراع كأنها سبيكة فضة ، فجعل لمن يخرجها سَبْقاً ، فبحر بعض الفراشين فأخذها وصعد ، فلما صارت على حرف العين أو على الخشب الذي عليه المأمون اضطربت وأفلتت من يد الفراش فوقعت في الماء كالحجر فنضح من الماء على صدر المأمون ونحره وتَرْقُوته فبلّتْ ثوبه ، ثم انحدر الفراش ثانية فأخذها ووضعها بين يدي المأمون في منديل تضطرب ، فقال المأمون: تُقْلَى الساعة ، ثم أخذته رعدة من ساعته ، فلم يقدر يتحرك من مكانه ، فغطى باللحف والدواويج ، وهو يرتعد كالسعفة ، ويصيح: البرد البرد ، ثم حول إلى المضرب ودثر وأوقدت النيرانُ حوله ، وهو يصيح: البرد البرد ، ثم أتى بالسمكة وقد فرغ من قليها فلم يقدر على الذوق منها ، وشَغَله ما هو فيه عن تناول شيء منها ، ولَمَّا اشتد به الأمر سأل المعتصم بختيشوع[3] وابن ماسويه[4] في ذلك الوقت عن المأمون وهو في سكرات الموت ، وما الذي يدل عليه

---

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٠٣.

(٢) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٠٣.

(٣) هو بختيشوع بن جورجس كان له معرفة بصناعة الطب ومزاولتها وخدم الخلفاء الرشيد وما بعده، ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ١٨٦ -١٨٧.

(٤) أبو زكريا يوحنا بن ماسويه مسيحي المذهب سريانياً عمل طبيباً عند الرشيد والمأمون والمعتصم

علم الطب من أمره؟ وهل يمكن برؤه وشفاؤه؟ فتقدم ابن ماسويه ، فأخذ إحدى يديه وبختيشوع الأخرى ، وأخذا المجسة من كلتا يديه ، فوجدا نبضة خارجاً عن الاعتدال ، مُنْـِراً بالفناء والإنحلال ، والتزقت أيديهما ببشرته لعَرَقٍ كان يظهر منه من سائر جسمه ، كالزيت ، أو كلعاب بعض الأفاعي ، فأخبر المعتصم بذلك ، فسألهما عن ذلك ، فأنكرا معرفته ، وأنهما لم يجدا في شيء من الكتب ، وأنه دال على انحلال الجسد ، وأفاق المأمون من غَشْيته ، وفتح عينيه من رَقْدته ، فأمر بإحضار أناس من الروم ، فسألهم عن اسم الموضع والعين ، فأحضر له عدة من الأساري والأدلة ، وقيل لهم: فسروا هذا الاسم القشيرة ، فقيل له: تفسيره مُدّ رجليك ، فلما سمعها اضطرب من هذا الفال وتَطَيَّرَ به ، وقال: سَلُوهم ما اسم الموضع بالعربية ، فقالوا: الرقة ، وكان فيما علم من مولد المأمون أنه يموت بالموضع المعروف بالرقة ، وكان المأمون كثيراً ما يحيد عن المقام بمدينة الرقة فرقا من الموت ، فلما سمع هذا من الروم علم أنه الموضع الذي وُعِدَ فيه فيما تقدم من مولده ، وأن فيه وفاته ، وقيل: إن اسم البديدون تفسير مُدَ رجليك ، والله أعلم بكيفية ذلك ، فأحضر المأمون الأطباء حوله يؤمل خلاصه مما هو فيه ، فلما ثقل قال: أخرجوني اشْرِفُ على عسكري ، وأنظر إلى رجالي ، وأتبين ملكي ، وذلك في الليل ، فأخرج فأشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما قد أوقد من النيران ، فقال: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ، ثم رُدَّ إلى مرقدي وَأَجْلَسَ المعتصم رَجُلاً يشهده لما ثقل ، فرفع الرجل صوته ليقولها ، فقال له ابن ماسويه: لا تَصحِ فو اللّه ما يفرق بين ربّه وبين ماني في هذا الوقت ، ففتح المأمون عينيه من ساعته ، وبهما من العظم والكبر الاحمرار ما لم يُرَ مثله قط ، وأقبل يحاول البطش بيديه بابن ماسويه ، ورام مخاطبته ، فعجز عن ذلك ، فرمي بطرفه نحو السماء ، وقد امتلأت عيناه دموعاً ، فانطلق لسانه من ساعته ، وقال: يا مَنْ لا يموت أرحم مَنْ يموت ، وقضى من ساعته ، وذلك في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بَقِيت من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين ، وحمل إلى طرطوس ، فدفن بها)[1].

والواثق والمتوكل وتوفي سنة ٢٤٣ هـ/، ينظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٣٩٩/٩ -٤٠٧.

(١) مروج الذهب، ٣٢٩/٣ -٣٣٠ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٧٩/٥ ؛ الذهبي، تاريخ

وقيل في سبب وفاته إنه(أكل رطباً فحم ، وَكَانَ سبب وفاته ، وصار به مَادة فِي حلقه ، وكانت كلمَا بلغت فتحت فبطت قبل أن تبلغ وقت تمامها فمَات)[1].

وروي أنه لما أكل من الرطب وشرب من الماء البديدون هو والمعتصم (نهض محموماً ، وفصد فظهرت في رقبته نفخة كانت تعتاده ، ويراعيها الطبيب إلى أن تنضج ، وتفتح ، فتبرأ ، فقال المعتصم للطبيب – وهو ابن ماسويه-: ما أطرف ما نحن فيه! ، تكون الطبيب المفرد المتوحّد في صناعتك ، وهذه النفخة تعتاد أمير المؤمنين ، ولا تزيلها عنه! وتتلطّف في حسم مادتها حتى لا ترجع إليه؟ والله لئن عادت هذه العلة عليه لأضربنّ عنقك ، فاستطرق ابن ماسويه لقول المعتصم ، وانصرف ، فحدّث به بعض من يثق به ويأنس منه ، فقال: تدري ما قصد المعتصم؟ ، قال: لا ، قال: قد أمرك بقتله! حتى لا تعود النفخة إليه ، وإلا فهو يعلم أن الطبيب لا يقدر على دفع الأمراض عن الأجسام ، وإنما قال: لا تدعه يعيش ليعود المرض عليه! ، فتعالل ابن ماسويه ، وأمر تلميذا له بمشاهدة النفخة ، والتردّد إلى المأمون نيابة عنه ، والتلميذ يجيئه كل يوم ، ويعرف حال المأمون ، وما تجدّد له فأمره بفتح النفخة ، فقال: أعيذك بالله ، ما احمرّت ولا بلغت حد الجرح! ، فقال له: امض وافتحها كما أقول لك ، ولا تراجعني ، فمضى وفتحها ، ومات المأمون ، رحمة الله عليه)[2] ، وقد علق ابن فضل الله العمري على ذلك بقوله: (إنما فعل ابن ماسويه ذلك لكونه كان عديم المروءة ، عديم الدين والأمانة ، وكان على غير ملة الإسلام ، ولا له تمسك بدينه)[3].

وفي الرواية أعلاه أن أصابع الاتهام في وفاة الخليفة المأمون تمتد إلى تواطيء المعتصم مع الطبيب ابن ماسويه.

وروي أن المأمون لما امتحن العلماء في مسألة خلق القرآن فمن لم يقر به قتله ، وأرسل إلى العديد من العلماء آنذاك فيهم الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح

الإسلام، ٢٣٩/١٥ -٢٤٠ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٩ -٣٧٠.

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٥/١١.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٤٠٦/٩ -٤٠٧.

(٣) مسالك الأبصار، ٤٠٧/٩.

النيسابوري[1] موافاته إلى طرسوس ، فذهبوا بهما مكبلين ، وجعل الإمام أحمد يدعو الله عزّ وجلّ أن لا يجمع بينهما وبين المأمون وأن لا يراه ولا يراهما ، ثم ساروا بهم فلما كانوا ببعض الطريق بلغهم موت المأمون فرجعوا إلى بغداد ، قال ابن كثير: (وَاسْتَجَابَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دُعَاءَ عَبْدِه وَوَلِيِّه الْإِمَامُ أحمد بن حنبل ، فلم يريا المأمون ولا رآهما ، بل ردوا إلى بغداد)[2].

وكانت له جارية تدعى تزيف زارت قبره وضربت عليه فسطاطاً وجعلت تبكي وتنوح بشعر لها وهو:

يَا ملكا لست بناسيه	**نعى إليّ العيش ناعيه**
والله مَا كنت أرى أنني	**أقوم فِي الباكين أبكيه**
والله لو يقبل فيه ألفداء	**لكنت بالمهجة أفديه**
عاذلتي فِي جزعي أقصري	**قد علق الدهر بمَا فيه**

فمَا بقي أحد فِي العسكر إلا بكى)[3].

---

(1) هو محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال محدث قال عنه أحمد بن حنبل:= =ثقة، أرسل إليه المأمون بسبب مسألة خلق القرآن ليمتحنه فمات في الطريق إليه سنة ٢١٨ هـ /٨٣٣ م ، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٩١/٤ -٩٢.

(2) البداية والنهاية، ٣٠٠/١٠ ؛ ينظر أيضاً: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٩.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٧/١١.

٩ - المعتصم بالله

(١٨٠ -٢٢٧ هـ/٧٩٦ -٨٤١م)

هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ثامن الخلفاء العباسيين ، ولد سنة١٨٠ هـ/٧٩٦ م وقيل١٧٩هـ/٧٩٥م وقيل سنة١٧٨هـ/٧٩٤م ، بالرافقة[١] ، أمّه أمّ ولد تدعى ماردة وكانت حظية عند الرشيد ، قيل إن أصلها من السغد نشأ أبوها بالكوفة فهي من مولدات الكوفة[٢] توفيت ولم تدرك خلافته[٣] ، وبويع له بالخلافة بعد أخيه المأمون في رجب من سنة ٢١٨ هـ/٨٣٣ م وتوفي لثماني عشر من ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـ/٨٤١ م ، قال الطبري: (فإن كان مولده سنة ثمانين ومائة فإن عمره كلّه كان ستاً وأربعين سنة وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وإن كان مولده سنة تسع وسبعين ومائة ، فإن عمره كان سبعاً وأربعين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً ،... هو ثامن الخلفاء ، والثامن من ولد العباس ، وعمره كان ثمانياً وأربعين سنة ، ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر)[٤].

زوجاته وأبناءه

أما زوجاته وأولاده فقد جمعهم ابن حزم بقوله: ولد المعتصم: هارون الواثق لأمّ ولد اسمها قراطيس ، ماتت في طريق الحج ، وجعفر المتوكل أمّه شجاع تركية ، ومحمّد

---

(١) الرافقة بلد متصل بالرقة على ضفة نهر الفرات، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ١٥/٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٢٣/٩ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٠٧

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٥/١١.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ١١٩/٩؛ ينظر أيضاً: ابن حبيب المحبر، ص ٤٢ ؛ ابن قتيبة، المعارف، ٣٩٢/١؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٧/٥ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ٣٠٥-٣٠٦، ٣٠٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧٦/٦.

الأكبر ، وأحمد ، وعليّ ، وإبراهيم ، وأمّه بنت بابك الخرميّ ، والعبّاس الأعرج ، ومحمّد أبو أحمد الأعور الأصغر ، وعبد الله كانت أمه سوداء حبشية[1] ، فيما ذكر ابن حبيب أن العباس الأعرج أمّه حبشية سوداء[2] ، وله من البنات: أمّ محمد بنت المعتصم تزوجها العباس بن المأمون ولم يدخل بها[3] ، وعائشة بنت المعتصم[4].

صفته وبعض أقواله :

قيل إن المعتصم (كان أصهب ابيض حسن الجسم جميل الوجه مربوعاً ، مشرباً حمرة عريض الصدر ، شديد البدن ، طويل اللحية لم يشب ، وكان الرجل الّذي لا يقاس به الرجال قوة بدن ، وشدة بأس ، وشجاعة قلب ، وكرم أخلاق ، آثر من استحدث من غلمانه الأتراك على المتقدمين من أوليائه ونصحاء آبائه)[5] ، وهو أول خليفة تتوج ، ووضع على رأسه تاجا فيه الدر اليتيم[6].

وروي أن (كان المعتصم أميّا لا يحسن الخط والكتابة ، وفي خلافته تعلّم أن يكتب العلامة على التوقيعات فكانت تلك العلامة أحسن من خط كل خليفة تقدّمه ، وكان السبب في أنه ما كان يحسن الكتابة أنه كان في المكتب مع إخوته ومعهم جماعة من الخدم الصغار فتوفى أحد الخدم الذين كانوا معهم في المكتب فقال المعتصم: استراح والله من الكتّاب ، فسمع الرشيد بذلك فقال: وكأن أبا إسحاق يشقّ عليه الكون في المكتب إلى حد يفضل عليه الموت ، أخرجوه من المكتب فلي أولاد عدة فإن كان فيهم واحد لا يحسن الخط جاز)[7] ، وقيل بل كان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة[8] ، وقيا إن الرشيد لما

---

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٥.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٠٥، ٣٠٩ ؛ المنمق، ص ٤٠١.

(٣) ابن حبيب المحبر، ص ٦٢

(٤) التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢٠١/٧.

(٥) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٠٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٧/٥ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٢٧٥/٤ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢٥/١١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧٦/٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩٣/١٦.

(٦) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٠٤.

(٧) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٠٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٢٧/١١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩٣/١٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٥/١٠.

(٨) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٢.

سمع منه ضجره من المكتب أرسله البادية ليتعلم الفصاحة[1].

ويحكى عنه أنه كان قوي الجسم فكان(يمدّ يده إلى الأترج الأخضر في رءوس الشجر وهو مجتاز مستعجل فيأخذ من كل أترجّة نصفها في يده من غير أن يكسر الغصن ولا يميله ، وكان يضع السيوف المسللة في الميدان على الأرض ويجرى بالفرس فكلما قرب من واحد منها مال إليه وأخذه بذبابه بين أصابعه ثم رماه من يده حتى إذا قرب من الآخر فعل به مثل ذلك الفعل ، وكان يعالج الحجر فيه أربعمائة رطل[2] بالكبير ، وكان يكون أبدا في يده عمود حديد عوض المقرعة فيه ثلاثون رطلا بالشامي[3] ، وكان في بكرة كل يوم إذا وقف يتعمّم يلقمه خادم السنبوسك[4] فعدوا عليه إلى أن فرغ من التعميم مائة وخمسين سنبوسكة ، وحكى محمد بن عبد الملك الزيات[5] قال: أذكر يوما والمأمون جالس على سرير الخلافة وأبو إسحاق أخوه واقف بين يدي السرير إذا انفلت سبع من السباعين وقطع السلاسل ودخل الدار وكان الناس وقوفا بين يدي المأمون سماطين فهربوا كلّهم ولم يثبت أحد ونهض المأمون من السرير ليهرب مع القوم فتعلّق ذيله في قائمة السرير فبقي معلّقا وقصده الأسد فبادر المعتصم وتلقى الأسد بنفسه وليس معه سلاح فلكمه في وجهه فخسف جبهته ووقع الأسد في صحن الدار وركبه المعتصم وأخذ يركله برجله إلى أن استرخى وضعف ثم قام من فوقه وأخذ يدوسه حتى قتله ، إلاّ أن يد المعتصم التي لكم بها جبهة الأسد انفركت عن ساعده قليلاً إلى أحد الجوانب فأمر المأمون بإحضار طبيب يعالجها على عجلة لتعود إلى مكانها بسرعة ، فلما حضر الطبيب ورآها قال: أيها الأمير تأمر جماعة يمسكونك فإنّي أحتاج إلى جذب يدك عن تلك

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢/٢٧٥.

(٢) الرطل في العراق كان يساوي حوالي: ٣٨٢ غم، ينظر: جمعة، المكاييل والموازين الشرعية، ص ٢٩.

(٣) الرطل الشامي يساوي: ١٧٨٥ غم، ينظر: جمعة، المكاييل والموازين الشرعية، ص ٣٠.

(٤) السنبوسك هو طعامٌ مصنوعٌ من الرُّقاق المعجون بالسَّمْن والمحشوّ باللحم المفروم وفتيت الجوز، ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢/١١١٦ مادة (س ن ب و س ك).

(٥) محمد بن عبد الملك الزيات كان أبوه تاجرا فنشأ وتأدب واستوزره المعتصم والواثق ثم قتل أيام المتوكل، ينظر: ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٣٣ -٢٣٥.

الجهة التي مالت إليها وربما آلمك ذلك ولم تثبت له فتضطرب فلا يتم لي ما أريد من معالجتك ، فقال: وليس إلا هذا؟ قال: نعم وبعد ذلك أضمدها بضماد يقوّى المفصل ، فعمد المعتصم إلى أسطوانة صخر كانت في الدار فلكمها بيده في غير الجهة التي لكم بها الأسد فعادت يده إلى مكانها)[١].

وروى ابن أبي دؤاد[٢] قال: (كَانَ المعتصم يخرج ساعده إليّ ، وَيقول: يَا أبا عبد الله ، عض ساعدي بأكثر قوتك ، فأقول: والله يَاأمير الْمُؤمنِينَ مَا تطيب نفسي بذلك ، فيقول: افعل فإنه لا يضرني ، فأروم ذلك ، فإذا هُوَ لا تعمل فيه الأسنة فضلاً عن الأسنان)[٣].

وقال الجاحظ: (كان المعتصم قلّما يمس الطيب ، وكان يذهب في ذلك إلى تقوية بدنه وإعانته على شدة البطش والأيد ، وأما في أيام حروبه ، فكان من دنا منه ، وجد رائحة صدأ السلاح والحديد من جسمه)[٤].

ومن صفته أنه لم يكن(يلتذ بتزيين البناء وَكَانَ غايته فيه إحكام ، ولم يكن بالنفقة فِي شيء أسمح منه بالنفقة في الحرب)[٥].

وقال المسعودي: (كان المعتصم يحب العمارة ، ويقول: إن فيها أموراً محمودة ، فأولها عمران الأرض التي يحيى بها العالم ، وعليها يزكو الخراج ، وتكثر الأموال ، وتعيش البهائم ، وترخص الأسعار ، ويكثر الكسب ، ويتسع المعاش)[٦].

وقال ابن عبدربه: (كان شديد البأس ، حمل باباً من حديد فيه سبعمائة وخمسون رطلاً وفوقه عكام فيه مائتان وخمسون رطلاً ، وخطا خطا كثيرة ، وكان

---

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء،

(٢) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير القاضي، ولي القضاء للخليفة المعتصم والواثق، وتوفي سنة ٢٤٠ هـ /٨٥٤ م، ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٢٧٣/١١ -٢٧٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٩/١١ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الخلفاء، ٣٩٥/١٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٥/١٠ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٣.

(٤) التاج في أخلاق الملوك، ١٥٥.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٩/١١ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧٧/٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٥/١٠

(٦) مروج الذهب، ٣٣٢/٣.

يسمى ما بين أصبعي المعتصم: المقطرة ، لشدته)[١] ، ووصفه ابن الطقطقي فقال: (كان (كان المعتصم سديد الرأي ، شديد المنة ، يحمل ألف رطل ويمشي بها خطوات ، وكان موصوفاً بالشجاعة)[٢].

وقال ابن فضل الله العمري: كان المعتصم(فارساً شجاعاً بطلاً مناعاً ، رامياً محامياً بصيراً بمواقع الحرب ، وترتيب الجيوش ، وقتل الأعداء ، وحملهم من رماحه على النفوس ، وكان كما يوسم أخوه مخيلة عارضه الهتون ، وخميلة أرضه الهرون ، واستكثر من الغلمان الأتراك ، وأحلّ كبراءهم منه بمكان الاشتراك ، حتى حدث بعده منهم ما حدث ، وأحدثوا ما لو شعر به لقام لا يواريه حدث ، فإنهم فعلوا ما كانوا دون قدره ، وقتلوا من بنيه من يلوث بدمه الصباح .... ، فأما في زمان المعتصم ، فإنهم كانوا في مزيد الاستطاعة عبيد الطاعة ، إلا أن منهم من قسا ووكل السيف في عقابه لما أسى)[٣].

وقال الذهبي: (كان من أَهْيب الخلفاء وأعظمهم ، لولا ما شان سُؤْدَدَه بامتحان العلماء بخَلْق القرآن ، نسأل الله السّلامة)[٤] ، وقال أيضاً: (وللمعتصم شعرٌ لا بأس به ، وكلمات فصيحة)[٥].

ومن أقواله: (إذا شُغلت الألباب بالآداب ، والعقول بالتعليم ، تنبّهَت النفوس على محمود أمرها ، وأبرز التّحريك حقائقها)[٦] ، وكان يقول: (إذا نصر الهوى بطل الرأي)[٧].
الرأي)[٧].

ومن شعره ما كتبه إلى عبد الله بن طاهر[٨] في مرض له:

---

(١) العقد الفريد، ٣٧٧/٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٤٢٣/٢.

(٢) الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٢٩.

(٣) مسالك الأبصار، ٢٣٥/٢٤ -٢٣٦.

(٤) تاريخ الإسلام، ٣٩٤/١٦ ؛ ينظر أيضاً: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٢.

(٥) تاريخ الإسلام، ٣٩٧/١٦.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩٧/١٦.

(٧) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٨٦ ؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣٦٨/١.

(٨) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان الخزاعي بالولاء، أحد قادة الخليفة المأمون وولاه على خراسان، وكان أديباً كريماً ظريفاً، توفي سنة ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٨٣/٣ -٨٨.

أعــزز علــيّ بــأن أراك علــيلا	أو أن يكون بـك السّقام نـزيلا
فـوددت أنّـي مالـك لسلامتي	فأعيرهـا لـك بكـرة وأصيــلا
فتكـون تبقـى سـالما بسـلامتي	وأكـون ممّـا قـد عـراك بديـلا
هذا أخ لك يشتكي مـا تشتكي	وكذا الخليل إذا أحبّ خليلا[1]

ومن شعره ما قاله لجارية له لما دخل مصر:

غريـــب في قــرى مصــر	يقاســي الهــمّ والسّــقما
لليلــك كــان بالمــيدا	ن أقصــر منــه بالفرمــا[2]

ومن شعره في غلام له يدعى عجيب ، قال:

وخطة ليس فيها من بيان عنى	الرزق أروع شيء عن ذوي الأدب
لقـــد رأيـــت عجيبًـــا	يحكـــي الغـــزال الربيبـــا
الوجـــه منـــه كبـــدر	والقـــدر يحكـــي القضـــيبا
وإن تنــــاول ســـيفًا	رأيـــت ليثًـــا حريبًـــا
وإن رمــــى بســـهام	كـــان المجيـــد المصـــيبا
طبيــب مــا بــي مــن الحــب	فـــلا عـــدمت الطبيبـــا
إنـــي هويـــت عجيبًـــا	هـــوى أراه عجيبًـــا[3]

ألقابه

كان يلقب المعتصم بالله[4] وهو أول من اسم الخلافة إلى اسم الله عز وجل[5] ، ويكنى أبا إسحاق[6] ، وكان يسمى المثمن لأنه الثامن من خلفاء بني العباس[7] ،

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٤٨/٢.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٦٠/٦.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٦ -٣٩٧.

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٢

(٥) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٠٤.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦٦٧/٨ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١٧٥/٤

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٧/٥ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ٣٠٧ ؛ ابن الجوزي، المنتظم،

وقيل إنه لقب بذلك لأنه كان(كان المعتصم هو الثامن من ولد العباس ، لأنه محمد بن هارون الرشيد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، وكان الثامن من الخلفاء لأن أولهم السفاح ثم المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم الأمين ثم المأمون ثم المعتصم ، وملك ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وحكى المنجّمون أنه توفى في اليوم التاسع على ثماني ساعات من النهار ، وخلّف ثمانية بنين وثماني بنات ، وخلّف في بيت المال ثمانية آلاف ألف دينار وثماني مائة ألف ألف درهم ، وكانت فتوحاته ثمانية)[1].

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه: (الحمد للَّه الّذي ليس كمثله شيء ، وهو خالق كل شيء)[2] ، وقيل كان نقش خاتمه: (الله ثقة أبي إسحاق بن الرشيد وبه يؤمن)[3] ، وقيل كان نقش خاتمه: (سل الله يعطيك)[4] ، وقيل نقش خاتمه: (الحمد لله الذي ليس كمثله شيء)[5].

وفاته:

روى عن سبب علته أنه احتجم أول يوم محرم فاعتل ، ثم وجد إفاقة فخرج في سفينة في دجلة فغنى زامره زمام الزامر بصوت:

يا منزلا لم تبل أطلاله	**حاشى لأطلالك أن تبلى**
لم أبك أطلالك لكنني	**بكيت عيشي فيك إذ ولى**
والعيش أولى ما بكاه الفتى	**لا بد للمحزون أن يسلى**

٢٥/١١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٤/١٠.

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٠٩ ؛ ينظر أيضاً: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٧/٥ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢٥/١١ ؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٢٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩٤/١٦ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٣.

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٠٨

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٧/٥.

(٤) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١٠.

(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٦.

ثم دعا برطلية ، فشرب منها قدحاً ، وقد تناول منديلا بين يديه ، فما زال يبكي ويمسح دموعه فيه وينتحب ، حتى رجع إلى منزله ، ولم يستتم شرب الرطلية[١].

وروي الطبري أنه لما احتضر جعل يقول: ذهبت الحيل ليست حيلة ، حتى أصمت ، وقيل أنه جعل يقول: إني أُخذت من بين هذا الخلق ، وقيل إنه قال: لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت ، ما فعلت فلما مات دفن بسامرا[٢] ، وقبره بالجوسق[٣] ، وصلى عليه ابنه هارون الواثق[٤] ، وقيل بل صلى عليه أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد[٥].

وروي عن علي بن يحيى المنجم[٦] قال: (لَما استتم المعتصم عدة غلمَانه الأتراك بضعة عشر ألفاً ، وعلق لَهُ خمسون ألف مخلاة على فرس ، وبرذون ، وبغل ، وذلل العدو بكل النواحي ، أتته المنية ، عَلَى غفلة ، فقيل لي إنه قَالَ في حمّاه التي مات فيها: (حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ[٧])[٨].

وروي أن كان يقول في مرضه الذي مات فيه: (اللَّهمّ إنّك تعلم أنّي أخافك من قِبَلي ، ولا أخافك من قِبَلك ، وأرجوك من قِبَلك ، ولا أرجوك من قِبَلي)[٩].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١١٩/٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧٥/٦ - ٧٦ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٣٨/٢٤ -٢٣٩.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ١١٩/٩ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٢٧٤/٤ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٠٩ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٢٨/١١ ؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٣١ -٢٣٢.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ٣٣١/٣.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٢ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩٧/١٦.

(٥) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٤٠٦.

(٦) علي بن يحيى المنجم أحد الأدباء والظرفاء نادم عدد من الخلفاء وتوفي سنة ٢٧٥ هـ/ ٨٨٨ م، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٠٥/٢٠.

(٧) سورة الأنعام، آية ٤٤.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، ١٢٨/١١

(٩) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩٨/١٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٥/١٠.

١٠ - الواثق بالله
(١٩٦ -٢٣٢ هـ/٨١١ -٨٤٦ م)

أبو جعفر هارون بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي تاسع الخلفاء العباسيين ، ولد لعشر بقين من شعبان سنة١٩٦هـ /٨١١م بطريق مكة ، أمّه أمّ ولد رومية تدعى قراطيس ، وتوفيت في طريقها إلى الحج في السنة التي تولى فيها ابنها الخلافة ، وكانت بيعته بالخلافة يوم الخميس لثماني عشر خلت من شهر ربيع الأول سنة٢٢٧هـ/٨٤١ م ، وتوفي بسامراء لست بقين من ذي الحجة سنة٢٣٢هـ/٨٤٦ م وهو ابن أربع وثلاثين سنة[١].

زوجاته وأولاده

ذكر ابن حزم أولاد الواثق بقوله: لد هارون الواثق أمير المؤمنين ، محمد المهتدي ، أمير المؤمنين ، وكان إماماً فاضلاً لم يكن في آل العباس مثله ، أمّه قرب ، وعبد الله وكان دون المهتدي في السن بخمسة أشهر ، وإبراهيم ، وعليّ ، ومحمد الأصغر أبو إسحاق ، وبنات ، تزوج المستعين أمير المؤمنين وأخوه عبد الله اثنتين منهن[٢] ، وله أيضاً أبا العباس أحمد[٣].

وأما بناته فهم: فاطمة بنت الواثق تزوجت عبد الله بن محمد بن المعتصم ،

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٢ ؛ ابن قتيبة، المعارف، ٣٩٣/١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٢٣/٩ ؛ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٧/٥ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣٤٤/٣ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٢/١٦ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٢٣/٧٣ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١١١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١١٩/١١.

(٢) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٨/٥.

(٣) ابن حبيب المحبر، ص ٤٤ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٨/٥.

وعائشة بنت الواثق تزوجت أحمد المستعين بن محمد بن المعتصم[1].

صفته وبعض أقواله

قال الطبري: (ذكر من رآه وشاهده إنه كان أبيض مشرباً حمرة ، جميلاً ربعة ، حسن الجسم ، قائم العين اليسرى ، وفيها نكتة بياض)[2] ، وقال المسعودي: (كان أبيض مشرباً حمرة ، حسن الجسم ، عريض الصدر ، كث اللحية في عينية نكتة بياض ، يذهب في كثير من أموره مذاهب المأمون ، شغل نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد قلوبهم ، وأوجدهم السبيل إلى الطعن عليه)[3].

ووصف الواثق بأنه كان(شاعراً أديباً كريماً حليماً حافظاً لأشعار العرب ، عارفاً بالغناء ، يدعى المأمون الصغير ، وكان المأمون يجلسه وأبوه المعتصم واقف ، وهو ربّاه ، وكان يقول للمعتصم: ياأبا إسحاق لا تؤدّب هارون فإنّي أرضى أدبه ، وكان قد تبنّى به حتى كان يعلّمه الأدب والخط بنفسه ويقرئه القرآن بنفسه ، وكانت أحواله كلها وتصاريفه شبيهة بأحوال المأمون ، وكان الواثق لبلاغته يصعد المنبر ويرتجل الخطب على البديهية من غير أن يروّى فيها)[4].

ووصفه ابن الطقطقي العلوي بقوله: (كان الواثق من أفاضل خلفائهم ، وكان فاضلاً لبيباً ، فطناً فصيحاً شاعراً وكان يتشبّه بالمأمون في حركاته وسكناته ، ولما ولي الخلافة أحسن إلى بني عمّه الطالبيّين وبرّهم)[5].

وقيل إنه كان كريماً جواداً أغدق على العلويين وأكرمهم حتى ذكر أنه: (ماأحسن أحد إلى آل أبي طالب من خلفاء بني العباس ما أحسن إليهم الواثق ، مامات وفيهم فقير)[6].

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ٦٢

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ١٥١/٩ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٢٨٦/٤ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١١٩/١١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠٧/٦.

(٣) التنبيه والإشراف، ص ٣١٣.

(٤) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١١

(٥) الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٣٦.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٢/١٦ ؛ ينظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٢٤/٧٣ ؛ العصامي المكي، سمط النجوم، ٤٦٣/٣.

ووصف ابن فضل الله العمري شخصية الخليفة الواثق بقوله(كان كريماً جواداً وله اعتلاء في الأدب واعتناء به ، ينسل إليه أهله من كل حدب ، وكان له صنعة في الموسيقى ، وروي له فيها أعمال تحرك الصخور ، وتحرض سامعها على اغتنام أيام السرور ، وكان مع هذا مهيبا موقراً في الصدور ، موقى بمهابة أمنع من النسور ، وكانت له على الأتراك حرمة خطرت على خواطرهم الخطرات ، وقصرت لواحظهم تحت سجف العبرات ، وكان إذا ذكر لهم تريع بهم أوهامهم وترتعد مفاصلهم فما تقلهم أقدامهم)(١).

وذكر المسعودي أن الواثق كان (كثير الأكل والشرب ، واسع المعروف ، متعطفاً على أهل بيته ، متفقداً لرعيته ، وسلك في المذهب مذهب أبيه وعمّه من القول بالعدل)(٢).

كما وصف الواثق بأنه كان (أكولاً ، وكان مفتوناً بحب الباذنجان ، وكان يأكل في أكلة واحدة أربعين باذنجانة ، فأوصى إليه أبوه ، وكان وليّ عهده: ويلك! متى رأيت خليفة أعمى؟ فقال للرسول: أعلم أمير المؤمنين أني تصدقت بعينيّ جميعاً على الباذنجان)(٣).

وروي أنه دخل عليه مؤدبه هارون بن زياد(٤) (فأكرمه وأظهر من بره مَا شهر به ، فقيل لَهُ: من هَذَا يَا أَمِير الْمُؤْمنينَ الذي فعلت به مَا فعلت؟ قَالَ: هَذَا أول من فتق لساني بذكر الله ، وأدناني من رحمة الله عز وجل)(٥).

وكان يقول الشعر ، حتى قيل إنه لم يكن في خلفاء بني العباس أكثر رواية للشعر منه(٦) ، ومن شعره في أحد من أقاربه:

أنت الوضيع بنفسه لا بيته	**ما أنت من أعلى العيوب بسالم**
ولكل بيت دقة وقمامة	**تلقى وأنت قمامة من هاشم(٧)**

---

(١) مسالك الأبصار، ٢٤٠/٢٤.

(٢) مروج الذهب، ٣٤٥/٣.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٣/٨.

(٤) هارون بن زياد النحوي مؤدب الواثق، ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ٣١٩/٢.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٢/١٦ ؛ ينظر أيضاً: الآبي، نثر الدرر، ٨٨/٣ ؛ الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٨٦ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٢٠/١١.

(٦) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٣.

(٧) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١١.

ومن شعره ولحنه في غلام له:

يـا ذا الّـذي بعـذابي ظـل مفتخـرا   هـل أنـت إلا مليـك جـار إذ قـدرا

لـولا الهـوى لتجازينـا علـى قـدر   وإن أفـق منـه يومـا واحـدا سترى[1]

وروي عن محمد الخليفة المهتدي عن أبيه الواثق أنه قال: (كنت أمشي مع الواثق في صحن داره ، فقال لي: يا محمد ادع لي بإداوة وقرطاس فدعوت له ، فقال: اكتب ، فكتبت:

تـنح عـن القبـيح ولا تـرده   ومـن أوليتـه حسـنا فـزده

سـتكفي مـن عـدوك كـل كيـد   إذا كـاد العـدو ولم تكـده

ثُمَّ قال: اكتب:

هـي المقـادير تجـري في أعنتهـا   واصبر فليس لَها صبر على حال

ثم أفكر طويلًا فلم يأته شيء آخر ، فقال: حسبك)[2].

ومما روي من شعر الخليفة الواثق:

حـين اسـتتمّ بـأرداف تجاذبـه   واخضـرّ فـوق قنـاع الـدرّ شـاربه

وتم في الحسـن فالتامـت ملاحتـه   ومازجـت بـدعا منـه عجائبـه

كلّمتـه بجفـون غـير ناطقـة   فكـان مـن رده مـا قـال حاجبـه[3]

ومن شعره قال:

حَيَّـاكَ بِـالنَّرْجِسِ وَالْـوَرْدِ   مُعْتَـدِل الْقَامَـةِ وَالْقـدِّ

فَأَلْهَبَـتْ عَيْنـاهُ نَـارَ الجـوَى   وَزَادَ فِـي اللَّوْعَـةِ وَالْوَجْـدِ

أمَّلْـتُ بِالْمُلْـكِ وِصَـالاً لَـهُ   فصَـارَ مُلْكِـي سَـبَبَ الْبُعْـدِ

---

(1) **ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١٣ ؛ ينظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٢٦/٧٣ ؛ العصامي المكي، سمط النجوم، ٤٦٣/٣.**

(2) **الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٢/١٦ ؛ الثعالب، الشكوى والعتاب، ص ٧٣ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٢٥/٧٣ -٣٢٦.**

(3) **ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٢٦/٧٣.**

مَوْلًى ويشْكُو الظُّلْم مِنْ عبْدَهَ   فأَنْصِفُوا المَوْلَى مِن الْعبْدِ

قَالَ الصولي: أجمعُوا على أن لَيْسَ لأحد من الْخُلَفَاء مثل هَذِه الأبيات فِي اللَّطِيف[1].

وحكى محمد بن عبد الملك الزيات قال: (كان في مرضه يهذى بالشعر لاستجابة خاطره له ، فاتفق أن دخل عليه في مرضه الحسن بن وهب[2] كاتب إنشائه وكان قد تأخر عنه أياماً لأنه كان مستهتراً بالشرب ، فلما رآه (أي الواثق)أنشد:

خدمة الواثق والكاسات في أيدي الملاح

ليس يلتامان فاختر خدمة أو كاس راح[3]

ألقابه

لقب بالواثق بالله[4] ، ويكنى أبا جعفر[5] ، ويلقب بالمسدود العين لأن في عينه شيء أبيض لا يراه إلا من قرب منه[6] ، وكان يدعى المأمون الصغير لحبه للعلم والأدب[7].

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه (الله ثقة الواثق)[8] ، وقيل كان نقش خاتمه: (محمد رسول الله)وله خاتم آخر (الواثق بالله)[9].

---

(١) العصامي المكي، سمط النجوم، ٤٦٣/٣.

(٢) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس بن فنال، من طبقة الكتاب، خدم أجداده الأمويين ثم تحولوا إلى خدمة الخلفاء العباسيين، وتولى الحسن الكتابة وديوان الرسائل للخليفة الواثق بالله، وكان شاعراً بلغياً فصيحاً، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤١٥/٢.

(٣) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١٣.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ٣٩٣/١.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٥١/٩ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣٤٤/٣ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٢٧٥/٤.

(٦) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١١.

(٧) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١١.

(٨) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣١٣.

(٩) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٨/٥.

وفاته:

روى الطبري عن علته التي توفي بها قال: (ذكر لي جماعة من أصحابنا أن علته التي توفي منها كانت الاستسقاء، فعولج بالإقعاد في تنور مسخن، فوجد لذلك راحة وخفة مما كان به، فأمرهم من غد ذلك اليوم بزيادة في إسخان التنور، ففعل ذلك وقعد فيه أكثر من قعوده في اليوم الذي قبله، فحمي عليه، فأخرج منه، وصير في محفة، وحضره الفضل بن إسحاق الهاشمي وعمر بن فرج وغيرهم، ثم حضر ابن الزيات وابن أبي دؤاد، فلم يعلموا بموته حتى ضرب بوجهه المحفة، فعلموا أنه قد مات، وقد قيل: إن أحمد بن أبي دؤاد حضره وقد أغمي عليه، فقضي وهو عنده فأقبل يغمضه ويصلح من شأنه، وكانت وفاته لست بقين من ذي الحجة ودفن في قصره بالهاروني وكان الذي صلى عليه وأدخله قبره وتولى أمره أحمد بن أبي دؤاد)[١] ، وقيل: بل صلى عليه أخوه جعفر المتوكل[٢].

وروى الطبري أنه لما اعتل علته التي مات فيها وسقي بطنه، أمر بإحضار المنجمين، فأحضروا، فنظروا في علته ونجمه ومولده، فقالوا: يعيش دهراً طويلاً، وقدروا له خمسين سنة مستقبلة، فلم يلبث إلاّ عشرة أيام حتى مات[٣] ، قلت: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال:

وقيل إنه لما (احتضر الواثق جعل يردد هذين البيتين:

الموت فيه جَميع الخلق مشترك ... لا سوقة منهم يبقى ولا ملك

ما ضر أهل قليل في تفاقرهم ... وليس يغني عن الأملاك ما ملكوا

ثُمَّ مر بالبسط فطويت، وألصق خده بالأرض، وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه)[٤].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ١٥٠/٩ -١٥١ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٢٨٦/٤

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٢/١٦ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٨٨/١١.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ١٥١/٩ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠٧/٦.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٢/١٦ ؛ ينظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٣٠/٧٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠٦/٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٨٥/١٧.

وروي عن أحمد بن محمد بن أحمد الواثقي[1] عن أبيه ، وكان من جلساء الخليفة الواثق وخواصه ، قال: (كنت أحد من مَرَّضَ الواثق في علته التي مات فيها ، فكنت قائمًا بين يدي الواثق أنا وَجَمَاعة من الأولياء والموالي والخدم ، إذ لَحِقَتْهُ غشية ، فما شككنا أنه قد مات ، فقال بعضنا لبعض: تقدموا فاعرفوا خبره ، فما جسر أحد منهم يتقدم ، فتقدمت أنا ، فلما صرت عند رأسه وأردت أن أضع يدي على أنفه أعتبر نفسه لَحقته إفاقة ففتح عينيه ، فكدت أن أموت فزعًا من أن يراني قد مشيت في مجلسه إلى غير رتبتي ، فتراجعت إلى خلف ، وتعلقت قبيعة سيفي بعتبة المجلس وعثرت به ، فاتكأت عليه ، فاندق سيفي وكاد أن يدخل في لَحْمِي ويَجرحني ، فسلمت وخرجت ، فاستدعيت سيفًا ومنطقة أخرى ، فلبستها وجئت حتى وقفت فِي مرتبتي ساعة ، فتلف الواثق تلفًا لَم تشك جَماعتنا فيه ، فتقدمت فشددت لحييه ، وغمضته ، وسجيته ، ووجهته إلى القبلة ، وجاء الفراشون فأخذوا ما تَحْتَه في المجلس ليردوه إلى الخزائن ، لأن جَميعه مثبت عليهم ، وترك وحده في البيت ، وقال لي ابن أبي دؤاد القاضي: إنا نريد أن نتشاغل بعقد البيعة ، ولا بد أن يكون أحدنا يَحفظ الميت إلى أن يدفن ، فأحب أن تكون أنت ذلك الرجل ، وقد كنت من أخصهم به في حياته ، وذلك أنه اصطنعني واختصني حتى لقبني الواثقي باسمه ، فحزنت عليه حزنًا شديدًا ، فقلت: دعوني وامضوا ، فرددت باب المجلس وجلست في الصحن عند الباب أحفظه ، وكان المجلس في بستان عظيم أجربة ، وهو بين بستانين ، فحسست بعد ساعة في البيت بِحركة أفزعتني ، فدخلت أنظر ما هي ، فإذا بِجرذون من دواب البستان قد جاء حتى استل عين الواثق فأكلها ، فقلت: لا إله إلا الله هذه العين التي فتحها منذ ساعة ، فاندق سيفي هيبة لَها ، صارت طعمة لدابة ضعيفة ، قال: وجاءوا فغسلوه بعد ساعة ، فسألني ابن أبي دؤاد عن سبب عينه ، فأخبرته)[2] ، وقد علق ابن فضل الله العمري على ذلك بقوله: (فسبحان القادر

---

(١) أحمد بن محمد بن أحمد الواثقي تولى البصرة للخليفة المعتضد وكان أبوه يخدم الواثق فلقب بالواثقي، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٠٤/٦.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٢/١٦ ؛ ينظر أيضاً: التنوخي، نشوار المحاضرة، ٧٣/٢ -٧٤ ؛=

الفعال لما يريد ، لا إله إلا هو)[1].

وقيل في سبب وفاته: (كَانَ الواثق يحب النساء وكثرة الجمَاع ، فوجه يومًا إِلَى ميخائيل الطبيب ، فدعا به ، فدخل عَلَيْهِ وَهُوَ نائم فِي مشرفة لَهُ وعليه قطيفة خز ، فوقف بين يديه ، فَقَالَ: يَا ميخائيل[2] ، أبغني دواء للباه ، فَقَالَ: يَا أَمِير الْمُؤْمِنِينَ ، بدنك ، فلا تهده بالجمَاع ، فإن كثرة الجمَاع تهد البدن ولا سيمَا إذا تكلف الرجل ذلك ، فاتق الله في بدنك وأبق عليك ، فليس لك من بدنك عوض ، فَقَالَ لَهُ: لا بد منه ، ثم رفع القطيفة عنه ، فإذا بين فخذيه وصيفة قد ضمها إليه ، ذكر من جمَالها وهيئتها أمراً عجيباً ، فَقَالَ: من يصبر عن مثل هَذِهِ ؟ قَالَ: فَإِن كَانَ ولا بد فعليك بلحم السبع ، وأمر أن يؤخذ لك منه رطل فيغلى سبع غليات بخل خمر عتيق ، فإذا جلست عَلَى شرابك أمرت أن يضرب لك منه ثلاثة دراهم فانتقلت به عَلَى شرابك في ثلاث ليال ، فإنك تجد فيه بغيتك ، واتق الله فِي نفسك ولا تسرف فيها ، ولا تجاوز مَا أمرتك به ، فلهى عنه أياماً ، فبينا هو ذات ليلة جالس قَالَ: عليّ بلحم السبع الساعة ، فأخرج لَهُ سبع من الجب وذبح من ساعته ، وأمر فكبب لَهُ منه ، ثم أمر فأغلي لَهُ منه بالخل ، ثم قدم لَهُ منه ، فأخذ يتنقل منه عَلَى شرابه ، وأتت عَلَيْهِ الأيام والليالي ، فسقى بطنه ، فجمع لَهُ الأطباء ، فأجمع رأيهم عَلَى أنه لا دواء لَهُ إلا أن يُسجر تنور بحطب الزيتون ويسخن حَتَّى يمتلئ جمراً ، فإذا امتلأ كسح مَا فِي جوفه فألقي عَلَى ظهره ، وحشي جوفه بالرطبة ، ويقعد فيه ثلاث ساعات من النهار ، فإذا استسقى ماء لم يسق ، فإذا مضت ثلاث ساعات كوامل أخرج وأجلس جلسة مقتضبة عَلَى نحو مَا أمروا به ، فإذا أصابه الروح وجد لذلك وجعاً شديداً ، وطلب أن يرد إِلَى التنور فترك عَلَى تلك الحال ، ولا يرد إِلَى تلك التنور ، حَتَّى تمضي ساعات

=ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٣١/٧٣ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٨٥/١١ -١٨٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠٦/٦ -١٠٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٨٥/١٧.

(١) مسالك الأبصار، ٢٤١/٢٤.

(٢) هو ميخائيل بن ماسويه طبيب خدم المأمون ومن بعده، ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٥٥ -٢٥٧.

من النهار ، فإنه إذا مضت ساعات من النهار جرى ذلك المَاء ، وخرج من مخارج البول وإن سقي ماء أو رد إِلَى التنور كَانَ تلفه فيه ، فأمر بتنور فسجر بحطب الزيتون حَتَّى امتلأ جمرا أخرج مَا فيه وجعل عَلَى ظهره ، ثم حشي بالرطبة وعري وأجلس فيه ، فأقبل يصيح ويستغيث وَيَقُولُ: أحرقتموني اسقوني مَاء ، وقد وكل به من يمنعه المَاء ولا يدعه أن يقوم من موضعه الّذي أقعد فيه ، ولا يحرك فسقط بدنه كله ، وصار فيه مفاجاَت مثل أكبر البطيخ وأعظمه ، فترك عَلَى حالته حَتَّى مضت لَهُ ثلاث ساعات من النهار ، ثم أخرج وقد كاد يحترق ، أو يقول القائل فِي رأي العين قد احترق ، فأجلسه الأطباء ، فلمَا وجد روح الهواء اشتد به الوجع والألم ، وأقبل يصيح ويخور خوران الثور ، ويقول: ردوني إِلَى التنور ، فإني إن لم أرد مت ، فاجتمع نساؤه وخواصه لَما رأوا مَا بِهِ من شدة الألم والوجع ، وكثرة الصياح ، فرجوا أن يكون فرجه فِي أن يرد إِلَى التنور ، فردوه إِلَى التنور ، فلمَا وجد مس النار سكن صياحه وتقطرت النفاخات التي كانت خرجت ببدنه وخمدت ، وبرد فِي جوف التنور فأخرج من التنور وقد احترق وصار أسود كالفحم ، فلم تمض ساعة حَتَّى قضى)[1].

وقيل لما (ولّما توفّي الواثق كان أهل المدينة تخرج من نسائهم كلّ ليلة إلى البقيع ، فيبكين عليه ، ويندبنه ، ففعلوا ذلك بينهم مناوبة حزنا عليه ، لما كان يكثر من الإحسان إليهم)[2].

أما عن عمره فقد اختلف الروايات في ذلك ، فقيل: توفي وهو ابن ست وثلاثين سنة ، وقيل: ابن اثنتين وثلاثين سنة ، وعلى القول الأول فإن مولده كان ١٩٦هـ /٨١١م ، وعلى القول الثاني فإن ولادته كانت سنة ٢٠٠ هـ/٨٥١م[3].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ١٨٥/١١ -١٨٨ ؛ ينظر أيضاً: العصامي المكي، سمط النجوم، ٤٦١/٣ -٤٦٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠٨/٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٥١/٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠٧/٦.

١١ - المتوكل على الله

(٢٠٦ -٢٤٧ هـ/ ٨٢١ -٨٦١ م)

هو أبو الفضل جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، العاشر من الخلفاء العباسيين ، ولد سنة٢٠٦ هـ/٨٢١ م وقيل سنة٢٠٧هـ /٨٢٢ م بفم الصلح ، أمّه أمّ ولد خوارزمية يقال لها شجاع[١] ، ماتت قبل مقتله في سنة ٢٤٦ هـ/٨٦٠ م ، وبويع له بالخلافة يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة٢٣٢ هـ /٨٤٦ م وهو ابن سبع وعشرين سنة وقيل ابن ست وعشرين سنة ، وقتل ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة٢٤٧هـ/٨٦١ م وهو ابن إحدى وأربعين سنة[٢].

زوجاته وأولاده

قال ابن عبد ربه: كان كثير الولد[٣] ، إلا أنه لم يذكرهم كما فعل مع الخلفاء السابقين ، وذكر ابن حزم مجمل زوجاته وأولاده ، وعد من أولاده ثلاث وعشرين ذكراً ، ولم يذكر البنات ، فقال: (ولد المتوكل: محمد المنتصر ، أمير المؤمنين ، وهو قاتل أبيه ، وشقيقه موسى الأحدب ، أمّهما أمّ ولد رومية تسمى حبشية ، ومحمد أبو عبد الله

---

(١) قال ابن الجوزي: كانت من سرورات النساء سخاءً وكرماً وتوفيت سنة ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠ م، المنتظم، ٣٤٦/١١ -٣٤٨.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٣ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٣٠/٩، ٢٣٤ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٨/٥ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣٦١/٤ ؛ الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٧٥/٦ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٥٠/١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٧٥/٢٢.

(٣) العقد الفريد، ٣٧٨/٥.

المعتز ، أمير المؤمنين ، وإسماعيل شقيقه ، أمهما قبيحة ، صقلية ، وأبو العباس أحمد المعتمد ، أمير المؤمنين ، أمّه فتيان ، وإبراهيم المؤيد ، ولي العهد للمعتز ، قتله المعتزّ ولم يتم أمره ، وأبو أحمد محمّد الموفّق شقيقه ولي العهد أيضاً للمعتمد ، ومات قبل المعتمد ، أمّهما سحق ، ولم يتم أمره ، ومحمد أبو عيسى ، أمّه خزر ، وكان فاضلاً ، قتله المعتضد ابن أخيه تغريقاً في دجلة ، ومحمد أبو العباس المعروف بالكيس ، ومحمد أبو حفص ، ومحمد أبو محمد ، ومحمد أبو بكر ، ومحمد أبو موسى ، ومحمد أبو الحسن ، وعبد الله أبو القاسم الملقب بالكوفى ، والمؤمّل ، والفضل ، والغيداق أبو شيبة ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، ويعقوب الأحدب ، ويعقوب آخر ، وجعفر كان اسمه إسحاق وهو أصغر أولاده وسمّاه المعتز إذ ولاه جعفراً ، ولد قبل موت أبيه بليال ، وهو المعروف باليتيم ، وكان فاضلاً مقدماً في أهله)[1].

أما زوجاته فذكرت بعض المصادر أنه دخل على أربعة آلاف سرية وطئهن كلّهن[2] ، وعلى الرغم من المبالغة الكبيرة في الرواية إلا أنها تعكس العدد الكبير من الزيجات ، ومن أقاربه تزوج جعفر المتوكل نامية بنت المأمون ابنة عمّه وتوفيت عنده[3] ، وأشار الجاحظ إلى عدد من زوجات المتوكل وحظاياه ، منهن جارية تدعى نخلة كانت عند رجل يدعى الحسين الخلال فأعتقها ثم تزوجها المتوكل ، كما تزوج ابنة سليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادي فحظيت عنده ، كما تزوج ريطة بنت العباس بن علي ثم سألها أن تطم شعرها ، وتتشبه بالمماليك ، فأبت عليه ، فأعلمها إن لم تفعل فارقها ، فاختارت الفرقة ، فطلقها ، كما تزوج عائشة بنت عمر بن الفرج الرخجي فبقيت عنده ليلة ثم ردها إلى دار أبيها[4].

ومن أشهر زوجاته الجارية قبيحة ولدت له ابنه المعتز وإسماعيل أهداها إليه عبد الله بن طاهر وكانت أديبة تقول الشعر وتلحنه[5] ، وكان المتوكل سماها قبيحة لجمالها

---

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦ -٢٧ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٩٧/٢٢.
(٢) المسعودي ، مروج الذهب، ٣٨٧/٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠١/١٨.
(٣) ابن حبيب، المحبر، ص ٦٢ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٢/١.
(٤) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص ٢١٤ -٢١٥.
(٥) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص ٣٣٢.

لجمالها فهو من أسماء الأضداد[1] ، قال علي بن الجهم: (دخلت يوماً على المتوكل ، فقال: يا علي! قلت: لبيك أمير المؤمنين ، قال: دخلت الساعة إلى قبيحة ، وقد كتبت على خدّها بالمسك اسمي ، فو اللّه مارأيت سواداً في بياض أحسن منه في ذلك الخدّ ، فقل فيه شعراً ، فقلت: ياأمير المؤمنين ، أمظلومة معي؟ قال: نعم ، ومظلومة خلف الستارة ، فدعت بدواة وبدرت بالقول ، فقالت:

وكاتبة بالمسك في الخدّ جعفرا — بنفسي مخطّ المسك من حيث أثرا

لئن أودعت سطرا من المسك خدّها — لقد أودعت قلبي من الحبّ أسطرا

فيا من لمملوك تملّك مالكا — مطيعا له فيما أسرّ وأظهرا

ويا من مناها في السرائر جعفر — سقى اللّه من صوب الغمامة جعفرا

قال: وأفحمت فلم أنطق ، وتغلبت عليّ خواطري فما قدرت على حرف أقوله ، فضحك أمير المؤمنين)[2].

وعندما قتل المتوكل وأفضى الأمر إلى ابنها المعتز (لم تزل أمه قبيحة تحرضه على الانتصار من قتلة أبيه ، ويعلم أن لا قوة به عليهم ، فلما طال بها الانتظار أبرزت له قميص المتوكل الذي قتل فيه ، وجعلت تبكي وتضرع ، فقال: يا أماه ، ارفعي القميص وإلا صار قمصين ، فعدنها سكتت)[3].

صفته وبعض أقواله

ذكر أن المتوكل كان أسمر نحيفاً حسن العينين خفيف العارضين[4] ، وكانت له جمة[5] إلى شحمة أذنيه[6] ، كما وصف أنه كان(كريم الطبع سهل الحجاب مليح

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ٣٨٧/٤ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢١/٢٢.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٠٨/٨.

(٣) الزمخشري، ربيع الأبرار، ٤٤٥/٤ ؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٦/٧.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ٣١٣/٤ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٧٨/١١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٩٦/١٨.

(٥) الجمة هي مجتمع الشعر إذا تدلى من الرأس إلى شحمة الأذن والمنكبين، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٤٢٠/٣١ (مادة ج م م)

(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٨/٥ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٩٦/١٨ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، الخلفاء، ص ٤١٨.

الأخلاق ، وكان يقول: كانت الخلفاء قبلي تتصعّب على الرعية لتطيعها وأنا ألين لهم ليحبوني ويطيعوني)[1].

ووصف المسعودي المتوكل وأيامه بقوله: (كانت أيام المتوكل في حسنها ونَضَارتها ورفاهية العيش بها وحمد الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لا ضراء... ويُقال: إنه كان له أربعة آلاف سرية وطئهن كلهن ، ومات وفي بيوت الأموال أربعة آلاف ألف دينار وسبعة آلاف ألف درهم ، ولا يعلم أحد في صناعته في جد ولا هزل إلا وقد حَظِيَ في دولته ، وسعد بأيامه ، ووصل إليه نصيب وافر من ماله)[2].

وذكر وزيره الفتح بن خاقان أنه دخل يوماً على المتوكل فرآه مطرقاً يتفكر فقال له: (ما هذا الكفر يا أمير المؤمنين؟ فو الله مَا عَلَى الأرض أطيب منك عيشاً ولا أنعم أمنك بالاً ، فَقَالَ: يَا فتح ، أطيب عيشاً مني رجل لَهُ دار واسعة ، وزوجة صالحة ، ومعيشة حاضرة ، لا يعرفنا فنؤذيه ، ولا يحتاج إلينا فنزدريه)[3].

ووصف المتوكل بأنه كان ولعاً بالبناء والقصور وأنفق عليها أموالاً طائلة ، ومن أشهر قصوره: الكامل ، والجعفريّ ، وبركوانا ، والعروس ، والبركة ، والجوسق ، والمختار ، والغريب ، والبديع ، والصّبيح ، والمليح ، والقص ، والبرج ، والمتوكّليّة ، والقلّاية ، ومن أحسنها الذي (كان فيه صور عظيمة من الذهب والفضة ، وبركة عظيمة غشّى ظاهرها وباطنها بصفائح الفضة ، وجعل عليها شجرة من الذهب فيها طيور تصوت وتصفّر سماها: طوبى ، بلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار)[4].

ألقابه

توفي الواثق بدون عهد لذا فعندما وقع الاختيار على جعفر بن المعتصم لم يكن له لقب ، قال الطبري: بعد بيعته(اجتمعوا بعد ذلك على اختيار لقب له ، فقال ابن

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٩٧/١٨.
(٢) مروج الذهب، ٣٨٧/٤ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠١/١٨.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٨٢/١١.
(٤) النويري، نهاية الأرب، ٤٠٦/١.

الزيات: نسميه المنتصر بالله ، وخاض الناس فيها حتى لم يشكوا فيها ، فلما كان غداة يوم بَكر أحمد بن أبي دؤاد إلى المتوكل ، فقال: قد رويت في لقب أرجو أن يكون موافقاً حسنا إن شاء الله ، وهو المتوكل على الله ، فأمر بإمضائه ، وأحضر محمد بن عبدالملك ، فأمر بالكتاب بذلك إلى الناس ، فنفذت إليهم الكتب ، نسخة ذلك: بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر- أبقاك الله- أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، أن يكون الرسم الذي يجري به ذكره على أعواد منابره ، وفي كتبه إلى قضاته وكتابه وعماله وأصحاب دواوينه وغيرهم من سائر من تجرى المكاتبة بينه وبينه: من عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ، فرأيك في العمل بذلك وإعلامي بوصول كتابي إليك موفقاً إن شاء الله)[1].

وروي أنه قبل أن يستخلف أنه رأى في المنام أن سكراً سليمانياً يسقط عليه من السماء ، مكتوباً عليه جعفر المتوكل على الله ، فعبرت أنها الخلافة علينا ، وبلغ الواثق ذلك فحبسه ، وضيق على جعفر بسبب ذلك[2].

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه: (على إلهي اتكالي)[3].

وفاته

توفي المتوكل قتيلاً بمؤامرة عليه دبرها الأتراك بالاتفاق مع ابنه المنتصر بالله ، ذلك أنه في سنة٢٣٥هـ/٨٤٩ م عقد المتوكل البيعة لأولاده الثلاثة: لمحمد وسماه المنتصر ، والزبير وقيل محمد ولقبه المعتز ، وإبراهيم ولقبه المؤيد ، وقسم البلاد بينهم وجعل العهد لابنه المنتصر ثم لأخويه من بعده[4] ، ولكن عمل بعد ذلك حاول على التخلي عن المنتصر لابنه المعتز بتأثير زوجته قبيحة ، فوغر صدر ابنه عليه فاتفق مع الأتراك في

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٥٥/٩ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ١٧٩/١١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٥٥/٩ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٧٩/١١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١١٠/٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٧٦/٢٢.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٨/٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٩٧/٢٢.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ٣٩٣/١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٧٥/٩ -١٧٧ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١٧.

التخلص من أبيه[1] ، قال الطبري: لما كان الخامس من شوال سنة ٢٤٧هـ/٨٦١ م عزم الخليفة المتوكل على يفتك بابنه المنتصر ومن معه من وجوه الأتراك ، فكثر عبثه بالمنتصر ، مرة يشتمه ، ومرة يسقيه فوق طاقته ، ومرة يأمر بصفعه ، ومرة يتهدده بالقتل ، وقال لوزيره الفتح: (برئت من الله ومن قرابتي من رسول الله(ﷺ) إن لم تلطمه- يعني المنتصر- فقام الفتح ولطمه مرتين ، يمر يده على قفاه ، ثم قال المتوكل لمن حضر: اشهدوا جميعاً أني قد خلعت المستعجل- المنتصر- ثم التفت إليه ، فقال: سميتك المنتصر ، فسماك الناس لحمقك المنتظر ، ثم صرت الآن المستعجل ، فقال المنتصر: ياأمير المؤمنين ، لو أمرت بضرب عنقي كان أسهل علي مما تفعله بي)[2].

ويروي المسعودي قصة مقتله بقوله: (حدث البحتري[3] قال: اجتمعنا ذات ليلة مع الندماء في مجلس المتوكل فتذاكرنا أمر السيوف ، فقال بعض من حضر: بلغني ياأمير المؤمنين أنه وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير ولم يُرَ مثله ، فأمر المتوكل بكتاب إلى عامل البصرة يطلبه بشرائه بما بلغ ، فنفذت الكتب على البريد وورد جواب عامل البصرة بأن السيف اشتراه رجل من أهل اليمن ، فأمر المتوكل بالبعث إلى اليمن بطلب السيف وابتياعه ، فنفذت الكتب بذلك ، قال البحتريُّ: فبينا نحن عند المتوكل إذ دخل عليه عبيد اللّه بن يحيى والسيف معه ، وعَرَّفه أنه ابتيع من صاحبه باليمن بعشرة آلاف درهم ، فسر بوجوده ، وحمد اللّه على ما سهل من أمره ، وانتضاه فاستحسنه ، وتكلم كل واحد منا بما يحب ، وجعله تحت ثني فراشه ، فلما كان من الغداة قال للفتحِ: اطلب لي غلاماً تثق بنجدته

---

(١) ينظر التفاصيل: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٢/٩ -٢٢٣ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٣٠٨/٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٥٦/١١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٧٢/٦ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٥٠/١ ؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٣٧ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٩٤/٢٢ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤١٢.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٥/٩ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٣٠٨/٤.

(٣) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي أحد شعراء العصر العباسي اختص بالمتوكل وكان من المقربين كنه وحضر مقتله، وكانت وفاته سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٦٣٠/١٥.

وشجاعته أدفع له هذا السيف ليكون واقفاً به على رأسي لا يفارقني في كل يوم ما دمت جالساً ، قال: فلم يستتم الكلام حتى أقبل باغر التركي فقال الفتح: يا أمير المؤمنين ، هذا باغر التركي قد وصف لي بالشجاعة والبسالة ، وهو يصلح لما أراد أمير المؤمنين ، فدعا به المتوكل فدفع إليه السيف ، وأمره بما أراد ، وتقدم أن يزاد في مرتبته ، وأن يضعف له الرزق ، قال البحتريُ: فو اللّه ما انتضى ذلك السيف ولا خرج من غمده من الوقت الذي دفع إليه إلاَّ في الليلة التي ضربه فيها باغر بهذا السيف ، قال البحتريُ: لقد رأيت من المتوكل في الليلة التي قتل فيها عجباً ، وذلك أننا تذاكرنا أمر الكِبْرِ ، وما كانت تستعمله الملوك من الجبرية ، فجعلنا خوض في ذلك وهو يتبرأ منه ، ثم حَوَّلَ وجهه إلى القبلة فسجد وعفر وجهه بالتراب خضوعاً للّه عز وجل ، ثم أخذ من ذلك التراب فنثره في لحيته ورأسه ، وقال: إنما أنا عبد اللّه ، وإن من صار إلى التراب لحقيق أن يتواضع ولا يتكبر ، قال البحتري: فتطيرت له من ذلك ، وأنكرت ما فعله من نَثْرِهِ الترابَ على رأسه ولحيته ، ثم قعد للشراب ، فلما عمل فيه غنى من حضره من المغنين صوتاً استحسنه ، ثم التفت إلى الفتح[1] فقال: يا فتح ، ما بقي أحد سمع هذا الصوت من مخارق[2] غيري وغيرك ، ثم أقبل على البكاء ، قال البحتري: فتطيرت من بكائه وقلت هذه ثانية ، فإنا في ذلك إذ أقبل خادم من خدم قبيحة ومعه منديل وفيه خلعة وجهت بها إليه قبيحة ، فقال له الرسول: ياأمير المؤمنين تقول لك قبيحة: إني استعملت هذه الخلعة لأمير المؤمنين واستحسنتها ووجهت بها لتلبسها ، قال: فإذا فيها دراعة حمراء لم أر مثلها قط ، ومُطْرَفُ خز أحمر كأنه ديبقي من رقَّتِه ، قال: فلبس الخلعة والتَحَفَ بالمطرف ، قال البحتري: فتصيدت لأبدره بنادرة تكون سبباً لأخذ المطرف فإني على ذلك إذ تحرك المتوكل فيه وقد كان التف عليه المطرف فجذبه جذبة فخرقه من طرفه إلى طرفه ،

---

(١) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج الفارسي كاتب وأديب اختص بالخليفة المتوكل واستوزره الخليفة وبقي معه حتى قتلا سنة ٢٤٧ هـ/٨٦١ م، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٧٢/٩.

(٢) مخارق بن يحيى بن ناموس الجزار مولى الخليفة الرشيد اشتهر بحسن صوته في الغناء بالرشيد والخلفاء من بعده وتوفي سنة ٢٣١ هـ/٨٤٥ م، ينظر أخباره: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ٣٤٦/١٨ -٣٨٤.

قال: فأخذه ولفه ودفعه إلى خادم قبيحة الذي جاءه بالخلعة ، وقال: قل لها احتفظي بهذا المطرف عندك ليكون كفناً لي عند وفاتي ، فقلت في نفسي: إنا للّه وأنا إليه راجعون ، انقضت واللّه المدة ، وسكر المتوكل سكراً شديداً ، قال: وكان من عادته أنه إذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين عند رأسه ، قال: فبينما نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل إذ أقبل باغر[1] ومعه عشرة نفر من الأتراك وهم متلثمون والسيوف في أيديهم تبرق في ضوء تلك الشمع ، فهجموا علينا ، وأقبلوا نحو المتوكل حتى صعد باغر ومعه آخر من الأتراك على السرير ، فصاح بهم الفتح: ويلكم!! مولاكم؟ فلما رآهم الغلمان ومَنْ كان حاضراً من الجلساء والندماء تطايروا على وجوههم ، فلم يبق أحد في المجلس غير الفتح وهو يحاربهم ويمانعهم ، قال البحتري: فسمعت صيحة المتوكل وقد ضربه باغر بالسيف الذي كان المتوكل دفعه إليه على جانبه الأيمن ، فَقَمَّه إلى خاصرته ، ثم ثنّاه على جانبه الأيسر ففعل مثل ذلك ، وأقبل الفتح يمانعهم عنه فَبَعَجَه واحد منهم بالسيف الذي كَان معه في بطنه فأخرجه من متنه ، وهو صابر لا يتنحَّى ولا يزول ، قال البحتري: فما رأيت أحداً كَان أقْوَى نفساً ولا أكرم منه ، ثم طرح بنفسه على المتوكل ، فماتا جميعاً ، فلفا في البساط الذي قتلا فيه ، وطرحا ناحية ، فلم يزالا على حالتهما في ليلتهما وعامة نهارهما حتى استقرت الخلافة للمنتصر ، فأمر بهما فدفنا جميعاً ، وقيل: إن قبيحة كفنته بذلك المطرف المخرق بعينه)[2] ، وأشاع المنتصر أن الفتح قتل أبي فقتلته[3].

وروي أيضاً عن إحدى جواري المتوكل قالت: (أصابه همٌّ ، وعرض لَهُ فكر ، فجلس وحده ثم قَالَ: جئيني ببرنية فيها غالية ، فجئته بِهَا ، فجعل يبندقها ويرمي بِهَا ، ثم جلس

---

(1) باغر أحد الموالي الأتراك الذين اشتركوا في قتل الخليفة المتوكل على الله، وكان يوصف بالشجاعة والجرأة، وقتل في خلافة المستعين سنة ٢٥١ هـ /٨٦٥ م، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٧٨/٩ -٢٨١.

(2) مروج الذهب، ٣٨٥/٤ -٣٨٦ ؛ ينظر أيضاً: ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١٩ - ١٢٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٧٣/٦ -١٧٤ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٩٤/٢٢ -٢٩٥ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠٠/١٨ -٢٠١.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٣٤/٩ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٩٦/٢٢.

يقرأ القرآن عَلَى الشراب ، فمَا شعر إلاّ وقد دخل عَلَيْه جمَاعة من القواد يتقدمهم غلام ابنه المنتصر الذي يسمى باغر ، فدنا منه ، فضربه ، وتتابع القواد بالضرب ، وألقى الفتح بْن خاقان نفسه عَلَيْه فقتل معه ، وَكَانَ باغر قد قَالَ للقواد: إني أتقدمكم ، فإن خفتم عَلَى أنفسكم فقعوا علي فاقتلوني وقولوا: دخل مكاناً لم يكن لَهُ دخوله)[1].

وقد علق المسعودي على قتل المتوكل بعبارة جميلة فيها الكثير لمن يريد أن يعتبر ممن عَلَقَ قلبه بالدنيا واطمئن لها ، إذ قال: (لم يكن المتوكل يوماً أشد سروراً منه في اليوم ، الذي قتل فيه؟ فلقد أصبح في هذا اليوم نشيطاً فرحاً مسروراً ، وقال: كأني أجد حركة الدم ، فاحتجم في ذلك اليوم ، وأحضر الندماء والملهين ، فاشتد سروره وكثر فرحه ، فانقلب ذلك الفرح ترحاً والسرور حزناً ، فمن ذا الذي يغتر بالدنيا ويسكن إليها ، ويأمَن الغدر والنكبات فيها إلا جاهل مغرور؟ فهي دار لا يدوم نعيمها ، ولا يتم فيها سرور ، ولا يؤمن فيها محذور ، قد قرنت منها السراء بالضراء ، والشحة بالرخاء ، والنعيم بالبلوى؟ ثم يتبعها الزوال ، فمع نعيمها البؤس ، ومع سرورها الحزن ، ومع محبوبها المكروه ، ومع صحتها السقم ، ومع حياتها الموت ، ومع فراحاتها الترحات ، ومع لذاتها الآفات ، عزيزها ذليل ، وقويُّها مَهين ، وغنيها محروب ، وعظيمهما مسلوب ، ولا يبقى إلا الحيّ الذي لا يموت ولا يزول ملكه وهو العزيز الحكيم)[2] ، فيا لها من عظة ، فأين الجبارين والمتكبرين والفرحين بطرا ، فهل من مُدّكِر.

وفي غدر المنتصر بأبيه يقول الشاعر البحتري:

أكَان ولي العهد أضمر غَدْرَةً ... فمن عَجَبٍ أو وُلِّيَ العهد غادرُهْ

فلا مُلِّيَ الباقي تراث الذي مضى ... ولا حملتَ ذاك الدعاء منابرُه[3]

ورثاه علي بن الجهم[4] بقوله:

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٥٧/١١.

(٢) مروج الذهب، ٣٨٧/٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ٣٨٧/٤.

(٤) أبو الحسن علي بن الجهم السامي، مني سامة بن لؤي بن غالب، شاعر له ديوان شعر، اختص بالخليفة المتوكل، ثم غضب عليه ففارقه، وتوفي سنة ٢٤٩ هـ/، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٩٠/١٣.

عَبيدُ أمير المؤمنين قتلنه — وأعظم آفات الملوك عبيدها

بني هاشم، صبراً فكل مصيبة — سَيَبْلى على وجه الزمان جديدها[1]

كما قال فيه الحسين بن الضحاك:

إن الليالِيَ لم تحسن إلى أحد — إلا أساءت إليه بعد إحسان

أما رأيت خُطُوبَ الدهر ما فعلت — بالهاشميِّ وبالفتح بن خاقان[2]

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٣٨٩/٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٧٥/٦.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٣٨٨/٤.

١٢ -المنتصر بالله

(٢٢٢ -٢٤٨ هـ/٨٣٦ -٨٦٢ م)

هو أبو جعفر محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الحادي عشر من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد رومية يُقال لها حبشية ، ولد بسامراء سنة٢٢٢هـ/٨٣٦ م بويع بالخلافة ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة٢٤٧هـ/٨٦١م وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وقيل ابن أربع وعشرين ، بالقصر الجعفري الذي بناه والده المتوكل وقتل فيه ، وتوفي اليوم الخامس وقيل الرابع من ربيع الآخر سنة٢٤٨هـ/٨٦٣ م عن ست وعشرين سنة ، وقيل ابن خمس وعشرين سنة ، وكانت خلافته ستة أشهر[١].

زوجاته وأولاده

أجمل ابن حزم أولاد الخليفة بالقول: (ولد المنتصر: عبد الوهّاب ، ولّاه العهد وله نحو عشرين سنة ، ولم يتم أمره ، وهارون ، وهارون آخر ، وعيسى ، والفضل ، والعباس ، لم يعقبوا ، وعليّ ، وعبد الله ، وعبد الصمد ، ومحمّد أبو عبد الله ، سكن مصر ، وأحمد ، وجعفر)[٢].

صفته وبعض أقواله

وصف المسعودي الخليفة المنتصر بالقول إنه كان(مربوعاً ، حسن الوجه ، أسمر مسمناً ، ذا شهامة ومعرفة وإمساك للمال ، وحفظ له حتى أنكر الناس عليه البخل ،

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٣٤/٩، ٢٥٤ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٩/٥ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣٩٢/٤ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٨٤/٢ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٢١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٥٣/١١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٩٨/٢٢

(٢) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٩/٥.

وشدة المنع)[1] ، وقال الخطيب البغدادي: إنه(كان قصيراً أسمر ضخم الهامة عظيم البطن جسيما على عينه اليمنى أثر وقع أصابه وهو صغير)[2] ، ووصفه ابن الجوزي بالقول: (كَانَ أعين ، قصيراً ، أقنى ، أسمر ، ضخم الهامة ، عظيم البطن ، جسيماً ، مليح الوجه ، مهيباً ، عَلَى عينه اليمنى أثر وقع أصابه وَهُوَ صغير)[3] ، وهذه الأقوال كلها متقاربة.

كما ذكر المسعودي حاله بالقول: (كان المنتصر واسع الاحتمال ، راسخ العقل ، كثير المعروف ، راغباً في الخير ، سخيّاً ، أديباً ، عفيفاً ، وكان يأخذ نفسه بمكارم الأخلاق ، وكثرة الإنصاف ، وحسن المعاشرة ، بما لم يسبقه خليفة إلى مثله)[4].

كما أنه اختلف عن أبيه في التقرب والإحسان إلى آل أبي طالب ، قال المسعودي: (كان آل أبي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة ، وخوف على دمائهم ، قد مُنعوا زيارة قبر الحسين والغريّ من أرض الكوفة ، وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد ، وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين... إلى أن استخلف المنتصر ، فأمَّنَ الناس ، وتقدم بالكف عن آل أبي طالب ، وترك البحث عن أخبارهم ، وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضي الله تعالى عنه ، ولا قبر غيره من آل أبي طالب ، وأمر برد فدَكَ إلى ولَد الحسن والحسين ، وأطْلَقَ أوقاف آل أبي طالب ، وترك التعرض لشيعتهم ودفع الأذى عنهم)[5].

ومن أقواله: (واللَّه ما عزّ ذو باطل ولو طلع القمر من جبينه ، ولا ذلّ ذو حقّ ولو أصفق العالم عليه)[6].

ومن أقواله: (لذّة العفو أطيب من لذّة التّشفّي وذلك لأن لذة العفو يلحقها حمد

(١) التنبيه والإشراف، ص ٣١٤.
(٢) تاريخ بغداد، ٤٨٤/٢.
(٣) المنتظم، ٣٥٣/١١ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤١٧/١٨.
(٤) مروج الذهب، ٣٩٦/٤.
(٥) مروج الذهب، ٣٩٦/٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٨٨/٦.
(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٨٤/٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٨٨/٦.

العاقبة ، ولذة التشفي يلحقها ذمّ النّدم)[1].

وذكر أنه حسن العلم بالغناء ، وكان إذا قال الشعر صنع فيه وأمر المغنّين بإظهاره ، فلما ولي الخلافة قطع ذلك وأمر بستر ما تقدّم منه ، فلذلك لم تظهر أغانيه[2].

وقيل إن(أعرق الخلفاء المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي ، ومن أعجب الأشياء أن شيرويه [3] قتل أباه واستولى على ملكه فلم يعش بعده إلاّ ستة أشهر ، والمنتصر قتل أباه المتوكل واستولى على الخلافة فعاش بعده ستة أشهر)[4].

ومن شعره قوله:

الذل يأباه الفتى الحر	**ما للكريم معه صبر**
لم يعرف الناس الذي مسني	**فليس لي عندهم عذر**[5]

ومن شعره أيضاً:

متى ترفع الأيام من قد وضعنه	**وينقاد لي دهر عليّ جموح**
أعلّل نفسي بالرجاء وإنني	**لأغدو على ما ساءني وأروح**[6]

ألقابه

بايع له أبوه المتوكل بولاية العهد سنة٢٣٥هـ/٨٤٩م ولقبه المنتصر[7] ، أما كنيته ، فقال ابن الجوزي في ذلك ثلاثة أقوال: (أبو جعفر ، وأبو عبد اللّه ، وأبو العباس)[8].

---

(١) التوحيدي، البصائر والذخائر، ١٥٣/٨ ؛ الآبي، نثر الدرر، ٩١/٣ ؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١٢١/٢.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ٢٠٤/٤.

(٣) هو شيرويه بن أبرويز، واسمه قباذ وشيرويه لقب له، أحد ملوك الساسانية وهو الذي قتل أباه وعدد من أقاربه وتربع على عرش المملكة ولم يطل به العهد وتوفي بعد ذلك بقليل، ينظر: أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٠٧ -١١٠ ؛ الفردوسي، الشاهنامة، ٢٥١/٢ -٢٥٧.

(٤) الخوارزمي، مفيد العلوم ومبيد الهموم، ص ٤٧٥.

(٥) الزمخشري، ربيع الأبرار، ٣٤٨/٢.

(٦) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١٣٤/٣.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٧٥/٩ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١٧.

(٨) المنتظم، ٣٥٣/١١ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٨٦/٦.

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه: (محمد بالله ينتصر)[1] ، وقيل كان نقش خاتمه: (يؤتى الحذر من مأمنه)وعلى خاتم آخر: (أنا من آل محمد ، الله وليّ ومحمد)[2] ، وقيل كان نقش خاتمه: (محمد رسول الله)وله خاتم آخر نقشه: (المنتصر بالله)[3].

وفاته

ذكر الطبري — وهو من المعاصرين له - روايات عدة بخصوص وفاة الخليفة المنتصر بالله ، قدمها ببعض الإرهاصات ، فقال: (ولم أزل أسمع الناس حين أفضت إليه الخلافة من لدن ولي إلى أن مات يقولون: إنما مدة حياته ستة أشهر ، مدة شيرويه بن كسرى قاتل أبيه ، مستفيضاً ذلك على ألسن العامة والخاصة ، وذكر عن يسر الخادم ، وكان- فيما ذكر- يتولى بيت المال للمنتصر في أيام إمارته ، أنه قال: كان المنتصر يوماً من الأيام في خلافته نائماً في إيوانه ، فانتبه وهو يبكى وينتحب ، قال: فهبته أن أسأله عن بكائه ، ووقفت وراء الباب ، فإذا عبد الله بن عمر البازيار[4] قد وافى فسمع نحيبه وشهيقه ، فقال لي: ما له؟ ويحك يا يسر! فأعلمته أنه كان نائماً فانتبه باكياً ، فدنا منه ، فقال له: ما لك يا أمير المؤمنين تبكي لا أبكى الله عينك؟! قال: ادن مني ياعبد الله ، فدنا منه فقال له: كنت نائماً ، فرأيت فيما يرى النائم كأن المتوكل قد جاءني ، فقال لي: ويلك يامحمد! قتلتني وظلمتني وغبنتني في خلافتي ، والله لا تمتعت بها بعدي إلا أياما يسيرة ، ثم مصيرك إلى النار ، فانتبهت ، وما أملك عيني ولا جزعي فقال له عبد الله: هذه رؤيا ، وهي تصدق وتكذب ، بل يعمرك ويسرك الله ، فادع الآن بالنبيذ ، وخذ في اللهو ، ولا تعبأ بالرؤيا قال: ففعل ذلك ، وما زال منكسراً إلى أن توفي)[5].

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣١٤.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٩/٥.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٨٤/٢.

(٤) عبد الله بن عمر البازيار، أحد قواد المتوكل ذهب معه إلى دمشق سنة ٢٤٣ هـ/٨٥٧ م، ينظر: ابن ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٣٤/٣١.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، ٢٥٢/٩ ؛ ينظر أيضاً: ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٢١ ؛=

وقد اختلف في وفاته: قال مسكويه: (فقال قوم: أصابته الذبحة ، وقال آخرون: أصابه ورم في معدته ، وقال آخرون: فصد بمبضع مسموم)[1] ، وقال ابن الجوزي: اختلفوا في سبب موته على خمسة أقوال:

الأول: أنه أخذته الذبحة في حلقه يوم الخميس ومات يوم السبت لخمس خلون من ربيع الآخر

الثاني: أنه أصابه ورم في معدته فصعد إلى فؤاده ، فمات ، وكان مرضه ذلك ثلاثة أيام.

الثالث: أنه وجد حرارة فأمر بعض الأطباء أن يفصده ، ففصده بمبضع مسموم فكانت فيه منيته.

الرابع: أنه احتجم فسمه الحجام في محاجمه.

الخامس: أنه وجد في رأسه علة فقطر الطبيب في أذنه دهنا فورم رأسه ، فعولج فمات[2].

وأشار الطبري إلى أن المنتصر بعد خلافته كان يكثر قتل أبيه المتوكل(ويقول في الأتراك: هؤلاء قتله الخلفاء ، ويذكر من ذلك ما تخوفوه ، فجعلوا لخادم له ثلاثين ألف دينار على أن يحتال في سمه ، وجعلوا لعلي بن طيفور[3] جملة ، وكان المنتصر يكثر أكل الكمثرى إذا قدمت إليه الفاكهة ، فعمد ابن طيفور إلى كمثراة كبيرة نضيجة ، فأدخل في رأسها خلالة ، ثم سقاها سماً ، فجعلها الخادم في أعلى الكمثرى الذي قدمه إليه ، فلما نظر إليها المنتصر أمره أن يقشرها ويطعمه إياها ، فقشرها وقطعها ، ثم أعطاه قطعه قطعه حتى أتى عليها ، فلما أكلها وجد فترة ، فقال لابن طيفور: أجد حرارة ، فقال: يا أمير المؤمنين ، احتجم تبرأ من عله الدم ، وقدّر أنه إذ خرج الدم قوى عليه السم فحجم فحُم ، وغلظت علته عليه فتخوف هو والأتراك أن تطول علته ،

=ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٨٧/٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٠٠/٢٢.

(١) تجارب الأمم، ٣١٧/٤.

(٢) المنتظم، ١٥/١٢ -١٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٨٦ -١٨٧ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٠٠/٢٢ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٤٥/٢٤.

(٣) أبو الحسن علي بن طيفور بن غالب النسوي سكن بغداد وحدث بها وكان ثقة، توفي سنة ٣٠٠ هـ /٩١٢ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٠٢/١٣.

فقال له: يا أمير المؤمنين ، إن الحجامة لم يكن فيها ما قدرنا في عافيتك ، وتحتاج إلى الفصد ، فانه انجح لما تريد ، فقال: افعل ، ففصده بمبضع مسموم ، ودهش ، فالقاه في مباضعه- وكان أحدّها وأجودها ثم أن علي بن طيفور ، وجد حرارة ، فدعا تلميذاً له ليفصده ، فنظر في المباضع فلم يجد أحدّ منه ، ولا أخير ففصده ، فكانت منيته فيه)[1].

وروي في سبب وفاته أن ريحاً ضربته ، ذلك أنه دخل (الحمام ونام في الباذهنج[2] فضربه الهواء ، وركبته حمى هائلة ، فدخل عليه أحمد بن الخصيب[3] فقال له: يا سيدي ، أنت متفلسف وحكيم الزمان تنزل من الركُوب تبعاً فتدخل الحمام ثم تخرج عَرِقاً فتنام في الباذهنج؟ فقال له المنتصر أتخاف أن أموت؟! رأيت في المنام البارحة آتياً أتاني فقال لي: تعيش خمساً وعشرين سنة ، فعلمت أن ذلك بشارة في المستقبل من عمري ، وأني أبقى في الخلافة هذه المدة ، قال: فمات في اليوم الثالث)[4].

وقيل إنه لما اشتدت عليه علته خرجت العامة فسألته عن حاله فقال: (ذهبت والله مني الدنيا والآخرة)[5].

وذكر أنه لما حضرته الوفاة قال:

فما فرحت نفسي بدنيا أخذتها ولكن إلى الرب الكريم أصير[6]

وما كان ما قدمته رأي فلتة ولكن بفتياها أشار مشير[7]

وكانت وفاته بسامراء وصلى عليه(المستعين)أحمد بن محمد المعتصم ، ودفن هناك ، وقيل هو أول خليفة من بني العباس عرف قبره[8].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ٢٥٢/٩ -٢٥٣ ؛ ينظر أيضاً: المسعودي، مروج الذهب، ٣٩٥/٤ -٣٩٦ ؛

(٢) الباذهنج من الفارسية باذ بمعنى ساحب وآهنج بمعنى هواء، أي ساحب الهواء و مُدْخِلَه، فهو نافذة أو فتحة للتهوية، ينظر: دهمان، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ٢٩.

(٣) أبو العباس أحمد بن أبي نصر الخصيب الجرجاني وزير الخليفة المنتصر كما وزر للمستعين إلى جزيرة كريت وتوفي بها سنة ٢٤٨ هـ/٨٦٢ م، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٨٧/١ -١٨٨.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ٣٩٥/٤.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ٣١٨/٤.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٥٤/٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٨٧/٦.

(٧) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٤٥/٢٤.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٥٤/٩ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣٩٥/٤ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، الأمم، ٣١٨/٤ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٨٤/٢ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء،

١٣ـ المستعين بالله

(٢٢١ -٢٥٢ هـ/٨٣٦ -٨٦٦ م)

أبو العباس أحمد بن محمد الأكبر محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الثاني عشر من الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ٢٢١ هـ/٨٣٦ م ، وأمّه أمّ ولد صقلبية اسمها مخارق ، بويع بالخلافة بعد وفاة المنتصر يوم الأحد لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ٢٤٨ هـ/٨٦٢ م ، ذلك أن الأتراك كرهوا أن يتولى أحدٌ من ولد المتوكل لخوفهم أن يوقع بهم وقالوا لا نخرجها من ولد مولانا المعتصم فبايعوا المستعين ، وخلع نفسه وسلمها للمعتز في الرابع من محرم سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م ، وقيل خُلع في آخر سنة٢٥١هـ/٨٦٥ م ، ثم قتل يوم الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦ م ، وهو ابن خمس وثلاثين سنة [١] ، والراجح أن عمره كان ٣١ سنة بعد احتساب سنة ولادته ووفاته [٢].

زوجاته وأولاده

تزوج الخليفة المستعين أمّ محمد بنت الواثق وبعد مقتله صيرها المعتز في قصر الرصافة بسامراء وتوفيت سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م[٣] ، ولم نعثر في المصادر التي بين أيدينا على أسماء باقي زوجاته.

ص= =١٢٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٨٧/٦.

(١) ابن قتيبة، المعارف، ٣٩٣/١ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٠/٥ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٤٠٣/٤ ؛ التنبيه والإشراف، ص ٣١٥ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٥٥/٦ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ١٢٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٠٢/٢٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥٥/١٩.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٠/٥.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٩٦/٩.

قيل إن له ستة أولاد[١] ، وذكر ابن حزم ثلاثة منهم بقوله: فولد المستعين: العباس ، وهارون ، ومحمد[٢].

صفته وبعض أقواله

وصف المسعودي الخليفة المستعين بالقول: (كان مسمناً ، حسن الوجه ، أسود اللحية ، لين الجانب منقاداً لاتباع مهملات الأمور ، شديد الخوف على نفسه ، فأداء خوفه ، وقلة أمنه إلى الهرب عن دار ملكه ، وقرار عزه ، وأدبرت الأمور عنه)[٣].

قال الخطيب البغدادي(كَانَ المستعين بالله أبيض ، حسن الوجه ، ظاهر الدم ، بوجهه أثر جدري ، حسن اللحية)[٤] ، وأضاف الذهبي بالقول: (كَانَ مربوع القامة ، أحمر الوجه ، خفيف العارضين ، بمقدم رأسه طُول ، وكان حَسَن الوجه والجسم ، بوجهه أثر جُدَرِيّ ، وكان يلْثَغ بالّسين نحو الثّاء)[٥] ، وقيل كان كثير الجماع مولعاً بحب النساء[٦].

ووصفه ابن العمراني بالقول: (كان المستعين أسمح خلق الله تعالى بالمال يعطى المستحق وغير المستحق ، لا يمكنه أن يرى لنفسه درهماً ولا ديناراً ، وفي أقرب مدة فرّق جميع ما كان أدخره الخلفاء قبله من العين والورق والجواهر والفرش والأسلحة والطّيب وآلات الحرب)[٧].

وحمل عليه ابن العمراني ونسبه إلى الجهل فقال: (كان-رحمه الله- يدّعى معرفة الأدب ولم يكن يحسن شيئاً منه ويتشاعر ولم يكن شاعراً ، وكان مغرى بالتصحيفات وكان إذا جلس في مجلس الأنس يقول لندمائه: أيّ شيء يكون تصحيف مجدّة؟ فيقولون: لا نعلم فيقول هو: مخدّة فيقولون: أحسنت يا مولانا عين الله عليك ، وكان يقول: أيّ شيء يكون تصحيف ناب ويومئ بيده إلى الباب ،

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ٣١٤/٢٢.

(٢) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٥.

(٣) التنبيه والإشراف، ص ٣١٥.

(٤) تاريخ بغداد، ٢٥٥/٦.

(٥) تاريخ الإسلام، ٥٦/١٩ ؛ ينظر أيضاً: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٠/٥.

(٦) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١٢٥/١.

(٧) الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٢٤.

وأشياء من هذا وشبيهه)[1].

وكذلك ذهب إلى ذلك ابن الطقطقي بقوله: (اعلم أنّ المستعين كان مستضعفاً في رأيه وعقله ، وكانت أيّامه كثيرة الفتن ودولته شديدة الاضطراب ، ولم يكن فيه من الخصال المحمودة ، إلّا أنّه كان كريماً وهوباً)[2].

وقد ابرز ابن فضل الله العمري جانبين في شخصية الخليفة المستعين السلبية والايجابية ، فقال أولاً: (كان ألثغ اللسان لا ينعش الألفاظ من عثراتها ، ولا ينعم النظر في تجنب معراتها ، وكان يجعل الشين ثاء ، وزبد كلامه الغث كله زبدا غثاء ، وكان من سفلة الخلفاء ، لا يصعد به جده هاشم ، ولا جده الذي هو لمعاطس الأعداء مرغم ولوجوههم هاشم[3] ، لا يطاوعه على الحزم الرأي الرائن والعزم الخائب الحائن ، وكان أردى في هذا من الأمين حالا ، وأكدى محالا ، واستوزر وزيراً ناسبه في هذه الأحوال ، وحاسبه على فعله حالاً فحال ، حتى انحل سياج دولته ، وأنفل جيش صولته ، وآل أمر المستعين إلى ما آل ، ومال إلى سوء رأيه في سوء مآل ، وكان مع هذا غير مقبول الصورة ، ولا مأمول السورة)[4] ، ثم قال: (إلاّ أنه لم يخل من مجالس أنس ، وندمان ونفس تبادر ببذل المال صرف الزمان ، فكان يهب البدر ، ويعد بأمثالها إذا قدر ، وكان لا يمل ود الصديق ، ولا يميل إلى من وشي به إصغاء التصديق ، فكان فيه مما يحمد هاتان الخلتان ، والحسنتان الحسنتان ، وكان ينظم الشعر ، إلاّ أنه من سقط المتاع ، ويجيء به بلا كلفة ، إلا أنه مما تجود به الطبيعة)[5].

أما السيوطي فقد قال عنه: (كان خيراً ، فاضلاً ، بليغاً ، أديباً ، وهو أول من أحدث لبس الأكمام الواسعة ، فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار ، وصغّر القلانس وكانت قبله طوالاً)[6].

---

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٢٧.
(٢) الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٤١.
(٣) المقصود هنا جده المعتصم الذي الأعداء.
(٤) مسالك الأبصار، ٢٤/٢٤٦.
(٥) مسالك الأبصار، ٢٤/٢٤٦.
(٦) تاريخ الخلفاء، ص ٤٢٤.

وقيل إن له شعر هزيل ، منه ما أمر به المغنين أن يغنوا فيه:

يا قوم أنا المستعين عشقت ظبيا سمين

كأنه غصن تين بالمصحف أي عالمين

ما في السما مسلمين

وكان يقول للمطربين غنّوا بشعري فيغنون به والجلساء يتضاحكون ، فعمل يوماً هذين البيتين وأمر المغنين أن يغنوا بهما ، وهما:

شربت كأسا كشفت عن ناظري الخمرا

فنشطتني ولقد كنت حزينا حائرا

ثم قال باللّه عليكم أجيزوها ببيت آخر فقال واحد منهم:

هذا خرا ، هذا خرا ، هذا خرا ، هذا خرا[1]

وقيل إن وصيف[2] وبغا[3] التركيين غلب على الخليفة المستعين حتى قيل ذلك:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قالَا له كما يقول الببّغا[4]

ومن شعره حين خُلع:

كل مُلك مصيره للذهاب غير ملك المهيمن الوهاب

كل ما قد ترى يزول ويفنى وتجازى العباد يوم الحساب[5]

---

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٢٧.

(٢) وصيف التركي مولى الخليفة المعتصم وحاجبه كما حجب للمتوكل وهو أحد قواد الجيش واشترك في التآمر على الخلفاء وقتلهم، وقتل سنة ٢٥٣ هـ/٨٦٧ م، ينظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٠ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٧٤/٩ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٧٠/١٢ -٧٢.

(٣) بغا الصغير التركي المعروف بالشرابي أحد موالي الخليفة المتوكل وهو أحد المشتركين في قتله وكان أهوج مقدام، وقتل سنة ٢٥٤ هـ /٨٦٨ م ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٦، ٢٥٤، ٣٧٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٩٣/١٩ -٩٤.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ٤٠٤/٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٩٤/١٩.

(٥) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١٩٣/٥.

وكان يقول بعد أن خُلع: (اللّهم إن كنت خلعتني من الملك فلا تخلعني من جنتك ورحمتك)[1].

ألقابه

بعد وفاة الخليفة المنتصر دُعي أحمد بن محمد بن المعتصم للخلافة فقال: أستعين بالله وأفعل ، فلقب المستعين [2] ، ويكنى أبا العباس وقيل أبا عبد الله [3].

نقش خاتمه

قيل كان نقش خاتمه في الفص المعروف بالجبل (أحمد بن محمد)[4] ، وقيل كان نقش خاتمه: (في الاعتبار غنى عن الأخبار)[5].

وفاته

بعد مقتل باغر التركي في سامراء من قبل وصيف وبغا والمستعين وقام الشغب واضطربت الحلة في سامراء انحدر المستعين وأنصاره إلى بغداد فانتهز الأتراك الباقون في سامراء الفرصة فبايعوا المعتز بن المتوكل ، وأصبح هناك خلفيتين احدهما في بغداد والآخر في سامراء ، فقامت فتنة كبيرة حاصر أتباع المعتز فيها بغداد واضطروا الخليفة المستعين على التنازل وخلع نفسه من الخلافة وذلك في ربيع الآخر من سنة٢٥٢هـ /٨٦٦ م ، وطلب أن يذهب إلى مكة بعد أن أخذ الأمان لنفسه ، إلا أنهم رفضوا ذلك ، فاختار الذهاب إلى البصرة ، فقالوا له: البصرة وبيئة فكيف اخترت أن تنزلها ، فقال: هي أوبأ أو ترك الخلافة ، ثم أرغم على التوجه إلى واسط ووضع تحت نظر عدد من الأتراك من أنصار المعتز[6].

---

(١) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٨٨ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٥٥/٦ ؛

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٥٥/٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣١٤/٢٢.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٥٥/٦ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٦/١٢.

(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣١٥.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٠/٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣١٤/٢٢ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٤١/٦.

(٦) ينظر التفاصيل عن الفتنة بين المستعين والمعتز: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨١/٩ -٣٤٩ ؛ ؛ المسعودي، تجارب الأمم، ٤١٦/٤ -٤١٧ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٣٣٧/٤ -٣٦٥ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٢٦ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٤٩/١٢ -٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في=

ولما عزم المعتز على قتل المستعين ، فأرسل إليه أحمد بن طولون[1] في قوة من أتباعه في رمضان من نفس السنة وأشخصه إلى سامراء ، واختلف في مقتله ، فقال الطبري: إن أحمد بن طولون أخرج المستعين لست بقين من شهر رمضان ، فوافى به القاطول[2] لثلاث خلون من شوال ، وقيل إن أحمد بن طولون كان موكلا بالمستعين ، فوجه سعيد بن صالح[3] إلى المستعين في حمله ، فصار إليه سعيد فحمله ، وقيل إن سعيداً إنما تسلم المستعين من ابن طولون في القاطول بعد ما صار به ابن طولون إليها ، ثم اختلف في أمرهما ، فقال بعضهم: قتله سعيد بالقاطول ، فلما كان غد اليوم الذي قتله فيه أحضر جواريه وقال: انظرنّ إلى مولاكنّ قد مات ، وقد قال بعضهم: بل أدخله سعيد وابن طولون سامرا ، ثم صار به سعيد إلى منزل له فعذبه حتى مات ، وقيل: بل ركب معه في زورق ومعه عدة حتى حاذى به فم دجيل ، وشدّ في رجله حجراً ، وألقاه في الماء)[4] ، وقيل إن قتله كان في موضع يقال له القادسية[5] على طريق سامراء[6] ، وقيل إن سعيد الحاجب بعد أن قتله احتز رأسه ترك جثته ملقاة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة من العامة[7].

وفي رواية أخرى ذكرها الطبري عن متطبب للمستعين كان معه قال: (كنت معه حين حُمل ، وأنه أُخذ به على طريق سامرا ، فلما انتهى إلى نهر نظر إلى موكب

=التاريخ، ٢٠٩/٦ -٢٢٨، ٢٣٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٠٧/٢٢ -٣١٣.

(١) أحمد بن طولون أحد الموالي الأتراك ولد ببغداد سنة ٢٢٠ هـ/ ٨٣٥ م ونشأ على الخير والصلاح وحفظ القرآن وسمع الحديث، ولي مصر سنة ٢٥٤ هـ/٨٦٨ م وعزز ملكه هناك وتوارثوه ولده من بعده، وكانت وفاته سنة ٢٥٨ هـ/٨٧١ م، ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٢٣١/١٢ -٢٣٤.

(٢) القاطول وهو نهر حفره الخليفة الرشيد في موضع سامراء قبل أن تعمر، وهو على الجانب الشرقي منها، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٢٩٧/٤.

(٣) وهو سعيد بن صالح التركي حاجب الخليفة المعتز، أرسله الأخير فقتل الخليفة المستعين سنة ٢٥٢ هـ/٨٦٦ م كما تولى حرب الزنج أيام الخليفة المعتمد فانهزم، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٧٣/٩، ٤٧٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٣٧/٦، ٢٩٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢٦/٤.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ٣٦٣/٩ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٣٧١/٤ -٣٧٢.

(٥) القادسية قرية من نواحي دجيل قرب سامراء، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٢٩٣/٤.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ٥٧/١٢.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ٤١٧/٤.

وأعلام وجماعة ، فقال لفضلان: تقدم فانظر من هذا ، فإن كان سعيداً فقد ذهبت نفسي ، قال فضلان فتقدمت إلى أول الجيش ، فسألتهم فقالوا: سعيد الحاجب ، فرجعت إليه فأعلمته- وكان في قبة تعادله امرأة- فقال: إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَيْه راجعُونَ ! ذهبت نفسي والله! وتأخرت عنه قليلاً ، قال: فلقيه أول الجيش ، فأقاموا عليه وأنزلوه ودايته ، فضربوه ضربة بالسيف ، فصاح وصاحت دايته ، ثم قتل ، فلما قتل انصرف الجيش ، قال: فصرت إلى الموضع ، فإذا هو مقتول في سراويل بلا رأس ، وإذا المرأة مقتولة ، وبها عدة ضربات ، فطرحنا عليهما نحن تراب النهر حتى واريناهما ، ثم انصرفنا ، قال: وأتي المعتز برأسه وهو يلعب بالشطرنج ، فقيل: هذا رأس المخلوع فقال: ضعوه هنالك ، ثم فرغ من لعبه ، ودعا به فنظر إليه ، ثم أمر بدفنه)[1] ، وفي رواية المسعودي أن سعيد الحاجب أخذ(يقنعه بالسوط ، ثم اضطجعه وقعد على صدره واحتز رأسه)[2].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ٣٦٣/٩ -٣٦٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٣٧/٦ -٢٣٨ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣١٣/٢٢ -٣١٤. الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١٢٦/١.

(٢) مروج الذهب، ٤١٨/٤.

١٤ - المعتز بالله

(٢٣٢ – ٢٥٥ هـ/٨٤٦ -٨٦٨ م)

هو أبو عبد الله محمد – وقيل: الزبير – بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الثالث عشر من الخلفاء العباسيين ، ولد بسامراء في شهر بيع الآخر سنة ٢٣٢ هـ/٨٤٦ م ، أمّه أم ولد يقال لها قبيحة ، وبويع بالخلافة بعد خلع المستعين يوم الخميس لليلتين خلتا من شهر محرم ، قيل لثلاث خلون منه ، سنة ٢٥٢ هـ/٨٦٦ م وله تسع عشرة سنة ، وقيل ثمان عشرة سنة ، ولم يل الخلافة قبله أحد أصغر منه ، ثم خُلِعَ يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ هـ/٨٦٨ م ، ومات بعدها بستة أيام ، وعمره أربع وعشرون سنة[١].

أولاده

أجمل ابن حزم ذكر أولاد الخليفة المعتز بالقول: (ولد المعتز: عبد الله الشاعر الجليل أبو العباس ، وحمزة ، وخمس بنات ، لم ينكح منهن إلا واحدة ، تزوجها ابن عمّها موسى بن إسماعيل بن المتوكل ، لا نعرف للمعتز ولداً غير هؤلاء ، إلاّ أنه مات له في خلافته ابن صغير جداً يسمى إبراهيم)[٢].

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ٣٩٤/١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٩٠/٩ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٠/٥ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٤١٩/٤ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٨٧/٢ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٣٢ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٦/١٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٨١/١٩.

(٢) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٨.

صفته وبعض أقواله :

روي أن الخليفة المعتز بالله (كان أبيض أسود الشعر كثيفه ، حسن العينين والوجه ، ضيق الجبين ، أحمر الوجنتين ، حسن الجسم ، طويلاً)[١].

وقيل كان أجمل الناس وجهاً ، قال البحتري: (قال البحتري: فكنت أصعّد بصري وأصوّبه في صباحته وأتعجّب من صنع الله تعالى في إبداع صورته ففطن بي والتفت إليّ وقال لي: يا بحتري في أيّ شيء تتأمّل مني؟ قلت له: يا مولاي التاج يزين الوجوه كلّها إلاّ وجهك فإنه يزين التاج ولو وضعته لكنت أجمل ، فوضعه من رأسه فرأيت من سواد شعره على بياض جبهته ما أدهشني)[٢].

ووصفه المسعودي بالقول: (كان أبيض حسن الوجه ، أسود الشعر ، حسن العينين ، لم ير في الخلفاء مثله جمالاً ، يؤثر اللذات ، ويعدم الرأي ، تدبره أمّه قبيحة وغيرها وغُلب على أموره وقُهر في سلطانه)[٣].

ووصفه الخطيب البغدادي بالقول: (كان المعتز بالله رجلاً طويلاً جسيماً وسيماً ، أبيض مشربا حمرة ، أدعج العينين حسنهما ، أقنى الأنف ، حسن الوجه ، مليحاً جعد الشعر ، كث اللحية ، مدور الوجه ، حسن المضحك ، شديد سواد الشعر ، أكحل العينين)[٤]

وكان فصيحاً ، ولما ضاق ذرعاً بالأتراك كان ويقول عنهم: (أما تنظرون إلى هذه العصابة التي ذاع نفاقها؟ الهمج ، العصاة ، الأوغاد الذين لا مِسكة بهم ، ولا اختيار لهم ، ولا تمييز معهم ، قد زّين لهم تقحّم الخطأ سوء أعمالهم ، فهم الأقلّون وإن كثروا ، والمذمومون إذا ذكروا ، وقد علمت أنّه لا يصلح لقواد الجيوش ، وسدّ الثغور ، وإبرام الأمور ، وتدبير الأقاليم ، إلّا رجل قد تكاملت فيه خصال أربع: حزم يتّقي به عند موارد

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٩٠/٩ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٣٨٨/٤ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٤٣/١٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٥٧/٦.

(٢) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٢٨ -١٢٩.

(٣) التنبيه والإشراف، ص ٣١٦.

(٤) تاريخ بغداد، ٤٨٧/٢.

الأمور حقائق مصادرها ، وعلم يحجزه عن التهوّر والتغرير في الأشياء إلّا مع إمكان فرصتها ، وشجاعة لا تفضّها الملمّات مع تواتر حوائجها ، وجود يهوَّن تبذير الأموال عند سؤالها ، وسرعة مكافأة الإحسان إلى صالح الأعوان ، وثقل الوطأة على أهل الزيغ والعدوان ، والاستعداد للحوادث إذ لا تؤمن حوادث الزمان ، وأمّا الاثنتان فإسقاط الحجاب عن الرعيّة ، والحكم بين القويّ والضعيف بالسويّة ، وأمّا الواحدة فالتيقُّظ للأمور ، وقد اخترت لهم رجلاً من موالي أحدهم شديد الشكيمة ، ماضي العزيمة ، لا تبطره السّراء ، ولا تدهشه الضرّاء ، ولا يهاب ما وراءه ، ولا يهوله ما يلقاه ، فهو كالحريش في أصل الإسلام إن حُرّك حمل ، وإن نهش قتل ، عدّته عتيدة ، ونعمته شديدة ، يلقى الجيش في النفر القليل العديد ، بقلب أشدّ من الحديد ، طالب للثأر لا تفله العساكر ، باسل البأس ، ومقتضب الأنفاس ، لا يعوزه ما طلب ، ولا يفوته من هرب ، واري الزناد مضطلع العماد ، لا تُشرهُهُ الرغائب ، ولا تعجزه النوائب ، وإن ولي كفى ، وإن قال وفى ، وإن نازل فبطل ، وإن قال فعل ، ظلّه لوليّه ظليل ، وبأسه في الهياج عليه دليل ، يفوق من ساماه ، ويُعجز من ناواه ، ويتعب من جاراه ، وينعش من والاه)[1].

ولما حرّضته أمّه على قتل الأتراك الذين قتلوا أبيه وأبرزت قميصه المضرج بدمه قال لها: (ارفعيه ، وإلا صار القميص قميصين ، فما عادت لعادتها تلك)[2].

وقال عنه ابن الطقطقي العلوي: (ولم يكن بسيرته ورأيه وعقله بأس ، إلّا أنّ الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكّل على المملكة واستضعفوا الخلفاء ، فكان الخليفة في يدهم كالأسير ، إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه ، وإن شاءوا قتلوه ، لّما جلس المعتزّ على سرير الخلافة ، قعد خواصّه وأحضروا المنجّمين ، وقالوا لهم انظروا كم يعيش؟ وكم يبقى في الخلافة؟ وكان بالمجلس بعض الظّرفاء فقال: أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته ، فقالوا له: فكم تقول إنّه يعيش وكم يملك؟ قال: مهما أراد الأتراك ، فلم يبق في المجلس إلّا من ضحك)[3].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٥٧/٦ -٢٥٨.

(٢) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٨٨.

(٣) الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٤٣.

وكان للمعتز شعر لا بأس به ، منه قوله في يونس بن بغا [1] ، وكان الأخير حسن الصورة جميل الوجه ، فقال المعتز:

شبهت حمرة وجهه في ثوبه — بشقائق النعمان في النّمام

وغضب على يونس يوماً فتنغّص عيشه وبعد ذلك حضر ، فقال المعتز:

تغيب فلا أفرح — فليتك لا تبرح

وإن جئت عذّبتنى — لأنك لا تسمح

وألفيت ما بين ذين — لي كبد تجرح

على ذاك يا سيدي — دنوك لي أصلح[2]

ومن شعره أيضاً:

إني عرفت علاج القلب من وجع — وما عرفت علاج الحبّ والخدع

جزعت للحبّ، والحمى صبرت لها — إني لأعجب من صبري ومن جزعي

من كان يشغله عن حبّه وجع — فليس يشغلني عن حبّكم وجعي[3]

ومن شعره:

إن الصديق له حقوق جاوزت — حدّ القرابة للنسيب الأقرب[4]

ألقابه

في سنة٢٣٥هـ/٨٤٩م عقد الخليفة المتوكل العباسي لأولاده الثلاثة بولاية العهد ، فلقب محمد وقيل جعفر: المعتز بالله[5] ، ويكنى أبا عبدالله[6].

---

(١) يونس بن بغا أبوه بغا الشرابي الكبير أحد موالي الخليفة المتوكل وأحد المشتركين في قتله، وكان ابنه جميل الصورة اختص بالخليفة المعتز، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٦، ٢٥٤، ٣٧٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٩٣/١٩ -٩٤

(٢) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٣١ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٤٨/٢٤.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٢١/٦.

(٤) الزمخشري، ربيع الأبرار، ٣٦١/١.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٧٦/٩ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١١٧.

(٦) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣١٦.

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه: (المعتز بالله)[1] ، وقيل له خاتم آخر نقشه: (محمد رسول الله)[2] ، وقيل كان نقش خاتمه: (الحمد لله رب كل شيء وخالق كل شيء)[3].

وفاته

ذكر الطبري أن وفاته كان بسبب الأتراك ، ذلك أنهم انتفضوا مطالبين بأرزاقهم ، فجاءوا إلى الخليفة المعتز بذلك ولم يكن عنده شيء ، (فأرسل المعتز إلى أمّه يسألها أن تعطيه ما لا ليعطيهم ، فأرسلت إليه: ما عندي شيء ، فلما رأى الأتراك ومن بسامرا من الجند أن قد امتنع الكتاب من أن يعطوهم شيئاً ، ولم يجدوا في بيت المال شيئاً ، والمعتز وأمّه قد امتنعا من أن يسمحا لهم بشيء ، صارت كلمة الأتراك والفراغنة[4] والمغاربة[5] واحدة ، فاجتمعوا على خلع المعتز ، فصاروا إليه لثلاث بقين من رجب ، فذكر بعض أسباب السلطان أنه كان في اليوم الذي صاروا إليه عند تحرير الخادم في دار المعتز ، فلم يرعه إلا صياح القوم من أهل الكرخ والدور ، وإذا صالح بن وصيف[6] وبايكباك[7] ومحمد بن بغا[8] المعروف بأبي نصر ، قد دخلوا في

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣١٧ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٨٧/٢.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٨٧/٢.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٠/٥.

(٤) الفراغنة وهم من أهل فرغانة استجلبهم الخليفة المعتصم واستخدمهم في الجيش، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٢/٩، ٤٤، ٢٩٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٦/٦.

(٥) المغاربة من أهل مصر استجلبهم الخليفة المعتصم واستخدمهم في الجيش، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٦/٦.

(٦) صالح بن وصيف من القادة الأتراك الذين لعبوا دوراً في عزل وتنصيب الخلفاء في منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وكان أحد قتلة الخليفة المعتز، وقتل سنة ٢٥٦ هـ/٨٦٩ م قبيل مقتل الخليفة المهتدي، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٤٠ -٤٥٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٣/١٩.

(٧) بايكباك وهو أحد القادة الأتراك قتله الخليفة المهتدي بالله سنة ٢٥٦ هـ /٨٦٩ م، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٥٨/٩ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٣٦ وقال عنه: (كان بايكباك التركي في أيامه قد خرب الدنيا ونهب العالم وقتل الرعية، وشكى ذلك إليه فأمره دفعات بالكفّ عن ذلك فلم يقبل فأمر بقتله) ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٩/١٩.

(٨) هو أبو نصر محمد بن بغا الكبير من القادة الأتراك كان له دور في الصراع بين الأتراك والخلفاء في منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وقتل بعد مقتل الخليفة=

السلاح ، فجلسوا على باب المنزل الذي ينزله المعتز ، ثم بعثوا إليه: اخرج إلينا ، فبعث إليهم: إني أخذت الدواء أمس ، وقد أجفلني اثنتي عشرة مرة ، ولا أقدر على الكلام من الضعف ، فإن كان أمراً لا بد منه ، فليدخل إليّ بعضكم فليعلمني وهو يرى أن أمره واقف على حاله فدخل إليه جماعة من أهل الكرخ والدور من خلفاء القواد ، فجروا برجله إلى باب الحجرة ، قال: وأحسبهم كانوا قد تناولوه بالضرب بالدبابيس ، فخرج وقميصه مخرق في مواضع ، وآثار الدم على منكبه ، فأقاموه في الشمس في الدار في وقت شديد الحر قال: فجعلت أنظر إليه يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذي قد أقيم فيه قال: فرأيت بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده ، وجعلوا يقولون: اخلعها ، فأدخلوه حجرة على باب حجرة المعتز كان موسى بن بغا[1] يسكنها حين كان حاضراً ، ثم بعثوا إلى ابن أبي الشوارب ، فأحضروه مع جماعة من أصحابه ، فقال له صالح وأصحابه: أكتب عليه كتاب خلع ، فقال: لا أحسنه ، وكان معه رجل أصبهاني ، فقال: أنا أكتب ، فكتب وشهدوا عليه وخرجوا ، وقال ابن أبي الشوارب لصالح: قد شهدوا أن له ولأخته وابنه وأمّه الأمان ، فقال صالح بكفه: أي نعم ، ووكلوا بذلك المجلس وبأمّه نساء يحفظنها ، فذكر أن قبيحة كانت اتخذت في الدار التي كانت فيها سرباً ، وأنها احتالت هي وقرب وأخت المعتز ، فخرجوا من السرب ، وكانوا أخذوا عليها الطرق ، ومنعوا الناس أن يجوزوا من يوم فعلوا بالمعتز ما فعلوا ، وذلك يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء ليله بقيت من رجب ، فذكر أنه لما خلع دفع إلى من يعذبه ومنع الطعام والشراب ثلاثة أيام ، فطلب حسوة من ماء البئر ، فمنعوه ثم جصصوا سرداباً بالجص الثخين ، ثم أدخلوه فيه ، وأطبقوا عليه بابه ، فأصبح ميتاً ، وكانت وفاته لليلتين خلتا من شعبان من هذه السنة فلما مات أشهد على موته بنو هاشم والقواد ، وأنه صحيح لا أثر فيه ، فدفن مع المنتصر في ناحية

=المهتدي سنة ٢٥٦ هـ/٨٦٩ م، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٦٩/٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٢/١٩.

(١) موسى بن بغا وهو أحد القادة المتوكل من الأتراك كان له دور في حروب الزنج وتوفي سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧ م، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٩٢/٢٠.

قصر الصوامع)[1].

وقيل بل أُدخل حماماً وهو عطشان ، ثم أخرجوه ، فطلب ماء فجيء بماء مثلوج فشربه فمات[2] ، وصلى عليه محمد بن الواثق المهتدي بالله[3].

(١) تاريخ الرسل والملوك، ٣٨٩/٩ -٣٩٠ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٣٨٦/٤ -٣٨٨ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٣١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٧٩/١٢ -٨٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٥٦/٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٨١/١٩ -٢٨٢ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٢٦.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٤٩/٢٤ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٢٦.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٨٧/٢.

١٥ - المهتدي بالله

(٢١٨ -٢٥٦ هـ/٨٣٢ -٨٦٩ م)

أبو عبد الله محمد بن هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي الرابع عشر الخلفاء العباسيين ، ولد بالقاطول لخمس خلون من ربيع الأول سنة٢١٩هـ/٨٣٣م[١] وقيل سنة ٢١٨ هـ/٨٣٢ م[٢] ، أمّه أمّ ولد رومية يُقال لها قُرب ، توفيت قبل بيعته[٣] ، بويع بالخلافة يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب سنة٢٥٥هـ/ ٨٦٨ م ، وله سبع وثلاثون عاماً ، وقيل تسع وثلاثون عاماً ، وقيل ثمان وثلاثين ، وقتل في رجب سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م ، فكانت خلافته إحدى عشر شهراً ، ولم يستكمل عمره الأربعين[٤].

أولاده:

أجمل ابن حزم ولده وقال: (فولد محمد المهتدي أمير المؤمنين: عبدالله ، وجعفر ، وكان فاضلاً زاهداً عالماً: وعبد الواحد ، وكان فاضلاً زاهداً عالماً ، وعبد الرحمن أبو بكر ، كان فاضلاً زاهداً عالماً ، سكن مصر ، وعبد الصمد أبو الحسن ، وكان فاضلاً زاهداً عالماً ، والعبّاس الناسك المنقطع عن الدنيا ، سكن البصرة ، وكان

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨١/٥ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٨١/١٢.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥٥٣/٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٥٩/٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٦/٩.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ٣٩٤/١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٩١/٩ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٤٣٠/٤ ؛ التنبيه والإشراف، ص ٣١٧ -٣١٨ ؛ المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ١٢٤/٦ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥٥٣/٤ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٢٠/١٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٥٨/٦..

عالماً ، وعبد الوهّاب ، سكن إفريقية ، وتزوّج بنت أخي إبراهيم بن الأغلب ،... ، وهبة الله أبو الفضل ، وعبد الكريم وبنين غير هؤلاء تسعة ، وست بنات)[1].

صفته وبعض أقواله

كان الخليفة المهتدي(رحب الجبهة ، أجلح ، جهم الوجه ، أشهل ، عظيم البطن ، عريض المنكبين ، قصيراً ، طويل اللحية)[2].

قال عنه المسعودي: (كان ورعاً ، كاد أن يكون في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية هدياً وفضلاً وقصداً وديناً فصادف أقواماً لا يجوز عندهم أخلاق الدين ولا يريدون إلاّ أمر الدنيا ، فسفكوا دمه ، وتشتت أمورهم)[3].

وأثنى عليه ابن العمراني بالقول: (كان المهتدي زاهداً ورعاً صوّاماً قوّاماً ، لم تُعرف له زلّة ، وكان سهل الحجاب كريم الطبع يخاطب أصحاب الحوائج بنفسه ويجلس للمظالم بنفسه ، وكان يلبس القميص الصوف الخشن تحت ثيابه على جلده ، وكان يقول: لو لم يكن الزهد في الدنيا والإيثار لما عند الله من طبعي لتكلّفته وتصنّعته فإن منصبي يقتضيه فإنّي خليفة الله في أرضه والقائم مقام رسوله النائب عنه في أمته ، وإني لأستحي أن يكون لبني مروان عمر بن عبد العزيز وليس لبني العباس مثله وهم آل الرسول(صلّى الله عليه وسلم) وبه ألزم وإليه أقرب)[4].

ووصفه ابن حمدون بالقول: (كان المهتدي أمير صدق وصاحب نسك ، لبس الصوف ، وهمّ بإفاضة العدل فحالت دونه الأتراك ، وقصرت أيامه فلم يتمكن من مرامه ، وكان يسمّى راهب بني العباس)[5].

وقال عنه ابن الطقطقي: (كان المهتدي من أحسن الخلفاء مذهباً وأجملهم طريقة وسيرة ، وأظهرهم ورعاً ، وأكثرهم عبادة ، كان يتشبّه بعمر بن عبد العزيز ، ويقول: إنّي

---

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٤٠/١٢.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٦٩/٩ ؛ ينظر أيضاً: المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣١٨ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٨١/١٢.
(٣) التنبيه والإشراف، ص ٣١٨.
(٤) الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٣٣.
(٥) التذكرة الحمدونية، ٤٢٢/١.

أستحي أن يكون في بني أميّة مثله ، ولا يكون مثله في بني العبّاس ، وكان يجلس للمظالم فيحكم حكماً يرتضيه الناس ، وكان يتقلّل في مأكوله وملبوسه)وأضاف: كان قد طّرح الملاهي وحرّم الغناء والشراب ، ومنع أصحابه من الظلم والتعدّي[1].

وكان الخليفة المهتدي أخذ على نفسه الزهد والتقشف وترك الدنيا ، فروي عن هاشم بن القاسم الهاشمي[2] أنه قال: (كنت جالساً بحضرة المهتدي عشية من العشايا ، فلما كادت الشمس تغرب وثبت لأنصرف ، وذلك في شهر رمضان ، فقال لي: اجلس ، فجلست فأذن المؤذن ، وأقام فتقدم وصلى المهتدي بنا ، ثم ركع وركعنا ، ودعى بالطعام ، فأحضر طبق خلاف عليه رغيف من الخبز النقي ، وفيه آنية في بعضها ملح ، وفي بعضها خل ، وفي بعضها زيت ، فدعاني إلى الأكل فابتدأت آكل معذراً ظاناً أنه سيؤتى بطعام له نيقة ، وفيه سعة ، فنظر إليّ وَقَالَ: ألم تكن صائماً ؟ قلت: بلى ، قَالَ: أفلست عازماً على صوم غد ؟ قلت: كيف لا وهو شهر رمضان ؟ فقال :كل واستوف غداءك ، فليس ها هنا من الطعام غير ما ترى ، فعجبت من قوله ، ثم قلت والله لأخاطبنه في هذا المعنى ، فقلت: ولم يا أمير المؤمنين ، وقد أسبغ الله نعمته ، وبسط قدرته ورزقه ؟ فقال: إن الأمر لعلى ما وصفت والحمد للّه ، ولكني فكرت في أنه كان في بني أمية عمر بن عبد العزيز ، وكان من التقلل والتقشف على ما بلغك ، فغرت على بني هاشم أن لا يكون في خلفائهم مثله ، فأخذت نفسي بما رأيت)[3].

كما أثنى عليه ابن فضل الله العمري قائلاً: (كان كلقبه مهتديا ، وبالسلف الصالح مقتديا ، وللعفاف تابعا ، وبالكفاف قانعا ، نحا منحى عمر بن عبد العزيز ، وسلك مسلكه الحريز ، فما تكثر من الدنيا ولا تكبر بالعليا ، وأقبلت عليه الأيام فما اغتر بخداعها ، ولا اعتز بمتاعها ، ولا أصباه بديع رونقها ، ولا سباه صنيع تأنقها ، وأخرج ما اكتنز الخلفاء من

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٤٦.

(٢) هاشم بن القاسم بْن هاشم بن عَبْد الوهاب بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عليّ بن عَبْد الله بن الْعَبَّاس بن عَبْد المطلب، أَبُو الْعَبَّاس الهاشمي محدث روى عن الزبير بن بكار روى عنه يوسف بن عمر القواس، توفي سنة ٣١٩ هـ/ ٩٣١ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٠٥/١٦.

(٣) ابن الجوزي، المنظم، ٨٣/١٢ ؛ ينظر أيضاً: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥٥٣/٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٨٨/٦.

آنية الذهب والفضة وضربها نقوداً ، وفرقها حقوقا لا جوداً ، وأمر بالعدل ، ورجع إليه قضاياه ، وطبع عليه سجاياه ، فلم يوافق صلاحه زمانه الفاسد ، ولا نفّق إصلاحه سوقه الكاسد ، ولم يكن من أرباب الدولة إلا منهمك في فساد ، ومنسلك في سلك لا يطمئن به الوساد ، فكرهوا أيامه ، وودوا لو انقضت وأنها لا تكون قد أقبلت حتى مضت ، فعابوه بما فعل مما يمدح ، وقالوا إنه لا يستصلح)[١].

وله بعض الحديث أسنده عن ابن عباس قال: (يَا رَسُولَ اللَّه ، مَا لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ شَيْءٌ؟ قَالَ: ((لِيَ النُّبُوَّةُ وَلَكُمُ الْخِلَافَةُ ، بِكُمْ يُفْتَحُ هَذَا الأَمْرُ ، وَبِكُمْ يُخْتَمُ[٢])) ، قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلّم لِلْعَبَّاسِ: ((مَنْ أَحَبَّكَ نَالَتْهُ شَفَاعَتِي وَمَنْ أَبْغَضَكَ فَلا نَالَتْهُ شَفَاعَتِي[٣]))[٤].

ومن أقواله: (عاون على الخير تسلم ، ولا تؤخره تندم ! فقيل له: هذا بيت شعر ، فقال: والله ما تعمدته)[٥].

ألقابه

لقب بالمهتدي بالله عند تنازل المعتز عن الخلافة[٦] ، وكان يكنى أبا عبد الله[٧] ، وقيل أبا إسحاق[٨].

نقش خاتمه

كان نقش خاتم الخليفة المهتدي بالله: (محمد أمير المؤمنين)[٩] ، وقيل كان نقش خاتمه: (من تعدى الحق ضاق مذهبه)[١٠].

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ٢٥٠/٢٤

(٢) أخرجه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٥٠/٢٦ ؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٥١١/١٣.

(٣) أخرجه الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، ٣٢٤/٥ ببعض اختلاف اللفظ.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥٥٣/٤ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٥٠/٢٦ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٨٢/١٢.

(٥) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٨٨ ؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ٢١٨/٥.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٩١/٩ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٣٨٩/٤ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٣١.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٩١/٩ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣١٧.

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥٥٣/٤ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٨١/١٢.

(٩) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣١٨.

(١٠) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨١/٥.

وفاته

لما عزم المهتدي على وضع حد لتدخل القادة الأتراك وتعدياتهم على حرمة الخلافة بالاستعانة بالفراغنة والمغاربة من فرق الجيش والعامة من الناس ، وكان: (أريد قلع هؤلاء الأتراك وتطهير الدنيا منهم)[١] ، فاتحدوا ضده وقرروا التخلص منه ، فحدثت فحدثت مواجهة بين الجانبين انتهت بهزيمة أنصار الخليفة المهتدي وبقي وحيداً شاهراً سيفه وهو ينادي الناس: انصروا خليفتكم ، ويقول: (هؤلاء الفساق يقتلون الخلفاء ، ويثبون على مواليهم ، وقد استأثروا بالفيء ، فأعينوا أمير المؤمنين وانصروه)[٢] ، فلما لم يجد من يعينه دخل إلى دار صاحب شرطته وبه بعض الجراح فدخلوا عليه وعليهم كبيرهم أحمد بن خاقان[٣] في ثلاثين فارساً (فبادرهم ليصعد ، فرُمي بسهم وبُعج بالسيف ، ثم حمله أحمد بن خاقان على دابة أو بغل ، وأردف خلفه سائساً حتى صار به إلى داره ، فدخلوا عليه ، فجعلوا يصفعونه ويبزقون في وجهه ، وسألوه عن ثمن ما باع من المتاع والخرثى ، فاقر لهم بستمائة ألف قد أودعها الكرخي الناس ببغداد ، وأصابوا عنده خسف الواضحة مغنيه ، فأخذوا رقعته بستمائة ألف دينار ، ودفعوه إلى رجل ، فوطئ على خصييه حتى قتله)[٤].

وفي رواية أخرى أن الخليفة المهتدي لما أحاطوا به وعلم أنه الموت (أعطى بيده ، ونزل فرمى بسيفه فأخذوه ، فجعلوه على دابة بين يدي أحدهم ، وسلكوا الطريق الذي جاء منه ، حتى صيروه إلى دار يارجوخ[٥] في القطائع ، وأنهبوا الجوسق[٦] ، فلم يبق

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٣٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٦٩/٩.

(٣) أحمد بن خاقان بن موسى يكنى أبا الحسن عم الوزير عبيد الله بن خاقان، روى عنه يحيى بن زكريا السني، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٢٥/٥.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٥٨/٩ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢١/١٩.

(٥) يارجوخ هو أحد القادة الأتراك الذين اشتركوا في قتل الخليفة المهتدي، وكانت وفاته سنة ٢٥٨ هـ/٨٧١ م، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملك، ٤٦٧/٩، ٥٠١.

(٦) الجوسق هو أحد القصور التي بناها المتوكل في سامراء، ينظر: النويري، نهاية الأرب، ٤٠٦/١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠١/١٨.

يبق فيه شيء ، وأخرجوا أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان – وكان محبوساً في الجوسق– وكتبوا إلى موسى بن بغا وسألوه الانصراف إليهم ، فأقام المهتدي عندهم لم يحدثوا في أمره شيئاً ، فلما كان يوم الثلاثاء بايعوا أحمد بن المتوكل في القطائع ، وصاروا به يوم الأربعاء إلى الجوسق فبايعه الهاشميون والخاصة ، وأرادوا المهتدي على الخلع في هذه الأيام ، فأبى ولم يجبهم ، ومات يوم الأربعاء ، وأظهروه يوم الخميس لجماعة الهاشميين والخاصة ، فكشفوا عن وجهه وغسلوه ، وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد[1] يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين)[2].

وقيل إنه لما صار في أيديهم (أبى أن يخلع نفسه ، فخلعوا أصابع يديه ورجليه من كفيه وقدميه ، حتى ورمت كفاه وقدماه ، وفعلوا به غير شيء حتى مات)[3] ، وروي أنه لّما أمسكوا به قالوا له: (اخلع نفسك فما فعل فأخذ أحدهم خصاه في يده وجعل يمرسها ساعة فمات)[4].

وذكر التنوخي رواية أخرى فقال: (قتل المهتدي بالله في رجب سنة ست وخمسين ومائتين ، وقيل سمّوه ، وأُخرج ، فصلى عليه جعفر بن عبد الواحد ، بعد يومين من العقد للمعتمد على الله)[5].

وقيل إنه لّما أيقن بالقتل قال:

أهمّ بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنّزوان[6]

---

(١) جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، ولي قضاء سامراء سنة ٢٤٠ هـ/٨٥٤ م، وتوفي سنة ٢٥٠ هـ/٨٦٤ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥٥/٨ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣/١٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٦٧/٩.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٦٨/٩ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٤٢٠/٤ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٠٢/١٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٨٦/٦.

(٤) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٣٦.

(٥) نشوار المحاضرة، ٢٢/٦.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ٤٢٠/٤.

١٦ - المعتمد على الله

(٢٢٩ -٢٧٩ هـ/ ٨٤٠ -٨٩٢ م)

أبو العباس أحمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الخامس عشر من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد رومية وقيل كوفية اسمها فتيان ، ولد يوم الثلاثاء لثمان بقين من محرم سنة٢٢٩هـ/٨٤٠ م وبويع بالخلافة لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ٢٥٦هـ /٨٦٩ م وعمره آنذاك خمس وعشرون سنة ، وكان قبل خلافته محبوساً بالجوسق أحد قصور المتوكل فأخرجوه وبايعوه[1] ، وتوفي في رجب من سنة٢٧٩ هـ/٨٩٢م عن ثمان وأربعين سنة وقيل خمسين سنة ، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة[2] ، والراجح والراجح أن عمره خمسون سنة.

أولاده

ذكر ابن حزم أبناء الخليفة المعتمد من الذكور دون نسائه وبناته ، فقال: (ولد المعتمد جعفر المفوض ، ولاه العهد ، ثم خلعه كرهاً ، وقتله المعتضد في أول خلافته سرّا ، ولم يعقب ، ولم يتمّ أمره ، ولا عقب له ، وإسحاق جليس الخلفاء ، وطال عمره ، فمات في سنة٣٤٣ ، بعد صدر من دولة المطيع ، وله ثلاث وتسعون سنة ،

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٨٨/٦ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٣٠.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ٣٩٤/١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٧٤/٩ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨١/٥ -٣٨٢ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٤٤١/٤ ؛ التنبيه والإشراف، ص ٣١٩ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٩٨/٥ ؛ ابن الجوزي، المنتظم ١٠٣/١٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٧٠/٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٤٨/٢٠.

وكان له إذ مات أبوه المعتمد ثمان وعشرون سنة وأشهر ،... ، ومحمّد أبو عبد الله ، ذكر للخلافة في علة المكتفي ، فمات قبل المكتفي ، فلم يتمّ أمره ، وعبد العزيز ، وإبراهيم ، ويعقوب ، وعلي ، والعبّاس)[١].

وأشار الخطيب البغدادي إلى أن أحد جواريه وأمّ ولده تدعى منية الكاتبة كانت راوية للحديث[٢].

صفته وبعض أقواله

هناك بعض الاختلاف في صفته بين المصادر ، فقال ابن عبد ربه (كان المعتمد أسمر مربوعاً نحيف الجسم حسن العينين مدوّر الوجه ، على وجهه أثر جدري)[٣].

وصفه المسعودي بالقول: (كان حسن الجسم ، كبير العينين طويلاً جسيماً ، طويل اللحية ، عظيم الهامة وولي الخلافة على وجل من أوليائه وحذر من مواليه)[٤] ، قال: إلا أنه (أهمل أمور رعيته وتشاغل بلهوه ولذاته حتى أشفى الملك على الذهاب ، فغلب على أمره وتدبير ملكه وسياسة سلطانه أخوه أبو أحمد الموفق طلحة بن جعفر المتوكل ، ويسمى بالناصر لدين الله وصيره كالمحجور عليه ولا أمر ينفذ له ولا نهي)[٥] ، وأضاف: (كان المعتمد مشغوفاً بالطرب ، والغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهي)[٦].

ووصفه الخطيب البغدادي بالقول: (كان أسمر رقيق اللون أعين خفيفاً ، لطيف اللحية جميلاً)[٧].

ووصفه ابن العمراني بالقول: غلب عليه أخوه أبو أحمد الموفق طلحة (حتى لم للمعتمد على الله تصرف في أمر من الأمور ، وإنما كان مستهتراً بالشرب لا يبرح من

---

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٨.

(٢) تاريخ بغداد، ٦٣١/١٦، وينظر حديثها: ٦٣/٢.

(٣) العقد الفريد، ٣٨٢/٥.

(٤) التنبيه والإشراف، ص ٣٢٠.

(٥) التنبيه والإشراف، ص ٣١٩.

(٦) مروج الذهب، ٤٥٦/٤.

(٧) تاريخ بغداد، ٩٨/٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ١٠٣/١٢.

الجوسق بسامراء ولا يخرج منه إلا إلى متصيّد أو متنزّه)[1].

ووصف ابن الطقطقي شخصية الخليفة المعتمد بالقول: (كان المعتمد مستضعفاً ، وكان أخوه الموفّق طلحة النّاصر هو الغالب على أموره ، وكانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع: كان هو وأخوه الموفّق طلحة كالشريكين في الخلافة للمعتمد الخطبة والسكّة والتسمّي بإمرة المؤمنين ، ولأخيه طلحة الأمر والنهي ، وقود العساكر ومحاربة الأعداء ، ومرابطة الثّغور ، وترتيب الوزراء والأمراء ، وكان المعتمد مشغولا عن ذلك بلذّاته)[2].

فيما وصف ابن فضل الله العمري حاله بقوله: (المعتمد ليس له من الأمر شيء ، كأنه ميت وهو حي قد وطئه الموفق على أمّ رأسه ، وغلب على ملكه وناسه ، وغلّ يده على ما أشغلها به نكل جواريه وكاسه ، وكان هم الموفق جيوشاً يجهزها ، وممالك يحرزها ، وأمور لا يكنزها ، وأعمالاً ملوكية يرقم بها السير ويطرزها ، وهم المعتمد تنميق بناء وتأنيق غناء ، وارتياد روضة غناء ، واعتقاد كأس مدام وجارية حسناء ، ثم ندم المعتمد حيث لا ينفعه الندم ، وعلم أن وجوده كالعدم ، فبقي يتنفس تنفس المصدور ، ويتأوه تأوه المحرور ، ويهم بأمر الحزم لو يستطيعه ، ويحاول حالا ولا يجد من يطيعه)[3].

ومن اهتمامه بالرعية ما روى أحمد بن يزيد المهلبي[4] قَالَ: (كُنَّا لَيْلَة بَين يَدي الْمُعْتَمد على الله ، فَحمل عَلَيْهِ النَّبِيذ ، فَجعل يخْفق بِرَأْسه نعاساً ، فَقَالَ: لَا يبرحن أحد ، ثمَّ نَام مِقْدَار نصف سَاعَة ، وانتبه ، وَكَأَنَّهُ مَا شرب شَيْئاً ، فَقَالَ: أحضروا لي من الْحَبْس رجلا يعرف بمنصور الْجمال ، فأحضر ، فَقَالَ لَهُ: مُنْذُ كم أَنْت مَحْبُوس؟ فَقَالَ: مُنْذُ ثَلَاث سِنِين ، قَالَ: فأصدقني عَن خبرك؟ قَالَ: أَنا رجل من أهل الْموصل ، كَانَ لي جمل أعمل عَلَيْهِ وأعود بكرائه على عيلتي ، فَضَاقَ الْكسْب عَليّ بالموصل ، فَقلت:

---

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٣٧.

(٢) الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٥٠.

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ٢٥٢/٢٤.

(٤) أبو جعفر أحمد بن يزيد بن محمد المهلبي أديب وشاعر مدح أبو أحمد طلحة الموفق عندما قضى على ثورة الزنج، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٧٦/٨.

أخرج إِلَى سر من رأى فَإِن الْعَمَل ثـمَّ أكثر ، فَخرجت ، فَلَمَّا قربت منْهَا ، إِذا جمَاعَة مـن الْجند قـد ظفـروا بِقـوم يقطعـون الطَّرِيق ، وَكتب صَاحب الْبَرِيد بعـددهم ، وَكَانُوا عشـرَة ، فَأَعْطَاهُمْ وَاحـد مـن الْعشْـرَة مَـالا علـى أَن يطلقـوه ، فـأطلقوه وأخـذوني مَكَانَـهُ ، وَأخذُوا جملي ، فسألتهم بِاللَّه عز وَجل ، وعرفتهم خبري ، فَأَبَوا ، ثـمَّ حبسـوني ، فَمَـات بعض الْقَوْم ، وَأطلق بَعضهم ، وَبقيت وحدي ، فَقَالَ الْمُعْتَمد: أحضـروني خمـس مائَـة دِينَار ، فجاءوه بهَا ، فَقَالَ: ادفعوها إِلَيْـه ، وأجرى عَلَيْـه ثَلَاثِينَ دِينَاراً فِـي كـل شـهر ، وَقَالَ: اجعلوا أَمر جمالنا إِلَيْه ، ثمَّ أقبل علينا ، فَقَالَ: رَأَيْت السَّاعَة النَّبِي صلى الله عَلَيْه وَسلم ، فِي النّوم ، فَقَالَ: يَا أَحْمد ، وَجه السَّاعَة إِلَى الْحَبْس ، وَأخرج منصوراً الْجمال ، فَإِنَّهُ مظلوم ، وَأحسن إِلَيْه ، فَفعلت مَا رَأَيْتُمْ ، قَالَ: ثمَّ نَام من وقته)[1].

وكان للمعتمد شعر حسن ، ومن ذلك قوله:

طال والله عذابي واهتمامي واكتئابي	**بغزال من بني الأصفر لا يغنيه ما بي**
أنـا مغـرى بهـواه وهـو مغـرى بعذابـي	**فإذا ما قلت صلني كان لا منه جوابي**

وله:

عجـــل الحـــب بفرقــــه	**فــــبقلبي منـــــه حرقـــــة**
مـــا لـــك بالحـــب رقـــي	**وأنـــــا أملـــــك رقــــه**
إنمـــا يســـتروح الصـــبّ	**إذا أظهـــــر عشقـــــــه[2]**

وكان الخليفة المعتمد محكوماً من قبل أخيه أبي أحمد الموفق حتى أنه احتاج إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها فقال:

ألـــيس مـــن العجائـــب أنّ مثلـــي	**يـــرى مـــا قـــلّ ممتنعـــا عليـــه**
وتؤخـــذ باسمـــه الـــدّنيا جميعـــا	**ومـــا مـــن ذاك شـــيء في يديـــه**

---

(١) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ٢٤٢/٢ ؛ ينظر أيضاً: الآبي، نثر الدرر، ٩٥/٣ ؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٥٤/٨.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠٣/١٢.

إليـــه تحمـــل الأمـــوال طـــرّا ويمنـــع بعـــض مـــا يجبـــى إليـــه[1]

ومن أقواله: (إذا عدم أهل التفضل ، هلك أهل التجمل)[2].

ومن أقواله: (من عُرف بالحلم كثرت الجرأة عليه) ، وقال: (لم يطع الله من عصى سلطانه)[3].

ألقابه :

لقب بالمعتمد على الله في يوم بيعته ، كما كان يعرف بابن فتيان أمّه[4] ، ويكنى أبا العباس[5] ، وقيل أبا جعفر[6] ، وقيل أبا القاسم[7].

نقش خاتمه

كان نقش خاتم الخليفة المعتمد على الله (المعتمد على الله يعتمد)[8] ، وقيل كان نقش خاتمه: (السعيد من كفي بغيره)[9] ولعل في هذا إشارة إلى وضعه مع أخيه الموفق.

وفاته :

روي عن سبب وفاته أنه شرب على الشط في قصر الحسنى[10] ببغداد شراباً كثيراً ، وتعشى فأكثر ، فاختنق ومات ليلاً[11] ، وحُمل إلى سامراء فدفن بها[12] ، وقيل توفي ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة٢٧٩هـ/ ، فجأة[13].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٧٠/٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٤٥/٢٢ ؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١٢٩/١.

(٢) التوحيدي، البصائر والذخائر، ١٦٥/١.

(٣) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٨٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٦٢/٩ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٤٢٠/٤ ؛

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ٣٩٤/١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٨٨/٦.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢١/١٩.

(٧) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١٢٩/١.

(٨) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٢٠.

(٩) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٢/٥.

(١٠) قصر الحسنى هو دار الخلافة، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤١٦/١.

(١١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٩/١٩ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٤٩١/٤ ؛

(١٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٨٠/٦.

(١٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٩٨/٥ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٢٨/١٢.

وذكر المسعودي روايتين في وفاته ، الأولى قال فيها: (كان المعتمد قعد للغداء واصطبح يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب الفرد سنة تسع وسبعين ومائتين ، فلما كان عند العصر قدم الطعام ، فقال: ياموشكيره - للموكل به - ما فعلت الرؤوس بأرقابها ، وقد كان قدم من الليل أن يُقدم له رؤوس حملان [1] ، وقد فصل فيها أرقابها ، فقُدمت ، وكان معه على المائدة رجل من ندمائه وسُمَّاره يعرف بقف الملقم ؟ ورجل يعرف بخلف المضحك ، فأول من ضرب بيده إلى الرؤوس الملقم ، فانتزع أذن واحد منها ، ولقمه في الرقاق ، وغمسها في الأصباغ ، وأهوى بها إلى فيه ، وأمعن في الأكل ، وأما المضحك فإنه يقتلع اللهازم والأعين ، فأكلوا وأكل المعتمد ، وأتموا يومهم ، فأما الملقم صاحب اللقمة الأولى فإنه تهرأ في الليل ، وأما المضحك فإنه مات قبل الصباح ، وأما المعتمد فأصبح ميتاً قد لحق بالقوم)[2].

وأما الرواية الثانية فذكر(أن سبب وفاته أنه سقي نوعاً من السم في شرابهم الذي كانوا يشربونه ، وهو نوع يُقال له البيش[3] يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت ، والتبت ، وربما وجدوه في سنبل الطيب ، وهو ألوان ثلاثة ، وفيه خواص عجيبة)[4] ، وفي الروايتين إشارة إلى أنه مات مسموماً بطعامه أو شرابه ، وقد أشار إلى الروايتين الذهبي بشكل مختصر ، إلا أنه أضاق بقوله: (قيل: بل نام فغمّ ببساط)[5].

فيما حمّل ابن فضل الله العمري أحمد المعتضد مسؤولية قتله بقوله: لما (مات الموفق ، وقام ابنه المعتضد ، فكان أشد شجى في حلق المعتمد ، وما مضت سنة حتى سمّه وكفاهم همّ الدنيا ، واكتفى همّه ، يقال: إن المعتضد سمّه ، وقيل بل أفرغ في حلقه رصاصاً مذاباً ، وقيل: لا ، بل ملأ له حفرة من ريش ، ورماه فيها ، فمات غماً)[6].

---

(١) الحملان هو الجذع من أولاد الضأن فما دونه، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٣٥١/٢٨ (مادة حمل).

(٢) مروج الذهب، ٥٦٢/٤.

(٣) البيش هو نبات فيه سم قاتل وأشد مضرته بالدماغ وإذا سُقي الشخص منه يموت في الحال، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٩٠/١٧ (مادة بيش).

(٤) مروج الذهب، ٥٦٢/٤.

(٥) تاريخ الإسلام، ٢٤٨/٢٠ -٢٤٩ ؛ ينظر أيضاً: الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١٣٠/١.

(٦) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ٢٥٣/٢٤.

وبعد موته دخل عليه القاضي إسماعيل بن حماد[1] وأحضر الشهود ، وقال: هل ترون به من بأس أو أثر؟ مات فجأة ، وقتلته مداومته للنبيذ ، فنظروا إليه فإذا ليس به من أثر ، فغُسل وكُفن وجُعل في تابوت وحُمل إلى سامراء فدفن بها[2].

(١) هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد الازدي ولي قضاء بغداد أيام الخليفة المعتمد وتوفي سنة ٢٨٢ هـ/، ينظر: التنوخي، نشوار المحاضرة، ١٥١/١ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٧٢/٧.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٤٦٢/٤.

١٧ - المعتضد بالله

(٢٤٢ -٢٨٩ هـ /٨٥٦ -٩٠١ م)

أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، السادس عشر من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد رومية تدعى ضرار ، ولد في ذي القعدة من سنة٢٤٢هـ/٨٥٦م وقيل في ربيع الأول سنة٢٤٣هـ/٨٥٧ م وقيل٢٤٠هـ/٨٥٤م ، أمّه أمّ ولد رومية تدعى صواب ، وقيل: حِرز ، وقيل ضرار ، وقيل حقير ، وقيل نخلة ، وقيل كانت تسمى ضرار ثم سميت تحقين وتوفيت قبل خلافته ، بويع له بالخلافة يوم الثلاثاء لاثني عشر ليلة بقيت من رجب سنة٢٧٩هـ/٨٩٢ م وهو ابن إحدى وثلاثين سنة ، بعد عمّه الخليفة المعتمد على الله ، وتوفي ببغداد يوم الأحد لسبع بقين من شهر رجب سنة٢٨٩ هـ/٩٠١ م وله من العمر سبع وأربعون سنة[١] وقيل خمساً وأربعين سنة[٢] ، والراجح أن ولادته كانت سنة ٢٤٣ هـ/٨٥٧ م بحسب عمره.

زوجاته :

تزوج قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون حيث زُفت إليه من مصر وذلك سنة٢٨٢هـ/٨٩٥م[٣] ، وكان صداقها(ألف ألف درهم ، وغير ذلك من المتاع والطيب

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٢/٥ -٣٨٣ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٤٦٣/٤ ؛ التنبيه والإشراف، ص ٣٢٠ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٧٩/٦ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الحلفاء، ص ١٤٠ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٦/١٢ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٩٧/٧١، ٢٠٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٢٣/٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٤٦/٢٢ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٣٦.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٣/٥ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٨/١٣

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٩/١٠ ؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٥٣/٣.

ولطائف الصين والهند والعراق)[1] ، وكان من أمر زفافها وجهازها أن أباها خمارويه(أمر فبنى لها على رأس كل منزلة تنزل فيها قصر فيما بين مصر وبغداد ، وأخرج معها خمارويه أخاه خزرج بن أحمد بن طولون في جماعة مع ابن الجصّاص ، فكانوا يسيرون بها سير الطفل في المهد ، فكانت إذا وافت المنزلة وجدت قصراً قد فرش ، فيه جميع ما تحتاج إليه ، وقد علّقت فيه الستور وأعدّ فيه كلّ ما يصلح لمثلها ، وكانت في مسيرها من مصر إلى بغداد على بعد الشّقة كأنّها في قصر أبيها ، حتى قدمت بغداد في أوّل المحرّم سنة اثنتين وثمانين ومائتين ،... ، ولّما دخل بها الخليفة المعتضد أحبّها حبّا شديداً لجمال صورتها وكثرة آدابها ، قيل: إنّه خلا بها في بعض الأيّام فوضع رأسه على ركبتها ونام ، وكان المعتضد كثير التحرّز على نفسه ، فلما نام تلطّفت به وأزالت رأسه عن ركبتها ووضعتها على وسادة ، ثم تنحّت عن مكانها وجلست بالقرب منه في مكان آخر ، فانتبه المعتضد فزعاً ولم يجدها ، فصاح بها فكلمته في الحال ، فعتبها على ما فعلت من إزالة رأسه عن ركبتها ، وقال لها: أسلمت نفسي لك فتركتني وحيداً وأنا في النوم لا أدري ما يفعل بي! فقالت: يا أمير المؤمنين ، ما جهلت قدر ما أنعمت به عليّ ، ولكن فيما أدّبني به والدي خمارويه: أني لا أجلس مع النّيام ولا أنام مع الجلوس ، فأعجبه ذلك منها إلى الغاية)[2] ، وفي زفافها قال الشاعر علي بن العباس الرومي[3]:

يا سيد العرب الذي زُفَتْ له	**باليمن والبركات سيدة العجم**
أسْعَد بها كسعودها بك	**إنها ظفرت بما فوق المطالب والهمم**
ظفرت بِمَلأىْ نَاظِرَيْهَا بهجةً	**وضمير هانُبْلاً، وَكَفّيْهَا كَرَم**
شمس الضحى زفت إلى بدر الدجى	**فتكشفت بهما عن الدنيا الظُّلم[4]**

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٤٦٥/٤ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨/٢١.

(٢) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٦٣/٣.

(٣) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومي مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر المنصور شاعر من العصر العباسي له قصائد طويلة وبديهة، ومدح العديد من الخلفاء المعاصرين له، ولد سنة ٢٢١ هـ/٨٣٦ م وتوفي مسموما سنة ٢٨٣ هـ/٨٩٦ م، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٥٨/٣ -٣٦٢ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٩٧/١٠.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ٤٩٠/٤.

ومن شعر الخليفة المعتضد في قطر الندى وقد شغف بها قوله:

حســـرات في فـــؤادي شـــردت عـــني رقـــادي

وهمـــوم طارقـــات وكلـــتني بالسهـــاد

ههنـــا جســـمي مقـــيم وببغـــداد فـــؤادي

هكـــذا كـــل محـــب بـــاع قربـــا ببعـــاد

أملـــك الخلـــق ولكـــن تملـــك الجـــود قيـــادي

ملـــك الجـــود فـــؤادي مثـــل ملكـــي للعبـــاد[1]

كما تزوج جارية تدعى ناعم سنة٢٨٢ هـ/٨٩٥ م ولقبها المعتضد بشغب فولدت له ابنه جعفر المقتدر[2] ، ومن زوجاته جارية تدعى عمارة البُحيرة وأخرى تدعى دُرَيِّرة وكان يخلو بهنّ فقال الشاعر:

تـــرك النـــاس بحَيْـــره وتخلـــى في الـــبُحيرة

قاعـداً يضـرب بالطبـل علـــى حِـــرِّ دُرَيْـــرة[3]

وكان دُريرة قد ماتت في أيامه فجزع عليها جزعاً شديداً فرثاه قائلاً:

يـا حبيبًـا لم يكـن يعـ ـــدله عنـــدي حبيـــب

أنـت عـن عـيني بعيـد ومـــن القلـــب قريـــب

لـيس لـي بعـدك في شــ ـيء مـن اللـهو نصـيب

لـك مـن قلـبي علـى قلـ ــبي وإن بنـــت رقيـــب

وخيـال منـك مـذ غبــ ــت خيـــال لا يغيـــب

لـو تراني كيـف لـي بعـ ـــدك عـــول ونحيـــب؟

وفـــؤادي حشـــوه مـــن حـــرق الحـــزن لهيـــب

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٨/٧٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٢/١٠

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٠

لتيقنـــــــت بأنـــــــي فيـك محـزون كئيـب

مـا أرى نفسـي وإن سلــ ـــيتها عنــك تطيـــب

لــي دمــع لــيس يعصيــ ــني وصـبر مـا يجيـب[1]

ومـن زوجاتـه أيضـاً جاريـة تـدعى فريـدة كـان يتحظاها وأقطعهـا ضـياعاً سميـت بالفريديات[2].

أما أولاده فقيل كان له أربعة من الذكور ومن الإناث إحدى عشرة وقيل سبع عشرة[3] ، ومن الذكور علي المكتفي ومحمد القاهر وجعفر المقتدر وهارون لم يعقب [4].

صفته وبعض أقواله :

وصف المعتضد بأنه: (كان نحيفاً ربعة من الرجال حسن اللحية خفيف العارضين يخضب بالسواد سريع النهضة عند الحادثة قليل الفتور ، يتفرد بالأمور ويمضى تدبيره بغير توقف)[5]، ومنها أنه(كان أسمر ، نحيف الجسم ، معتدل الخلق ، قد وخطه الشيب ، في مقدم لحيته طول ، وفي مقدم رأسه شامة بيضاء)[6] ، كما قيل: إنه كان (قليل الرحمة ، كثير الِإقدام ، سفاكاً للدماء ، شديد الرغبة في أن يمثل بمن يقتله ، وكان إذا غضب على القائد النبيل ، والذي يختصه من غلمانه أمر أن تحفر له حفيرة بحضرته ثم يدلى على رأسه فيها ، ويطرح التراب عليه ، ونصفه الأسفل ظاهر على التراب ، ويداس التراب ، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره ، وذكر من عذابه أنه كان يأخذ الرجل فيكتف وُيقَيده فيؤخذ القطن فيحشى في أذنه وخيشومه

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٢٥/١٢ -٣٢٦ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢١٢/٧١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٤/١١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٧٥/٢٢ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٠

(٢) الصابي، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٢٠٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٢٤/٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٦/١١ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٣.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٩ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٦/١٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٢٤/٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٦/١١.

(٥) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٢٠

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٦/١٢ ؛ ينظر أيضاً: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٧٩/٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٢٥/٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٩/٢١.

وفمه ، وتوضع المنافخ في دبره حتى ينتفخ ويعظم جسده ثم يسد الدبر بشيء من القطن ، ثم يفصد ، وقد صار كالجمل العظيم ، من العرقين اللذين فوق الحاجبين ، فتخرج النفس من ذلك الموضع ، وربما كان يقام الرجل في أعلى القصر مجرداً مُوثَقاً ويرمى بالنشاب حتى يموت)[1] ، وكان شغوفاً بالنساء والبناء ، قال المسعودي: (ولم يكن له رغبة إلا في النساء والبناء ، فإنه أنفق على قصره المعروف بالثريا أربعمائة ألف دينار ، وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ)[2].

كما وصف بأنه كان(شهمًا ، جلدًا ، موصوفًا بالرجولة ، قد لقى الحروب ، وعرف فضله ، فقام بالأمر أحسن قيام ، وهابه الناس ، ورهبوه أحسن رهبة ، وسكنت الفتن في أيامه لفرط هيبته ، وكانت أيامه طيبة ، كثيرة الأمن والرخاء ، وكان قد أسقط المكوس ، ونشر العدل ، ورفع الظلم عن الرعية ، وكان يسمى السفاح الثاني ، لأنه جدد ملك بني العباس ، وكان قد خلق وضَعُف ، وكاد يزول ، وكان في اضطراب من وقت قتل المتوكل)[3].

كما وصف بأنه كان (كالمعتصم في أكثر أموره ومآربه ، وأشبه به من سائر أهل بيته وبنيه من الخلفاء لمباشرة الحرب والصيد وما أشبههما ، ولم يكن ينفك من حرب إلا إلى صيد ، ولا من صيد إلا إلى حرب ، وكان يخرج لصيد الأسد ، فيخيم عليها حتى لا يبقى منها باقية)[4].

ومن أقواله في الأدب:

(وَمَا الْأَدَب الْمَوْرُوث لَا در دره إِذا لم تؤيده بآخر مكتسب

فَكَانَ بعد ذَلك إِذا رأى هاشمياً لَا أدب لَهُ ينشد الْبَيْت ، وَيَقُول: الْآدَاب خير من الْأَنْسَاب ، والأعمال خيرٌ من الْأَمْوَال)[5] ، ومن أقواله: (أما والله لا أرى الدنيا تفي

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٤٦٤/٤ -٤٦٥ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الخلفاء، ٦٣/٢١

(٢) مروج الذهب، ٤٦٥/٤.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٣٧

(٤) بازيار، البيزرة، ص ٤٦.

(٥) الآبي، نثر الدر، ٩٧/٣.

بهمتي ومروءتي) ، ومن أقواله: (لا خرج عدو لي من حبسي إلاّ إلى قبره)[1].

كما كان المعتضد جيد الشعر ، ومن شعره:

يا لاحظي بالفتور والدعج	**وقاتلي بالدلال والغنج**
أشكو إليك الذي لقيت من الـ	**ـوجد فهل لي إليك من فرج؟**
حللت بالظرف والجمال من الـ	**ـناس محل العيون والمهج[2]**

وله أيضاً:

لم يلق من حر الفراق	**أحد كما أن منه لاق**
يا سائلي عن طعمه	**ألفيته مر المذاق**
جسمي يذوب، ومقلتي	**عبري، وقلبي ذو احتراق**
ما لي أليف بعدكم	**إلا اكتئابي واشتياقي**
فالله يحفظكم جميعاً	**في مقام وانطلاق[3]**

ألقابه:

بويع بولاية العهد بعد ابن عمه جعفر المفوض بن المعتمد في صفر من سنة ٢٧٨هـ/٨٩١ م بعد وفاة والده الموفق ولقب بالمعتضد بالله[4] ، وبعد سنة أي(٢٧٩ هـ /٨٩٢م)خَلع جعفر المفوض وعين المعتضد ولي عهد عمه المعتمد[5] ، ويروى في تلقبه بالمعتضد بالله أنه لما حُبس في أيام أبيه الموفق وعمه المعتمد قال: (رأيت في منامي وأنا محبوسٌ أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب(عليه السلام) يقول لي: أمر الخلافة يصل إليك فاعتضد باللَّه وأكرم أولادي ، قال: فانتبهت ودعوت الخادم الّذي كان بخدمتي في الحبس وأعطيته فص خاتم كان في يدي لا نقش عليه وقلت له: امض إلى الحكّاك

---

(١) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٨٩ ؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ٤٢٠/١.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٨/٢١.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٢.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٢/١٠ ؛

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨/١٠ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٤٦١/٤ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٥/١٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٦٠/٦.

وقل له ينقش عليه: المعتضد باللّه أمير المؤمنين فقال لي: يا سيدي هذه مخاطرة بالنفس مع أبيك وعمّك ، أين نحن من الخلافة وأين الخلافة منّا وإنما غاية مأمولنا أن نتخلص من هذا الحبس ونشم الهواء وتسلم لنا نفوسنا ، فقلت له: لا تهذ وامض وافعل ما آمرك به فإن أمير المؤمنين عليّا ولّاني الخلافة وهو لقّبني المعتضد باللّه ، فمضى وعاد إليّ بعد ساعة والفصّ معه وعليه مكتوب المعتضد باللّه أمير المؤمنين بأوضح خط وأبينه)[1] ويكنى أبا العباس[2] ، وكان يلقب أيضاً المنصور الثاني لشجاعته ودهاءه وخبرته[3] ، وقيل: بل كان يلقب بالسفاح الثاني لأنه جدد ملك بني العباس[4] ، وقيل: لقب بالسفاح الصغير لأنه قتل أعداء بني العباس ومواليهم[5].

نقش خاتمه:

كان نقش خاتمه: (الاضطرار يزيل الاختيار)[6] ، وقيل: (الحمد للّه الّذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء)[7] ، وقيل كان نقش خاتمه: (حامده أَحْمَد يؤمن باللّه الواحد)[8].

وفاته

توفي المعتضد لأربع ساعات خلت من ليلة الاثنين لثمان بقين من شهر بيع الأول سنة٢٨٩هـ/٩٠١م في قصره المعروف بالحسني في بغداد ، واختلف في سبب وفاته ، قال المسعودي: (قيل: إن وفاته كانت بسمّ إسماعيل بن بلبل[9] قبل قتله إياه ، فكان يَسْرِي في

---

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٣٨ ؛ ينظر أيضاً: التنوخي، الفرج بعد الشدة، ٢١٠/٢ -٢١١.

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ٣٢٠.

(٣) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٣٧

(٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٤٥٢/١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٦٠/٢٢ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٥٧/٢٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٧/٢١ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٣٦.

(٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٧١/٣.

(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٣/٥.

(٧) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٢١ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٣٦.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٦/١٢.

(٩) إسماعيل بن بلبل المكنى أبا الصقر استوزره الموفق لأخيه المعتمد فكان يضيق على المعتضد في حياة أبيه فلما توفي الموفق وأصبح المعتضد وليا للعهد قبض على إسماعيل بن بلبل وعذبه بأشد العذاب حتى قتله سنة ٢٧٨ هـ/٨٩١ م، ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ٤٦١/٤ -٤٦٢ ؛ ابن=

في جسده ، ومنهم من ذكر أن جسمه تحلل في مسيره في طلب وصيف الخادم على ما ذكرنا[1] ، ومنهم مَنْ رأى أن بعض جواريه سَمَّتْهُ في منديل أعطته إياه يتنشَّفُ به ، وقيل غير ذلك)[2] ، وقيل إن مزاجه تغير من كثرة إفراطه في الجماع فانتكس ومات[3] ، وقيل بل مات (من كثرة أكل الصحناء[4] والكوامخ[5] والسموك المملّحة)[6] ، وقيل: (كانت علته تغير المزاج والجفاف من كثرة الجماع ، وكان يوصف لَهُ أن يقل الغذاء ويرطب معدته ولا يتعب ، وَكَانَ يستعمل ضد ما يوصف لَهُ ، ويريهم أنه يحتمي ، فإذا خرجوا دعا بالخبز والزيتون والسمك ، فسقطت قوته ، واشتدت علته)[7].

وكان قد أوصى أن يدفن في دار محمد بن عبدالله بن طاهر ، وذُكر أنه لما (اعتراه الغَشْيُ ووقع للموت شَكُوا في وفاته ، فتقدم الطبيب إلى بعض أعضائه فجسه فأحس به وهو على ما به من السكرات ، فأنف من ذلك وَرَكَلَه برجله فقلبه أذرعاً ، فيقال: إن الطبيب مات منها ، ومات المعتضد من ساعته ، وسمع ضجة وهو على ما به من الحال ، ففتح عينيه ، وأشار بيديه كالمستفهم ، فقال له مؤنس الخادم: يا سيدي ، الغلمان قد ضجوا عند القاسم بن عبيد اللّه ، فأطلقنا لهم العَطَاء ، فقَّطب وهمهم في سكرته ، فكادت أَنْفُسُ الجماعة أن تخرج من هَيْبته ، وحمل إلى دار محمد بن عبد اللّه بن طاهر ، فدفن بها)[8] ، وصلى علية يوسف بن يعقوب القاضي وكُفن في ثوبين

=الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٥٢ -٢٥٣.

(١) ذكر المسعودي أن الخليفة المعتضد عندما أراد اللحاق بوصيف الخادم وكان قد خرج بالشام، جد السير في طلبه(فلم يفلح جسد المعتضد لذلك لما أتعب نفسه في سرعة السير)، مروج الذهب، ٤٨٧/٤.

(٢) مروج الذهب، ٤٩١/٤ -٤٩٢.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤١.

(٤) الصحناء من الصحن وهو جوف الحافر، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٣٠٢/٣٥ (مادة صحن).

(٥) الكامخ فارسية وهو إدام يستخدم لتشهي الطعام، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٣٣٠/٧ (مادة كمخ).

(٦) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٤٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢١٢/٧١.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ٧/١٣ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٣٥٨/٢٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٧/٢١ ؛ الكتبي، فوات الوفيات، ٧٢/١ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٧١/٣.

(٨) المسعودي، مروج الذهب، ٤٩٢/٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٧/١٣.

قيمتهما ستة عشر قيراطاً[1].

وقيل إنه لما احتُضر أنشد:

تمتــع مــن الــدنيا فإنــك لا تبقــى	**وخذ صفوها ما إن صفت ودع الرناقا**
ولا تـــأمنن الـــدهر، إنـــي أمنتـــه	**فلم يبقَ لي حالًا، ولم يرعَ لي حقًّا**
قتلـــت صـــناديد الرجـــال فلـــم أدع	**عـدوًّا، ولم أمهل على طغيه خلقاً**
وأخليـت دور الملـك مـن كـل نـازع	**فشـــردتهم غربًـــا، ومـــزقتهم شرقًـــا**
فلمـــا بلغـــت الـــنجم عـــزًّا ورفعـــة	**وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقّا**
رمـاني الـردى سـهمًا فأخمـد جمرتـي	**فهـا أنـا ذا في حفرتـي عاجلًـا ملقـى**
فأفســـدت دنيـــاي وديـــني ســـفاهة	**فمـن ذا الـذي مـني بمصـرعه أشـقى؟**
فيـا ليـت شـعري بعـد مـوتي مـا أرى	**إلى نعمـــة لله أم نـــاره ألقـــى؟[2]**

---

(١) الجريري، الجليس الصالح، ص ١١٦ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٧٩/٦ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢١٢/٧١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٨/١٣ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٥٨/٢٤.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢١٠/٧١ - ٢١١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٢٤/٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٥٩/٢٢ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٥٨/٢٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٧/٢١ - ٦٨ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٦/١١ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٢

١٨ - المكتفي بالله

(٢٦٤ - ٢٩٥ هـ/٨٧٧ -٩٠٧ م)

أبو محمد علي بن أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، السابع عشر من الخلفاء العباسيين ، أمّه أم ولد تركية تسمى جيجك ، وقيل اسمها خاضع وتلقب بجيجك توفيت قبل خلافته ، ولد سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٧ م ، وبويع له بالخلافة وسنه خمس وعشرون سنة ، وتوفي في ذي القعدة لأثني عشر ليلة خلت منها سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧ م وعمره إحدى وثلاثين سنة ، وقيل: اثنتين وثلاثين سنة ، وقيل ثلاث وثلاثين[١] ، والراجح إحدى وثلاثين سنة حسب عمره ، ولم يل الخلافة من اسمه علي حتى أيامه إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وعلي المكتفي[٢] ، كما لم يل الخلافة صبي قبله[٣].

أولاده:

كان له من الولد الذكور: أبا القاسم عبد الله ، ومحمداً أبا أحمد ، والعباس ،

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٣٨/١٠ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٣/٥ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٢١ ؛ مروج الذهب، ٤٩٣/٤ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٥٠/٥ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢١٢/١٣ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٥٢ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٣/ ٧٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٦٢/٦ -٥٦٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠٥/٢٢ ؛ القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ١/ ٢٦٨ -٢٦٩.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٤٩٤/٤ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٥٠ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣/١٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٥/٢١ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢٣٨/١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٧/١١.

(٣) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ٤٢٩/١ ؛ اليافعي، مرآة الجنان، ١٦٧/٢.

وعبد الملك ، وعيسى ، وعبد الصمد ، والفضل ، وجعفراً ، وموسى ، وهارون[1] ، ومن الإناث: أمّ محمد ، وأمّ الفضل ، وأمّ سلمة ، وأمّ العباس ، وأمّ العزيز ، وأسماء ، وسارة ، وأمة الواحد[2]

صفته وبعض أقواله :

وصف بأنه كان ربعة جميلاً ، رقيق اللون ، حسن الشعر ، وافر الحمة ، وافر اللحية[3] ، وقيل: كان دقيقاً ، أسمر اللون ، أعين ، قصيراً ، حسن الشعر واللحية كبيرهما ، حسن الوجه والبدن[4] ، وقيل أيضاً: كان جميلاً وسيماً ، بديع الجمال معتدل القامة ، دري اللون أسود الشعر[5] ، وكان يُضرب المثل بحسنه في أيامه[6] حتى قيل في ذلك:

قايست بين جمالها وفعالها … فإذا الملاحة بالخيانة لا تفي

والله لا كلمتها، ولو أنها … كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي[7]

قال المسعودي: كان يوصف بالبخل وكانت وظيفته في الطعام (عشرة ألوان في كل يوم ، وجَدْيٌ في كل جمعة ، وثلاث جامات حلواء ، وكان يردد عليه الحلواء ، وكان على مائدته بعض خدمه ، وأمره أن يحصى ما فضل من الخبز ، فما كان من المكسر عزله للثريد ، وما كان من الصحاح رُدَّ إلى مائدته من الغد ، وكذلك كان يفعل بالبوارد والحلواء)[8].

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٩ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/١٣ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٨/١١

(٢) عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ٢٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٣٨/١٠ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٥٠/٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٦٢/٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٧/١١.

(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٢١

(٥) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ٤٢٩/١

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠٥/٢٢.

(٧) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٤.

(٨) مروج الذهب، ٤٩٧/٤.

وقد غمزه ابن فضل الله العمري بقوله: (خلا أنه كان عقير عقار ، وسمير دفوف وأوتار ، وأليف ندمان ، وحليف إدمان ، لا يخلع عنه ثوب عناق ، ولا يخدع عن النفاق ساق بساق ، لم يؤخذ الملاح من مقلتيه ولا كؤوس الراح من شفتيه ، دأبه في هوى ، وآدابه في جوى ، لا يقصر عن حبّ أغيد وغيداء ، وأجيد وجيداء ، فلهذا ما عسكر إلى الأعداء رأيا ولا راية ، ولا أثر جنانا ولا جناية ، على كثرة الفتوق في جيب ملكه ، والانفراط في جيب سلكه)[1] ، ولكن نرى في بعض كلامه ابن فضل الله العمري بعض الحيف عليه ، لأن المكتفي على قصر عمره كان قاد الجيوش منذ أيام أبيه وحارب القرامطة في خلافته[2].

ومن أقواله: (ما ينبغي لعاقل أن يدعي ما لا يحسن ، وينبغي للعاقل أن يطلب ما لا يحسن حتى يتعلمه)[3].

كان المكتفي يقول الشعر ، ومن شعره:

إنـي كلفـت فـلا تلحـوا بجاريـة … كأنها الشمس بل زادت على الشمس

لهـا مـن الحسـن أعـلاه فرؤيتهـا … سعدي وغيبتها عن ناظري نحسي[4]

ومن شعره:

مـن لـي بـأن يعلـم مـا ألقـى … فيعـرف الصـبوة والعشـقا

مـا زال عبـداً لـي وحـبي لـه … صـيرني عبـداً لـه حقـا

أعتـق مـن رقـي ولكننـي … مـن حبـه لا أملـك العتقـا[5]

ومن شعره أيضاً:

بلـغ الـنفس مـا اشْـتَهَتْ … فـإذا هِـي قـد اشْتَفَـتْ

---

(١) مسالك الأبصار، ٢٥٩/٢٤.

(٢) ينظر عن حروبه: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨٨/١٠ وما بعدها ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٢٥/٦ وما بعدها ؛ القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ٢٦٩/١.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢١٢/١٣.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ٥٠٣/٤.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ٥٠٣/٤ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٤/١٣ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٨/١١

إنمـــا العـــيش ساعـــة أنـــت فيهـــا ومـــا انقضـــت
كـــل مـــن يعـــذل الحـــبَّ إذا مـــا هَـــدَا سكـــت[1]

ألقابه:

لقب المكتفي بالله[2] ، ويكنى أبا محمد[3] ، قال ابن الجوزي: (ويكنى أبا مُحَمَّد ، وليس في الخلفاء من يكنى أبا مُحَمَّد إلا الحسن بن علي وموسى الهادي ، والمكتفي ، والمستضيء بأمر الله)[4]

نقش خاتمه:

كان نقش خاتمه: (بالله علي بن أحمد يثق)[5] ، وقيل كان نقش خاتمه: (الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء)[6] ، وقيل كان نقش خاتمه: (عليٌّ يتوكل على ربه)[7].

وفاته:

كان المكتفي يشكو علة في جوفه ، وفساداً في أحشائه ، فاشتدت العلة به في شعبان من سنة٢٩٥هـ/٩٠٧م ، وأخذه ذرب[8] شديد أفرط عليه ، وأزال عقله ، ثم اشتدت علته في أول ذي القعدة ومات شاباً ليلة الأحد لثلاث عشر خلت منها ودفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر[9] ، وقيل كانت علته الذرب ، وقيل: توفي بداء الخنازير[10] ، وكان قد أوصى بصدقة من خالص ماله ستمائة ألف دينار كان قد

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٥٠٣/٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨٨/١٠ ؛ المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ١٢٦/٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٣٨/١٠ ؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ١٢٦/٦ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٥/ ٥٠ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢١٢/١٣ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٧/١١.

(٤) المنتظم، ٣/١٣ ؛ ينظر أيضاً: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٤.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٣/٥.

(٦) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٢١ – ٣٢٢

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/١٣.

(٨) المسعودي، مروج الذهب، ٥٠٤/٥ ؛ والذرب قيل الغدة، وقيل: داء يكون في الكبد بطيء البُرء، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٤٢٩/٢ (مادة ذرب).

(٩) عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ٢٧

(١٠) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٠٤/٧١.

جمعها وهو صغير[1] ، وكان في علته يقول: (والله ما آسى إلا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجت إليها ، وكنت مستغنيًا عنها ، أخاف أن أُسأل عنها ، وإني أستغفر الله منها)[2].

ودخل عليه وزيره وهو مسجى فقال:

وما تزوّد مما كان يجمعه سوى حنوط غداة البين في خرق

وغير نفحة أعواد تشب له وقلّ ذلك من زاد لمنطلق[3]

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/١١٨.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٦.

(٣) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٥٢

١٩ -المرتضى بالله- المنتصف بالله

(٢٤٧ - ٢٩٦ هـ/٨٦١ -٩٠٨ م)

أبو العباس عبدالله بن المعتز محمد -وقيل: الزبير- بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، ولد لسبع بقين من شعبان سنة٢٤٧ هـ/٨٦١ م ، بويع له بالخلافة يوم وبعض يوم ، بعد ما بويع المقتدر بالله ، إذ انقسمت الحاشية بين مؤيد المقتدر ، واعترض آخرون لصغر سنه وبايعوا عبدالله بن المعتز ، وكانت بيعة الأخير يوم السبت لعشر بقين من ربيع الأول سنة٢٩٦ هـ/٩٠٨م ، ولقب نفسه المنتصف بالله ، وقيل: المرتضى بالله ، وقيل: الغالب بالله ، واستوزر محمد بن داود بن الجراح ، وخُلع منها ، وسُلم إلى مؤنس الخادم فحبسه ثم قتله ، وقيل: لُف في كساء وشد طرفاه حتى اختنق ، وقيل: عُصرت خصيتاه حتى مات ، ثم أظهروا أنه مات حتف أنفه ، وحمل إلى داره فدفن بها ، وكان قتله في الثاني من ربيع الآخر من سنة٢٩٦هـ/٩٠٨م[١].

صفته بعض أقواله

وصفه الصولي بقوله: (شاعر مفلق محسن حسن الطبع ، واسع الفكر كثير الحفظ والعلم يحسن في النظم والنثر ، من شعراء بني هاشم المتقدمين وعلمائهم ، ومن نشأ في الرواية والسماعة ، يكثر في مجلسه من حدثنا وأخبرنا... وما رأيت عباسياً قط أجمع منه ولا أقرب لساناً كان من قلب ، وكان يقدم أهل العلم ويؤثرهم)[٢].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣١/١١ -٣٢ ؛ مسكويه، ٥٥/٥ -٥٧؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ١٥٤ -١٥٦ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٨٠/١٣ -٨١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٧٠/٦ -٥٧٢ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٦٢/٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٣/٢٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢١/١١.

(٢) أشعار أولاد الخلفاء، ص ١٠٧.

كما وصف بأنه (الأديب صاحب الشّعر البديع والنّثر الفائق)[1] ، كما وصف أنه (كان غزير الأدب وافر الفضل ، نفيس النفس ، حسن الأخلاق ، وقد أخذ من كل فن من العلوم بنصيب ، فأما شعره فهو الغاية في الأوصاف والتشبيهات ، يقر له بذلك كل ذي فضل)[2] ، ومن نثره قوله: (النصح بين الملأ تقريع- المتواضع من العلماء أكثرهم علما ، كما أن المنخفض من الأرض أكثر البقاع ماء-إذا زاد العقل نقص الكلام-الشفيع جناح الطالب- الدار الضيقة العمى الأصغر- المرض حبس البدن ، والهم حبس الروح- المعرفة بالفضيلة عليك فضيلة منك- من لم يتعرض للنوائب تعرضت له- النار لا ينقصها ما أخذ منها ، ولكن يخمدها أن لا تجد حطبا ، وكذلك العلم لا يفنيه الاقتباس منه ، ولكن فقد الحاملين سبب عدمه)[3].

ومن شعره عندما سُلم لمؤنس الخادم ليُهلكه قال:

يا نفسُ صَبْرًا لعلّ الخير عُقْبَاكَ	خانَتْك مِنْ بعد طول الأمن دُنياكِ
مرَّت بنا سَحَرًا طيرٌ فقلت لها:	طُوباك يا ليتني إيّاكِ طوباكِ
إن كان قصدُك شَرْقًا فالسَّلامُ على	شاطئ الصَّراة ابلُغِي إنْ كان مَسْراكِ
من موثقٍ بالمنايا لا فكاكَ له	يبكي الدّماء على ألْفٍ له باكي
أظنّه آخرَ يوم مِنْ عمري	وأوشك اليوم أن يبكي لي الباكي[4]

وكان له العديد من المصنفات منها: (كتاب الزهر والرياض. كتاب البديع في صناعة الشعر. كتاب مكاتبات الإخوان بالشعر. كتاب الجوارح والصيد. كتاب السرقات. كتاب أشعار الملوك. كتاب الآداب. كتاب حلى الأخبار. كتاب التفات الشعراء المحدثين ، كتاب الجامع في الغناء. كتاب أرجوزة في ذم الصبوح)[5].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٨٧/٢٢.

(٢) ياقوت، معجم الأدباء، ١٥٢٠/٤.

(٣) ياقوت، معجم الأدباء، ١٥٢٤/٤.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٨٩/٢٢.

(٥) ياقوت، معجم الأدباء، ١٦٢٦/٤.

٢٠ـ المقتدر بالله
(٢٨٢ – ٣٢٠ هـ/٨٩٥ـ٩٣٢ م)

أبو الفضل جعفر بن أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الثامن عشر من الخلفاء العباسيين ، أمه أمّ ولد رومية وقيل تركية يُقال لها شغب وكانت تلقب في خلافة ولدها بالسيدة ، ولد يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م ، وقيل اسمه إسحاق وإنما اشتهر بجعفر لشبهه بجعفر المتوكل[١] ، وبويع بالخلافة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة٢٩٥هـ/٩٠٧ م وكان عمره ثلاث عشرة سنة ، ثم خُلع وبويع للقاهر في الخامس عشر من محرم سنة٣١٧هـ/٩٢٩م وأعيد للخلافة في السابع عشر من الشهر والسنة نفسها[٢] ، وقتل ببغداد بعد صلاة العصر يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة٣٢٠هـ/٩٣٢م وله من العمر ثمانية وثلاثين سنة[٣] ، ولم يل الخلافة قبله أصغر منه[٤] ، وقال المسعودي إنه لم يل الخلافة من اسمه جعفر إلا جعفر المتوكل وجعفر المقتدر وكلاهما قتل في شوال[٥].

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٢٦ ؛ ابن السمناني، روضة القضاة، ١٥١٢/٤.

(٢) ينظر تفاصيل خلعه وإعادته للخلافة: عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ١٢١ -١٢٤ ؛ التنوخي، الفرج بعد الشدة، ١٩٣/٣ -١٩٧ ؛ العيسى، القاهر بالله العباسي (٢٨٧ -٣٣٩ هـ)، ص ٤٩ -٨٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٣٩/١٠ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٤/٥ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٥٠٥/٤ ؛ التنبيه والإشراف، ص ٣٢٦ -٣٢٧ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٢٦/٨ ؛ ابن العمراني، الإنباء بتاريخ الخلفاء، ص ١٥٣ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥٩/١٣ -٦٠، ٦٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٦٥/٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٠٤/٢٣ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٢/١١ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ٢٧٥/١

(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٢٨ ؛ المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ١٢٦/٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠/٢٢ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٧.

(٥) التنبيه والإشراف، ص ٣٢٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٩/١٣

أولاده:

له من الأولاد أبو العباس محمد الراضي والعباس وهارون وعبد الواحد وإبراهيم المتقي والفضل المطيع وعلي وإسحاق وعبد الملك وعبد الصمد وإسماعيل وموسى وعيسى والقاسم[1] ، وله بنات مات كلُهن في حياته[2].

صفته وبعض أقواله:

وصف المقتدر بأنه: (كان ربع القامة إلى القصر ما هو ، دري اللون ، صغير العينين ، أحور حسن الوجه واللحية أصهبها)[3] ، وقال ابن الجوزي: : كان (ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير ، جميل الوجه ، أبيض مشرباً بالحمرة ، حسن الخلق ، حسن العينين ، بعيد ما بين المنكبين ، جعد الشعر ، مدور الوجه ، كثير الشيب في رأسه ، أخذ في عارضيه أخذاً كثيراً)[4] ، ومما قيل فيه أيضاً: إنه (كان سمحاً كثير الإنفاق ، ردّ رسوم الخلافة من التجمّل وسعة الإدارات والمعاش ، وكثرة الخلع والصّلات ، كان في داره أحد عشر ألف خادم من الرّوم والسّودان ، وكانت خزانة الجوهر في أيّامه مترعة بالجواهر النفيسة ، فمن جملتها: الفصّ الياقوت الّذي اشتراه الرّشيد بثلاثمائة ألف دينار ، والدرّة اليتيمة التي كان وزنها ثلاثة مثاقيل ، إلى غير ذلك من الجواهر النفيسة ، ففرّقه جميعه وأتلفه في أيسر مدّة)[5] ، وقيل إنه كان سخياً جَواداً يصوم كثيراً ويتنقل بالصلاة كثيراً[6] ، وقال الخطيب البغدادي: (كان جيد العقل صحيح الرأي ، ولكنه كان مؤثراً للشهوات)[7].

أما ابن فضل الله العمري فقد غالى في وصفه لعل ذلك من أجل السجع إذ

---

(1) عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ١٥٢ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٠ ؛ النويري، نهاية الأرب، ١٠٢/٢٢

(2) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٠.

(3) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٢٨.

(4) المنتظم، ٦٠/١٣؛ ينظر أيضاً: ابن عبد ربه، العقد الفريد٥/٣٨٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٢/١١.

(5) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٥٣.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ٦٤/١٣ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٩/١١.

(7) تاريخ بغداد، ١٢٦/٨.

قال: (كان المقتدر عقله عقل أمثاله من الصغار لا ينتخي لملكه ولا يغار ، مشغولاً وراء حجبه ، مشغوفاً بلعبه ، يتشبه في ملكه العقيم بالسوقة ، ويتخذ له من جوارية معشوقة ، ويقف تحت طاقتها يغمزها ، ويترقب لها غفلات رقباء ينتهزها ، وربما وقف اليوم الكامل وهي لا تجيبه ، ورأى جارية فاختفى كأنه وافى إليه رقيبه ، فمرة تصله ، ومرة تهجره ، وآونة تتعرف به ، وآونة تنكره ، وتارة تتعذر بزوجها ، وتارة يتستر بأوجها ، كل هذا شيء افتعله ، وظنه لذة له ففعله ، وكان ربما ركب حمارا وأردفها وراءه ، ومر بسوق عمله في قصره ، وأسكنه الجواري وأوطنه كواعب كالدراري ، وجعل عندهن أنواع الطعام ، ومنهن الخباز والطباخ واللحام والخمار ، وعنده الخمارة والمدام ، فيقف على الحانوت ويشتري قدر ما يحتاجه من القوت ، وكذلك ما يريد من الخمر ، فإذا اكتفى حمل الكل في الخرج ومر ، ثم ينطلق إلى مكان اتخذه في القصر شبيها بالقرية ، ونزل به ، وقضى معها يومه كله في أكله وشربه ، ثم إما تجئ جارية على أنها عاشق لتلك الجارية الأخرى التي يتعشقها ، يريد ما أراده منها ، فيقوم يدرأ عنها ، فتارة غلب ، وتارة يغلب ، وتارة تجيء جارية على أنها صاحب الشرطة ، فيأخذهما ويذهب ، ثم يأمر بالمقتدر بأن يطاف به في شوارع بغداد ، فيطاف به في رحاب القصر ، وينادى عليه: هذا جزاء من يتظاهر بالمحرمات ، في مثل هذا العصر ، وكان المقتدر منقطعا إلى أمثال هذا اللعب ، ما اجتهد في سواه ولا رغب ، ولهذا اختلت حاله مرات ، وخلع ثم عاد كرات ، لكنه مع هذا اللهو المفرط ، واللعب وهو ما بلغه منبسط ، ولا لحقه بعده منتهك ، ولا سبقه إليه قبله سوقة ولا ملك ، كان سعيدا محظوظاً ، شديدا أدرك من المرام حظوظاً ، وكان واسع النفقات ، شائع الصدقات ، ودانت له الآفاق شرقها وغربها ، وبعدها وقربها ، ولم يبق شيء مما كان في ملك الخلفاء الأول إلا مذعنا لأمره ، ممعنا للتأهب لنصره ، لا تحمي أطرافها إلا بعسكره ، ولا تشمخ أسرّة ملوكها إلا بالخضوع لمنبره)[1].

ومن أقواله: إنه كان يقوله لوزيره: (اتق الله يعطفني عليك ، ولا تعصه يسلطني

---

(١) مسالك الأبصار، ٢٦٢/٢٤ -٢٦٣.

عليك)[1] ، ومنها قوله: (لم يملكنا الله الدنيا لننسى نصيبنا منها ، ولم يوسع علينا لنضيق على من في ظلالنا)[2].

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه: (الحَمد لله الَّذِي لَيْسَ كمثله شيء وَهُوَ خَالق كل شيء)[3].

ألقابه:

لقب بالمقتدر بالله عند بيعته[4] ، وقيل هو من لقب نفسه المقتدر بالله[5] ، ويكنى أبا الفضل[6].

وفاته:

توفي الخليفة المقتدر بالله مقتولاً لثلاث بقين من شوال سنة٣٢٠هـ/٩٣٢م ، ذلك أن مؤنساً الْخَادِم خرج إِلَى الْموصل وديار ربيعَة مغاضباً لَهُ ثمَّ عَاد يُرِيد بَغْدَاد فَحسن بعض النَّاس للمقتدر الخورج لقتاله فَخرج إِلَى بَاب الشماسية والتحم الْعَسْكَر فَقتله ثلاثة من أتباع مؤنس(يقال لأحدهم: بهلول ، وللثاني: سيمجور ورفيق لهما لم أحفظ اسمه ، فوقفوا بالمقتدر يخاطبونه ويسمعون منه ، فاخذ أحدهم السيف من يده وانتزع الآخر البرده والخفتان منه ، وطالب الثالث بخاتمه فدفعه إليه ، وكان الخاتم ياقوتا أحمر مربعاً ، فضربه أحد الثلاثة بالسيف على جبينه فألمه فاخرج المقتدر كم قميصه ليمسح الدم عن وجهه ، فضربه الآخر ضربه ثالثة ، فتلقاها المقتدر بيده اليسرى ، فقطعت إبهامه وانقلبت إبهامه وانقلبت الإبهام إلى ذراعه ، وسقط إلى الأرض ، واجتمعت عليه جماعه رجّاله فاحتزوا رأسه ، وحمل إلى مؤنس وذلك يوم الأربعاء

---

(١) الطرطوشي، سراج الملك، ص ٧٢.

(٢) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٩٠.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٤/٥ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ٢٧٥/١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٣٩/١٠ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٥٤/٥

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٦٤/٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٨/١١.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٣٩/١٠ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٥٤/٥ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٢٦/٨.

لليلتين بقيتا من شوال سنه عشرين وثلاثمائة)[1] ، قيل: ثم مرّ رجل من البربر وَقلع ثِيَابه فَمر بِهِ رجل فَستر سوأته بحشيش ثمَّ حفر لَهُ وَدفن وخفى أَثَره[2] ، وقيل: (إن جثته بقيت مجردة ، فطرح بعض المطوعة على سوءته خرقه ثم أخذها رجل من العجم ، وألقى عليها حشيشاً ، إلى أن حُملت الجثة إلى مؤنس ، فأضاف إليها الرأس وسلمه إلى ابن أبي الشوارب القاضى ليتولى أمره ، فقيل إنه دفن مع أبيه ، وقيل إنه دُفن في رقة الشماسية ، وقيل أيضاً: إنه طُرح في دجلة)[3].

---

(١) عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ١٥١ -١٥٢ ؛

(٢) القلقشندي، مآثر الإنافة، ٢٧٥/١

(٣) عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ١٥٢ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٣٢١/٥ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٥٩ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٩/١٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧٧٠/٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩٦/٢٣.

٢١ -القاهر بالله

(٢٨٧ -٣٣٩ هـ/ ٩٠٠ -٩٥١ م)

أبو منصور محمد بن أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، التاسع عشر من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد قيل بربرية وقيل تركية اسمها قبول أو قتول أو فتنة أو فنون ، ولد لخمس خلون من جماد الأولى سنة٢٨٧ هـ/٩٠٠ م وتوفيت أمه وهو صغير فاحتضنته شغب أم المقتدر ، كما توفي أبوه بعد سنتين من ولادته(١) ، تقلد الخلافة مرتين الأولى مدة ثلاثة أيام من١٥ — ١٧ محرم سنة ٣١٧ هـ/ ٩٢٩م ، والثانية من سنة٣٢٠ هـ/٩٣٢ م إلى سنة٣٢٢هـ/٩٣٣م ، ثم أطيح به وسملت عيناه وبقي حياً حتى وفاته في جماد الأولى سنة ٣٣٩هـ/٩٥١ ولم يسمل أحد من الخلفاء قبله ، وعمره اثنتين وخمسين سنة(٢) ، وقد أوجز المسعودي حياته بعد خلعه بقوله: (كان القاهر قد عمد إلى كثير من الأموال عند قتله لمؤنس وبليق وابنه علي وغيرهم فغيَّبَهَا ، فلما قبض عليه وسُمِلت عيناه وأفضت الخلافة إلى الراضي طولب القاهر بالأموال ، فأنكر أن يكون عنده شيء من ذلك ، فأوذي وعُذِّب بأنواع من العذاب ، وكل ذلك لا يزيده إلا إنكاراً ، فأخذه الراضي وقربه وأدناه ، وطالت مجالسته وإياه ، وإكرامه له ، وأعطاه حق العمومية والسن والتقدم في الخلافة ، ولاطفه وأحسن إليه

---

(١) العيسى، القاهر بالله العباسي، ص ٢٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٢١/١١ -١٢٤ ؛ عريب، صلة تاريخ الطبري، ١٥٤/١١، ٢٧٣، ٢٨٣ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٥١٩/٤ ؛ التنبيه والإشراف، ص ٣٣٦ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٢٦٩/٥، ٣٨٤ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٩٣/٢ ؛ ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص ٧١، ٨٠ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٦/١٣، ٨٢/١٤ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٦٢ -١٦٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٥/٢٤، ٢٠ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ٢٨١/١.

غاية الإِحسان ، وكان للقاهر في بعض الحصون بستان نحو من جريب قد غرس فيه النارنج وقد حمل إليه من البصرة وعمان مما حمل من أرض الهند ، قد اشتبكت أشجاره ، ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر ، وبين ذلك أنواع الغروس والرياحين والزمر ، وقد جعل مع ذلك في الصحن أنواع الأطيار من القَمَاري والدباسي والشحارير والببغاء ، مما قد جلب إليه من الممالك والأمصار ، وكان ذلك في غاية الحسن ، وكان القاهر كثير الشرب عليه ، والجلوس في تلك المجالس ، فلما أَفْضَت الخلافة إلى الراضي اشتد شغفه بذلك الموضع ، فكان يداوم الجلوس والشرب فيه ، ثم إن الراضي رَفَقَ بالقاهر ، وأعلمه بما هو فيه من مطالبة الرجال بالأموال والحاجة إليها ، ولا شيء قِبَلَه منها ، وسأله أن يُسْعفه بما عنده منها إذ كانت الدولة له ، وأن يدبر تدبيره ، ويرجع في كل الأمور إلى قوله ، وحلف له بالأيمان الوكيدة أن لا يسعى في قتله ولا الإضرار به ولا بأحد من ولده ، فأنعم له القاهر بذلك ، وقال: ليس لي مال إلا في بستان النارنج ؛ فصار الراضي إلى البستان وسأله عن الموضع ، فقال له القاهر: قد حجب بصري فلست أعرف موضعه ، ولكن مر بحفرة فإنك تظهر على الموضع ولا يخفى عليك مكان ذلك ، فحفر البستان ، وقلع تلك الأشجار والغروس والأزهار حتى لم يبق منه موضع إلا حفره ، وبولغ في حفره فلم يجد شيئاً ، فقال له الراضي: فما هاهنا شيء مما ذكرت ، فما الذي حملك على ما صنعت؟ فقال له القاهر: وهل عندي من المال شيء؟ إنما كانت حَسْرَتِي على جلوسك في هذا الموضع وتمتعك به ، وكان لذتي من الدنيا ، فتأسفت على أن يمتع به بعدي غيري ، فتأسف الراضي على ما توجَّهَ عليه من الحيلة في أمر ذلك البستان ، وندم على قبوله منه ، وأبعد القاهر ، فلم يكن يدنو منه خوفاً على نفسه أن يتناول بعض أطرافه)[1].

أولاده:

له من الأولاد: عبد الصمد وأبو القاسم وأبو الفضل وعبد العزيز[2].

---

(١) مروج الذهب، ٥٣٦/٤ -٥٣٧ ؛ ينظر أيضا: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠/٢٤

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠/٢٤ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة ٢٨٢/١ ؛ السيوطي، تاريخ الإسلام، ص ٤٦٠

صفته وبعض أقواله:

وصف القاهر بأنه (كان أبيض يعلوه حمرة، مربوعاً، حسن الجسم، أعين، وافر اللحية، ألثغ، شديد الإقدام على سفك الدماء، أهوج، محباً لجمع المال على قلته في أيامه قليل الرغبة في اصطناع الرجال، غير مفكر في عواقب أموره، راكباً ردعه، واطئاً عشواته يريد الشبه بمن تقدم من آبائه، فلا يمكنه ذلك لسوء تدبيره وقبح سياسته)[1]، وأضاف المسعودي: (كانت أخلاقه لا تكاد تحصل، لتقلبه وتلونه، وكان شَهْماً شديد البطش بأعدائه، وأَبَادَ جماعة من أهل الدولة، منهم مؤنس الخادم، ويلبق، وعلي بن يلبق، فهابه الناس وَخَشُوا صَوْلته، واتخذ حربة يحملها في يده إذا سعى في داره ويطرحها بين يديه في حال جلوسه، ويباشر الضرب بتلك الحربة لمن يريد قَتْله، فسكن من كان يستعمل على مَنْ قبله من الخلفاء التشغب والتوثب عليهم، وكان قليل التثبت في أمره، مَخوفَ السطوة، فأدَّاهُ ما وصفنا من فعله إلى أن أحتيل عليه في داره فقبض عليه، وسملت كلتا عينيه وهو حي في هذا الوقت في الجانب الغربي في دار ابن طاهرِ، على ما نُمِيَ إلينا من خبره واتصل بنا من أمره، وذلك أن الراضي بالله غيَّبَ خبره وقطع ذكره، فلما بويع إبراهيم المتقي بالله أصيب القاهر معتقلاً في بعض المقاصير، فأمر به إلى دار ابن طاهر، فاعتقل بها إلى هذه الغاية)[2].

ومن أوصافه أنه (كَانَ رجلاً ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، أسمر معتدل الجسم، أصهب الشعر، طويل الأنف، في مقدم لحيته طول لم يشب إلى أن خلع)[3].

ومن أقواله: (من يشتري جسدي بأمر خامل، ورفعتي بسلامة وضيع! وكان يقول: من صنع خيراً وشراً بدأ بنفسه)[4].

نقش خاتمه:

كان نقش خاتمه: (القاهر بالله)[5]، وقيل نقش خاتمه: (منقوش بِاللَّه مُحَمَّد الامام

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٣٦

(٢) مروج الذهب، ٤/٥٢٠.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٣/٣٠٦.

(٤) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٩١.

(٥) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٣٦

القاهر بِاللَّه أمير الْمُؤمنِينَ يَثِق)[1] ، وقيل كان نقش خاتمه: (محمد رسول الله)[2] ، ونقش على السكة في أيامه: (محمد رسول الله القاهر بالله ، المنتقم من أعداء الله لدين الله)[3].

ألقابه:

تلقب بالقاهر بالله في ولايته الأولى واستمر هذا لقبه حتى خلعه ، ويكنى أبا منصور[4].

وفاته:

بقي القاهر بالله بعد أن خُلع من الخلافة وسُملت عيناه مدة طويلة حتى وفاته ، فذكرت بعض المصادر إلى أنه بقي مسمولاً في دار السلطان حتى أيام الخليفة المستكفي بالله(٣٣٣-٣٣٤هـ/٩٤٤ -٩٤٥م)حيث أخرجه وأعاده إلى داره[5] ، وقد افتقر في آخر عمره حتى اضطر إلى التسول ، فذُكر من باب التعجب(وأعجب من كل ما وجد في السّير خبر القاهر وخروجه إلى جامع المدينة في حشو جبّة بغير ظهارة يمد كفه إلى الناس ، بعد الخلافة ونفاذ أمره في أقطار الأرض ، فتبارك الذي يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء)[6].

وروى التنوخي عن علم الشيرازية[7] قهرمانة الخليفة المستكفي قال: (حدّثتني علم ، قهرمانة المستكفي بالله ، الشيرازية ،... ، قالت: كان المستكفي ، لما أفضي إليه

---

(١) ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص ٨٢.

(٢) القلقشندي، مآثر الانافة، ٢٨٢/١.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٩٣/٢.

(٤) عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ١٥٤ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٥١٩/٤ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٢٦٩/٥، ٣٢٨ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٦٣/١٣، ٣٠٦ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٥٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧٣٧/٦، ٧٧٢ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٥٦.

(٥) ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١١٣ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ٢٨٢/١.

(٦) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١٠٦/٨ -١٠٧.

(٧) علم الشيرازية، كانت تدعى حسن الشيرازية وهي حماة أبي أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي خدمت المستكفي وهي من رشحته للخلافة عند توزون، وغيرت اسمها في خلافة المستكفي إلى علم القهرمانة واستولت على أموره ثم اعتقلها معز الدولة بعد خلع المستكفي وقطع لسانها وسلمها للمطيع، ينظر: عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ٣٥٥ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١٠٦/٦ ؛ ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص ١٤٣.

الأمر ، يوصيني بتفقّد القاهر بالله ، بنفسي وأن لا أعوّل على أحد في ذلك ، ويكرمه ، ويبرّه ، ويحسن إليه ، وكان قد اختلّ عقله ، لسوداء لحقته ، ويخرّق ما يلبسه من الثياب ، وقلّما يبقى عليه منها قميص أو جبّة ، وينتف شعر لحيته وبدنه ، وربما صاح وضجّ ، ثم يثيب إليه عقله ، قالت: فراسلني- في بعض أيام إفاقته- المستكفي ، يأمرني أن أستعرض شهواته ، وحاجاته ، فسألني تمكينه من جواريه ، فعرفته ذلك ، فأمرني بحملهن إليه ، وأدخلت إليه جماعة منهن ، ثم استدعى بعد ذلك مرة ، أن تدخل إليه ابنته ، ففعلت ، فقبض عليها يوماً ، وافتضّها ، وبلغ المستكفي ذلك ، فأعظمه ، وهاله ، وأمر أن يفرّق بينهما ، ولا يمكّن أن يدخل إليه غير جواريه)[1].

كما ذكر ابن دحية إلى أنه (خرج إلى جامع المنصور في يوم جمعة ، وقام فعرف الناس نفسه ، وسألهم أن يتصدقوا عليه ، أراد بذلك التشنيع على المستكفي بالله فقام إليه أبو عبد الله ابن أبي موسى الهاشمي فأعطاه ألف دينار ورده إلى داره بالحريم)[2] ، قال: وتوفي في خلافة المطيع لله لثلاث خلون من جماد الأولى سنة٣٣٩هـ /٩٥٠ م[3] ، أما عن سبب وفاته فأشار الثعالبي إلى أنه مات مقتولاً [4] دون أن يذكر تفاصيل ذلك ، ولعله ولعله قتل للتخلص من مكائده كما فعل مع الخليفة الراضي والمستكفي.

---

(١) نشوار المحاضرة، ١٦٧/٧.

(٢) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١١٣.

(٣) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١١٣.

(٤) ثمار القلوب، ص ٥١٤ ؛ للمزيد من التفاصيل ينظر: العيسى، القاهر بالله، ص ٤١ -٤٨.

٢٢ -الراضي بالله

(٢٩٧ – ٣٢٩ هـ/٩٠٩ -٩٤٠ م)

أبو العباس محمد بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، العشرون من الخلفاء العباسيين ، أمه أم ولد رومية تدعى ظلوم أدركت خلافته ، ولد ليلة الأربعاء لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة٢٩٧هـ/٩٠٩م ، وبويع بالخلافة يوم الخميس لست خلون من جماد الأولى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م وتوفي عشر خلون من ربيع الأول سنة٣٢٩هـ/٩٤٠ م ، فكان عمره إحدى وثلاثين سنة وقيل اثنتين وثلاثين سنة[١].

أولاده:

له من الأولاد: أحمد أبو الفضل ، وعبد الله أبو جعفر[٢].

صفته وبعض أقواله:

وروى الصولي أن الراضي وأخاه هارون تتلمذا على يديه العديد من العلوم قبل الخلافة فقال: (كان الراضي أذكاهما وأحرصهما على الأدب ، فحببت العلم إليهما واشتريت لهما من كتب الفقه والشعر واللغة والأخبار قطعة حسنة فتنافساً في ذلك وعمل كل منهما خزانة لكتبه وقرأ عليّ الأخبار والأشعار فقلت إن الحديث أولى بكما

(١) الصولي، أخبار الراضي، ص ١٨٣ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٦/٥ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٣٦ ؛ عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ٣٢٣ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥٢٠/٢ ؛ ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص ٨٢ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٦٣، ١٦٥ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٥/١٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨٩/٧

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٠

وانفع لكما من هذه وهو أولى أن يبتدأ به وجئتهما بأعلى من بقي من الزمان إسناداً ،... ، واحتجنا إلى أن نبره بدنانير ، فوجه إليّ من جهة والدتهما والله ما عندنا دنانير لهذا المحدث ، ولا بنا حاجة إلى مجيئه ، فعرفت نصرا الحاجب ذلك فقال خذ له من مالي كل شيء يريده... وقرأ عليّ من كتب اللغة كتباً كثيرة منها... ثم قلت للراضي الله قد أمرت أن تجلس في غد ليملك بحضرتك ابن الجواليقي بدار السيدة ، وقد وعدوا جماعة فيهم الحسين بن إسماعيل المحاملي[1] ،وسيبكر إلى هاهنا في غد فارفع مجلسه وأقبل عليه وانبسط في مذاكرته ، وإني أحب أن يسمع الناس وصفك والثناء عليك من مثله ، ففعل جميع ذلك ، ثم حضرت وانقضى أمر الإملاك ، فأخذ المحاملي بيد أبي بكر الخرقي ، وقال ما رأيت في أهل هذا البيت شيخاً ولا كهلاً ولا حدثا يشبه هذا الفتى يقول حدثنا وأخبرنا وينشد ويعرب ، وهذا كله من فعل هذا – وأومأ إِليّ – فأحب أن تتحمل رسالتي إلى القهرمانة ريدان ، وتقول لها ما الذي فعلتم بمن صير هذا الأمير في هذا الحال ، فقلت أنا لأبي بكر الله يعلم ما أفعل هذا إلا الله عز وجل ، لأنني أقول لعلهما أن يليا من أمور المسلمين شيئاً فينفعهم الله بهما)[2].

ووصف الراضي بأنه كان(أسمر ، أعين ، مسنون الوجه ، خفيف العارضين ، دحداحاً ، نحيفاً ، جواداً ، محباً للأدب ، حسن الشعر ، شديد التضريب بين أوليائه ، لاستبدادهم بالأمور دونه ، وقصور يده عن تغيير ذلك)[3] ، وقيل أيضاً أنه كان (قصير القامة ، نحيف الجسم ، أسمر رفيق السمرة ، دري اللون ، أسود الشعر سبطه ، في وجهه طول ، وفي مقدم لحيته تمام وفي شعرها رقة)[4].

وقال الخطيب البغدادي: (كان للراضي فضائل كثيرة ، وختم الخلفاء في أمور عدة ، فمنها أنه آخر خليفة له شعر مدون ، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، وآخر

---

(١) الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الضبي المحاملي القاضي كان فاضلاً صادقاً ديناً ولي قضاء الكوفة ستين سنة وتوفي سنة ٣٣٠ هـ/٩٤١ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥٣٦/٨.

(٢) أخبار الراضي، ص ٢٥ -٢٦.

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٣٦ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٢٦/٦.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥٢٠/٢.

خليفة خطب على منبر يوم الجمعة ، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء ، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجابة وأموره ، كل ذلك يجرى على ترتيب المتقدمين من الخلفاء)[1].

ووصفه المسعودي بقوله: (كان الراضي كثير الاستعمال للطيب ، حسن الهيئة ، سخياً ، جواداً ، حسن المذاكرة بأخبار الناس وأيامهم ، مقرباً لأهل العلم والأدب والمعرفة ، كثير الدنو منهم ، فائضاً بجوده عليهم ، ولم يكن ينصرف عنه أحد من ندمائه في كل يوم إلا بصلة أو خلعة أو طيب ، وكانوا عدة ندماء: منهم محمد بن يحيى الصولي ، وابن حمدون النديم ، وغيرهما ، فعوتب على كثرة إفضاله على مَنْ يحضره من الجلساء ، فقال: أنا أستحسن فعل أمير المؤمنين أبي العباس السفاح ، لأنه كانت فيه فضائل لا تكاد تجتمع في أحد ، لا يحضره نديم ولا مغنٍ مُلْه ولا قَيْنَة فينصرف إلا بصلة أو كسوة قَلّتْ أو كثرت ، وكان لا يؤخر إحسان محسن لغد ، ويقول العجب من إنسان يفرح إنساناً فيتعجل السرور ويؤخر ثواب مَنْ سره تسويفاً وعِدَةً ، فكان أبو العباس في كل ليلة أو يوم يقعد لشغله لا ينصرف أحد ممن حضره إلا مسروراً ، ونحن إن لم تتأت لنا الأمور كتأتيها لمن سلف فإنا نواسي جلساءنا ، بل إخواننا ، ببعض ما حضرنا ، وكان سخياً على سائر الأشياء لا يستكثر لأحد من ندمائه كثرة ما يصل إليه على طول الأيام ، حتى كان بعضهم ربما يتأخر عن الحضور لما يترادف عليه من فضله)[2].

ووصفه ابن فضل الله العمري بسجع فقال: (كان مطاعاً صؤولاً ، قطاعاً وصولاً ، وهو آخر من جمع من الخلفاء شعره في ديوان ، وجلس لهم جلوسا عاماً في إيوان ، وقام خطيباً على المنبر ، وفعل أفعال من برّ ، وحاضر الندماء ، وسامره منهم كواكب ثقلها الأرض لا السماء ، وكان يتحرى عوائد سلفه في ترتيب الخلائف ، وتبويب الوظائف ،

---

(١) تاريخ بغداد، ٥٢٠/٢ ؛ ينظر أيضاً: التنوخي، نشوار المحاضرة، ٣٠٠/١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٧/١٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩١/٧.

(٢) مروج الذهب، ٥٣٧/٤.

وكان عارفاً بلغة العرب ، عاكفاً على ما لا حرج فيه من الأرب ، مولعا بالأدب)[1].

ومن أقواله: (من طلب عزاً بباطل أورثه الله ذلاً بحق)[2] ، وكان يقول: (عند الأحوال تعرف جواهر الرجال)[3].

وكان الراضي بالله سمحاً شاعراً سخياً أديباً [4] ، وقال المسعودي: (له أشعار حسان في معان مختلفة إن لم يكن ضاهى بها ابن المعتز فما نقص عنه)[5] ومن شعره يرثي والده المقتدر:

بنفسي ثرى ضاجعت في تربه البلى   لقد ضم منك الغيث والليث والبدرا

فلو أن حياً كان قبراً لميت   لصيرت أحشائي لأعظمه قبرا

ولو أن عمري كان طوع مشيئتي   وساعدني المقدار قاسمته العمرا[6]

نقش خاتمه:

كان نقش خاتمه: (الراضي بالله)[7] ، وقيل كان نقش خاتمه: (محمد رسول الله)[8].

ألقابه:

حكى الصولي أن الراضي أرسل إليه يستشيره بخصوص لقبه فاختار له لقب المرتضى بالله إلا أنه رفض ذلك اللقب بقوله: إن (إبراهيم بن المهدي لما بويع أيام الفتنة بالخلافة أراد أن يكون له ولي عهد فأحضروا منصور بن المهدي وسموه المرتضى ، وما أحب أن أتسمى باسم قد وقع لغيري ، ولم يتم له أمره ، وقد اخترت

---

(١) مسالك الأبصار، ٢٦٨/٢٤.

(٢) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٩١ ؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٧٠/١.

(٣) الزمخشري، ربيع الأبرار، ٤٥٩/١.

(٤) ينظر شعر الخليفة الراضي التي كتبها ونقحها معه الصولي، الصولي، أخبار الراضي، ١٤٩ -١٨٣.

(٥) مروج الذهب، ٥٢٨/٤.

(٦) عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ٣٢٣ ؛ ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص ١١٨ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٦٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨٩/٧.

(٧) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٣٧.

(٨) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٦/٥.

الراضي بالله)[1] ، ولقب بالراضي بالله[2] في يوم بويع وخاتمه فضة وفصه حديد صيني ، عليه مكتوب ثلاثة(أسطر محمد رسول الله)[3].

وفاته:

حكى الصولي سبب وفاته بقوله: (كانت به علل كثيرة ، وكان يقول أنا منذ حبسني القاهر عليل إلى وقتي هذا وتزايدت علته قبل وفاته بسنة وفسد مزاجه ، وكان ذلك أصعب علله ، وكان يلقي من فمه دماً كثيراً ، حتى ألقَى من فمه في يومين وليلتين – على ما قال سنان – أربعة عشر رطلاً ، وكان أكثر ذلك بحضرتنا ، ولقد أعطاه سنان[4] دواء يأخذهُ بملعقة فبقيت الملعقة في يده ساعة ، كلما أومأ بها إلى فيه غلبه الدم ، حتى أمسك قليلاً فرمى بما على الملعقة على فيه ، ثم عاوده الدم ، وكان هذا في جوفه غلظ تزايد في آخر أيامه ، وكان كثير الخلاف على من يطبه ، لا يقبل مشورته ، ويضمن أن يحتمي ولا يفي بضمانه ، وكان الجماع والشراب أعظم آفاته مع عشاء يديمه كل يوم إلى غير حاجة إليه ، وهذا ما ذكرت من أخباره أنه لم يكن فيه عيب إلاّ مسامحته نفسه فيما يشتهيه ، وما كان أكله بالكثير ولا شربه ، ولكن شهوته زادت على طاقة جسمه وقوته)[5] ، وقيل كان موته بالاستسقاء الزقي[6].

الزقي[6].

ومن شعره عندما زادت علته:

يا نفْسُ كُونِي بَعْدَ عِلْمِكِ وَالْفَحْصِ ... عَلَى حَذَرٍ وَارْضَيْ مِنَ الْكُلِ بِالشِّقْصِ

---

(١) أخبار الراضي، ص ٣ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ١٣/٣٣٦.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ٥/٣٨٢.

(٣) عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ٢٨٤.

(٤) هو أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة اشتهر بصناعة الطب وخدم الخلفاء المقتدر والقاهر والراضي، وتوفي سنة ٣٣١ هـ/٩٤٢ م، ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٠٠ -٣٠٤ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٩/٤٢٠ -٤٢١.

(٥) أخبار الراضي، ص ١٨٤.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ٦/٢٦ ؛ ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص ١١٧ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٤/١٧ ؛

ثِقِــي وَاعْلمِــي أَنَّ المَمــاتَ مُعَجَّــلٌ إلَـى كُـلِّ ذِي زَهْـدٍ عَـزُوفٍ وَذِي حِرْصِ
وَلا تَطْلُــبِي حــالَ التَّمــامِ فَإِنَّــهُ إذا تَــمَّ المَــرْءِ آذَنَ بالنَّقْــصِ[١]

قال الصولي: توفي الراضي ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة٣٢٩هـ/٩٤٠ م ، وغسله القاضي أبو الحسن بن عبد الواحد الهاشمي ، قال: (فحدثني أنه ما رأى ميتاً أحسن منه ولا أطيب عرضاً ولا أنظف جسداً منه ، وأنه كان يصب الماء عليه خادم أسود وأن القاضي أبا نصر[٢] كان واقفاً يعينه على قلبه إذا أراد أن يقلبه لا يعينه من أمره على غير ذلك ، وأنه لم يؤت بحنوط من الدار لأن الخزائن كلها أقفل عليها ، وكل بها فوجه القاضي إلى الكرخ إلى المعروف بابن أبي ذكرى العطار ، حتى حمل من دكانه حنوط وجميع ما يحتاج إليه ، وصلى عليه القاضي أبو نصر وحمل في طيار في دجلة إلى بين القصرين ، وأخرج ثم حمل مع الخدم إلى الرصافة ، فحدثني من رأى مع الجنازة عشر شمعات بأيدي عشرة من الخدم ، ودفن في ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول)[٣].

---

(١) الصولي، أخبار الراضي، ص ١٨٤.

(٢) أبو نصر يوسف بن عمر الازدي قاضي بغداد أيام الراضي توفي سنة ٣٥٦ هـ/٩٦٦ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٧٢/١٦.

(٣) أخبار الراضي، ص ١٨٣.

٢٣ - المتقي لله

(٢٩٧ -٣٥٧ هـ/٩٠٩ -٩٦٧ م)

أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الحادي والعشرون من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد رومية اسمها خلوب أدركت خلافته ، وقيل: زهرة ، ولد في شعبان سنة٢٩٧هـ/٩٠٩م ، بويع بالخلافة يوم الأربعاء لعشر ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة٣٢٩هـ/٩٤٠ م ، وخُلع منها بعد وقوع الوحشة بينه وبين أمير الأمراء توزون[1] ، فقبض عليه الأخير وسمله وانتزع منه خاتم الخلافة لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة٣٣٣هـ/٩٤٤م ، وتوفي في النصف من شعبان سنة٣٥٧هـ /٩٦٧ م وعمره ستون سنة[2].

أولاده:

له جارية واحدة تدعى غضوب قال ابن فضل الله العمري: لم يعرف خبرها إلا

---

(١) توزون التركي يكنى أبا الوفاء كان قد اشترك في التدبير لقتل مرداويج سنة ٣٢٣ هـ/٩٣٤ م ثم انتقل إلى بغداد تولى إمرة الأمراء في عهد الخليفة المتقي لله ثم وقعت الوحشة بينهم وخرج الخليفة من بغداد إلى الموصل ثم الرقة ثم راسله توزون وأعطاه العهد ثم غدر به وسمله سنة ٣٣٣هـ /٩٤٤ م ولم يلبث بعده حتى توفي في سنة ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م، ينظر: عارف الدوري، عصر إمرة الأمراء، ص ١١٢-١٢١.

(٢) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٢٨٣ ؛ عريب، صلة تاريخ الطبري، ١١/ ٣٢٤، ٤١٥ ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٤٤ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥٥٤/٦ ؛ ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص ١٤٣ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٦٨، ١٧٤ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣/١٤، ١٩٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٣٤/٧ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٢٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨٩/٢٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠١/١١ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ٢٩٣/١ ؛ ابن المبرد الحنبلي، إيضاح طرق الاستقامة، ص ٢٨٥.

بعد وفاته[1] ، وله من الأولاد أبو منصور عبد الواحد وقيل إسحاق ولي عهده[2] ، وله ابنة لم يذكر اسمها عمرت بعده وتوفيت سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م[3].

صفته وبعض أقواله :

وصفه الخطيب البغدادي بقوله: (كَانَ رجلاً معتدل الخلق ، حسن الجسم ، قصير الأنف ، أبيض مشرباً حمرة فِي شعره شقرة وجعودة حسن اللحية كثها ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، أشهل العينين ، لم يشب... كَانَ مع هذا يتأله ، وفيه صلاح وكثرة صيام وصلاة ، وكَانَ لا يشرب النبيذ ، وقيل أنه لم يشربه قط ، وكَانَ فِيه كف عَن كثير مما كَانَ من تقدمه يرتكبه ، وكَانَ فِيه وفاء وقناعة)[4].

ووصف المتقي بأنه(كان المتقى يتأله ويصلى ويصوم كثيراً ، ولم يشرب النبيذ قط ، وكان فيه وفاء وقناعه ، ولم يتحظ غير جاريته التي كان يتحظاها قبل الخلافة... ولم يغدر بأحد ، وكان بر النفس ، حسن الوجه)[5].

كما وصف بأنه(كان حسن الوجه ، مقبول الخلق ، قصير الأنف ، أبيض مشرباً بحمرة ، في شعره شقرة وجعودة ، كث اللحية ، أشهل العينين ، أبيّ النفس ، لم يشرب النبيذ قط ، وكان يتعبد ويصوم جداً ، وكان يقول: المصحف نديمي ، ولا أريد جليساً يره ، فغضب الجلساء من هذا)[6] ، قال ابن كثير: (فالتقى فيه الاسم والفعل والحمد لله)[7].

إلا أن ذلك أغضب الصولي الذي كان ينادم الخلفاء ويجالسهم فقال: (لما رأيت أنا أن المتقي لله لا يريد جليساً ، وما سُمع بخليفة قد قال: لا أريد جليساً ، أنا أجالس

---

(١) مسالك الأبصار، ٤٢٥/١٠.

(٢) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٢٥٢ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٠ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٠٥/١١.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٨٤/١٥.

(٤) تاريخ بغداد، ٥٥٤/٦.

(٥) عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ٣٤٧/١١ ؛ ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص ١٤٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٠/٢٤

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ٣/١٤ -٤؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨٩/٢٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٢٤/١١

(٧) ٢٢٥/١١.

المصحف أفتراه ظن أن مجالسة المصحف خص به دون آبائه وأعمامه الخلفاء ، وكان وحده دونهم ، أو أن هذا الرأي غمض عليهم وفطن هو وحده له؟ فاستأذنت في الخروج فأذن لي ، ولقد كنا وقوفاً بين يدي المتقي فقال لنا بعض الخدم: ليس هذا مثل الراضي هذا لا يريد الجلساء ، فقلت لهم لئن كان هذا الأمر كما زعمتم فإنه رديء لنا ورديء لكم ، وأعظم الأمر أنه رديء على الخليفة وعائد بخلاف ما يهواه ويقدره ، فما زال بعض الخدم يقصدني ويقول لي كان الأمر كما قلت لنا[١])[٢].

ومن أقوله: (زال الأمر عن بني أمية ، وما فيهم راجل ، وأراه سيزول عنا وما فينا راكب)[٣]

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه: (المتقي لله)[٤] ، وقيل نقش خاتمة: (محمد رسول الله)[٥].

ألقابه:

قال الصولي: طُلب مني أن أختار اسماً للخليفة فكتبت رقعة فيها ثلاثون اسماً وكتبت مثلها ولم يضمنوا لي حق التسمية وما وفيا لي ذلك ولا عوضاني ثم دفعوا إلى الخليفة الرقعة من الأسامي فاختار منها المتقي لله ، قال: ودخلت عليه وبايعته ومدحته بقصيدة ذكرته فيها تسميتي له ليفهم فما وصل إليّ منه من عاجل ولا آجل حتى انقضت أيامه[٦].

---

(١) وقد عاب ابن الجوزي قول الصولي أعلاه بقوله: (فأعجبوا لهذا المنكر للصواب، وهو يعلم أنه كان هو والجلساء لا يكادون يشرعون فيما ينفع، وأقله المدح، فليته إذ قال هذا لم يثبته في تصنيف)، المنتظم، ٤/١٤.

(٢) أخبار الراضي والمتقي، ص ١٩٣.

(٣) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٩٣.

(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٤٤ ؛ النويري، نهاية الأرب، ١٧٨/٢٣.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٧/٥.

(٦) أخبار الراضي والمتقي، ص ١٨٧، ١٨٨، ١٩١ ؛ ينظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ٣٢/٦؛ ابن الأثير، الأثير، الكامل في التاريخ، ٩١/٧.

وفاته:

بعد أن خُلع من الخلافة أُخرج إلى جزيرة مقابل السندية فسُجن بها ، وبقي خمساً وعشرين سنة ، توفي في النصف من شعبان سنة٣٥٧هـ/٩٦٧م حتف أنفه ، فصلى عليه أبا تمام الزيدي وكبر خمساً ، ودفن في داره ، ثم ابتاع الدار معز الدولة البويهي فنقلوه إلى تربه بإزائها ، قال ابن دحية: فامتحن في الحياة وبعد الممات[1].

---

(١) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٢٠ ؛ ينظر أيضاً: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥٥٤/٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ١٧٧/٢٣ ؛ ابن المبرد الحنبلي، إيضاح طرق الاستقامة، ص ٢٨٥ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٦٧.

٢٤ - المستكفي بالله

(٢٩٢ -٣٣٨ هـ/٩٠٤ -٩٤٩ م)

أبو القاسم عبد الله وقيل: عبيدالله بن علي المكتفي بن أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الثاني والعشرون من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد رومية اسمها أسمح الناس وقيل: اسمها غصن لم تدرك خلافته ، ولد أوائل سنة٢٩٢هـ/٩٠٤م بويع بالخلافة يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة٣٣٣هـ/٩٤٤م وعمره إحدى وأربعون سنة ، وخُلع سُملت عيناه من قبل معز الدولة البويهي في شعبان سنة ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م وبقي في دار السلطان حتى وفاته سنة٣٣٨هـ/٩٤٩م وعمره ست وأربعون سنة[١].

أولاده:

كان له من الأولاد: علي والحسن ومحمد ، والأخير طلب الخلافة أيام المطيع فقبض عليه وجُدع أنفه وأذنيه[٢].

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٧/٥ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٥٥٠/٤ ؛ عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ٣٤٩ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٧٩/١١ ؛ ابن السمناني، روضة القضاة، ١٥١٤/٤ ؛ ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص ١٤٤، ١٥٠ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٧٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٥٩/٧ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٢٠ -١٢١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٣٧/١١ ؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٢٩٩/٣ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ٢٩٩/١ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٧٠.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٩.

صفته:

وصفه أحد حاشيته فقال: (كنا إذا كلمنا المستكفي، وجدنا كلامه كلام العيارين، وكان جلداً بعيد الغور والحيلة، وكان يلعب قبل الخلافة بالطيور ويرمى بالبندق، ويخرج إلى البساتين للفرجة واللعب، وكان لا ينفق عليه من الجواري غير السودان، ولا يعاشر غير الرجال)[1].

أما صفته: (كان أبيض اللون، حسن الوجه، صغير الفم، بعارضه شيب)[2]، وأضاف ابن الجوزي: (كان مليح الشخص، ربعة من الرجال، ليس بالطويل ولا بالقصير، معتدل الجسم، حسن الوجه، أبيض مشرباً بالحمرة، أسود الشعر، سبطًا، خفيف العارضين، أكحل، أقنى الأنف)[3].

كما ذكره ابن فضل الله العمري بغمز مسجوع فقال: (كان لا يكف ذيله عن فجور، ولا يعف ليله عما لا يصح له ديجور، لا ينفك في غيابة ظلام، ولا ينتقل عن بطن جارية، إلاّ على ظهر غلام، ولا تزال يده مقرّطة بمنديل، متوجة بكأس، إلا أنها غير سلسبيل، وكان مجلسه معمورا بالقيان مغمورا بالدنان، كأنه حانة نباذ، أو في قطربل لا بغداد، وكان ربما لم يكتف بمن عنده، فيطلب له من نساء المدينة العواهر، ومن أبناء أهلها من يكلفه عمل النساء الفواجر، لا يعرف برا ولا حنثا، ولا يخف محمله عن ذكر ولا أنثى، هذا مع عدم قدرة على حكم ولا سماع لأمره، إلاّ إذا سمعت الصم البكم، وكان في جميع أموره، كأنه لم يرعه واعظ دين، ولم يردعه من له معتقد به بدين، حتى كان شبّه من بني أمية بالوليد بن يزيد[4]، وما ينقص عما يريد بل يزيد، وتلاشت في أيامه الخلافة واضمحلت، وانتكثت عقدتها الوثيقة وانحلت، فأصبحت واهية القوى، ضعيفة لا تتماسك من شدة الجوى، أما قمرها فسقط، وأما نجمها فهوى)[5].

---

(١) عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ٣٥٤ ؛

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٤٥

(٣) المنتظم، ١٤/٤٠.

(٤) تولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة سنة ١٢٥ هـ /٧٤٢ م وقتل سنة ١٢٦ هـ/٧٤٣ م، ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٩٥ -٢٩٦.

(٥) مسالك الأبصار، ٢٤/٢٧٠ -٢٧١.

نقش خاتمه:

كان نقش خاتمه: (المستكفي بالله بتقي)[1] ، وقيل إن نقش خاتمه: (محمد رسول الله)[2].

ألقابه:

لقب بالمستكفي بالله[3] ، وفي آخر سنة٣٣٣هـ/٩٤٤م لقب نفسه إمام الحق وضرب ذلك على الدنانير والدراهم[4] ، فكان يلقب بلقبين: إما الحق ، والمستكفي بالله[5].

وفاته:

لما خُلع المستكفي بالله سنة٣٣٤هـ/٩٤٥م حُبس عند الخليفة المطيع وبقي حتى وفاته في ربيع الأول سنة٣٣٨هـ/٩٤٩م عن ست وأربعون سنة ، وكانت علته نفث الدم[6].

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٤٥ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ٢٩٩/١

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٨٧/٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٩/١٤ ؛

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٤٢/١٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٤/٢٥ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ٢٩٩/١ ؛ ابن المبرد الحنبلي، إيضاح طرق الاستقامة، ص ٢٨٥

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٧٩/١١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٤٢/١٤.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٧٩/١١ ؛ ابن السمناني، روضة القضاة، ١٥١٥/٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٨٨/٧ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٢١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٧/٢٥ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢٧٤/١ ؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٢٩٩/٣ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ٣٠٣/١.

٢٥ - المطيع لله
(٣٠١ – ٣٦٤ هـ/٩١٣ - ٩٧٤ م)

أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الثالث والعشرون من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد صقلبية اسمها مشغلة توفيت في حياته سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م ، وولد لست بقين من محرم سنة٣٠١هـ/٩١٣م بويع بالخلافة يوم الخميس لثمان بقين من جماد الآخرة سنة ٣٣٤ هـ/٩٤٥م وعمره ثلاث وثلاثون سنة ، وقرر له معز الدولة البويهي نفقة كل يوم مائة دينار ، وخلع نفسه طائعاً يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ٣٦٣ هـ/٩٧٣ م فكانت خلافته تسع وعشرون سنة ، وتوفي في محرم سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م[١].

أولاده:

كان له من الأولاد أبو بكر الطائع وعبد العزيز وجعفر وعبد الوهاب[٢].

صفته وبعض أقواله:

ووصف أنه كان كريما حليما(وصل العلويين والعباسيين في يوم واحد بنيف وثلاثين ألف دينار على قلة ذات يده ، وكان يجري على ثلاثة خلفاء خُلعوا وسُملوا ، وهم: القاهر ، والمستكفي ، والمتقي ، لكل واحد منهم في كل شهر ، ولم يتعرض لأحد من قرابته بسوء ، وكان يقول: ما أرى التعرض للأهل ، ولا أستجيز الإساءة إلى أحد ، فقد كان لحقني من المستكفي ما أحسن الله العاقبة إليّ فيه ، وعاد

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ٣٧٣/٦، ٣٨٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد٣٥٩/١٢، ٣٥٦/١٤؛ ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص ١٥٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ٨٢/٢٣؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٢٣٥/٢

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٠ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ٣٠٣/١.

بالقباحة وسوء العاقبة عليه)[1].

وقد لخص ابن فضل الله العمري حاله بنثر مسجوع لا يخلو من بعض المبالغة التي يتطلبها السجع ، فقال: (لم يكن له من الأمر شيء ، ولا له فيها ممتد ظل ولا فيّ ، لم يكن له من الخلافة إلا رسمها ، ولا من الممالك إلا أن يضاف إليه اسمها ، قد شبع مما لا يستطيب ، وقنع باسمه على سكة نقاش ومنبر خطيب ، وكان في الخلافة كأنه سر مخفي ، وعلى المنابر اسم شيء غير مرئي ، ما فرح بأن ينفذ له أمر وراء بابه ، ولا حكم حتى ولا في أسبابه ، فما له ذكر خارج حجابه ، ولا شيء يتحدث به عند حجابه ، قد جعل قصره محبسه ، وقيده مجلسه ، وأكثر ما يتحصل له من أجل بلاده ، مقدار ملء خاصرته من زاده ، بل كان في بعض الأوقات ربما راجع من حجر عليه في نزر به يتوسع ، ونزر منه يتجرع ، فوقتا يعطى ، ووقتا يمنع ، سوى أنه ما منح في العطاء ، ولا فسح له في كثرة الخلطاء ، وكان عليه مما يعد ولا يستطيع ، ولا يمكنه إلاّ أن يكون لما يقال له السامع ولما يؤمر به المطيع ، إلاّ أنه طالت مدته وهو على هذه الحال المقضي ، والأمر غير المرضي ، ولا عير له ولا نكير ، ولا توسيع له في مجال الحيلة ولا تفكير ، ثم كانت آخرته أن خلع نفسه وولى ابنه ، وخلى فكره مما كان فيه ، وأخلى ذهنه ، ثم ما عاش إلا أياماً ، وخلف أولاده أيتاماً ، ونساءه أيامى)[2].

روى المطيع بسنده عن أحمد بن حنبل قوله: (إذا مات أصدقاء الرجل ذُلّ)[3] ، وكان يقول: (باسمنا يُدافع عن سواد الملة ، وبياض الدعوة)[4].

ألقابه:

لقب بالمطيع لله يوم خوطب بالخلافة[5] ، وبعد أن خلع نفسه من الخلافة كان يسمى الشيخ الفاضل[6].

---

(١) ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٢٢.

(٢) مسالك الأبصار، ٢٤/٢٧٢.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤/٣٥٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٦/٢٣٨.

(٤) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٩٣ ؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ٥/١٨٦.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ٦/١١٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٧/١٥٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥/٢٨.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ١٤/٢٢٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٦/٢٥٤.

وفاته:

روي أنه منذ سنة٣٦٠هـ/٩٧٠م لحق الخليفة المطيع سكتة آل فيها الأمر إلى استرخاء جانبه الأيمن وثقل لسانه[1] إلا أنه شفي منها ، ثم لحقته علة الفالج حتى ثقل لسانه فخلع نفسه غير مكره إلى ولده الطائع لله في ثلاث عشرة ليال خلت من ذي القعدة سنة٣٦٣هـ/٩٧٣م ، وجاء في كتاب الخلع(هذا ما أشهد على متضمنه أمير المؤمنين الفضل المطيع للّه حين نظر لدينه ورعيته ، وشغل بالعلة الدائمة عن ما كان يراعيه من الأمور الدينية اللازمة ، وانقطع إفصاحه عن بعض ما يجب للّه عز وجل في ذلك فرأي اعتزال ما كان إليه من هذا الأمر ، وتسليمه إلى ناهض به ، قائم بحقه ممن يرى له الرأي ، عقده له وأشهد بذلك طوعًا في يوم الأربعاء الثالث عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة)[2] ، وقيل بل إن الطائع هو من أرغمه على ذلك ، فروي أنه (دخل الأمير أبو بكر عبد الكريم على أبيه المطيع للّه وسامه خلع نفسه فرأى الجدّ منه وخاف على نفسه من القتل فخلع نفسه وسلّم الأمر إلى ولده ، ولم ينله سوء في بدنه ولا في حرمته)[3] ، وقيل إن سبكتكين لما رأى منه مرضه دعاه إلى خلع نفسه لابنه الطائع[4].

إلا أنه عوفي بعد ذلك أيضاً ، وبقي حتى توفي في ثمان بقين من محرم سنة ٣٦٤هـ /٩٧٤م في دير العاقول وحُمل إلى بغداد ودفن في تربة والده المقتدر بالرصافة[5].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٠٥/١٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٧/٢٦.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٤/١٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن السمناني، روضة القضاة، ١٥١٥/٤ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٢٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٢٨/٢٦.

(٣) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٧٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣١٨/٧ ؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص ٢٨٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥٣/٢٦ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢٨٨/١ ؛

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٥٦/١٤ ؛ ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص ٢١٦ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢٤١/١٤ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٢٤.

٢٦ - الطائع لله

(٣١٧ - ٣٩٣ هـ/٩٢٩ -١٠٠٢ م)

أبو بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الرابع والعشرون من الخلفاء العباسيين ، أمه أم ولد رومية اسمها عتب أدركت خلافته ، وقيل: هزار ، وقيل: غيث ، ولد سنة٣١٧ هـ/٩٢٩م نزل له أبوه عن الخلافة لثلاث عشرة ليال خلت من ذي القعدة سنة٣٦٣ هـ/م وعمره آنذاك ثلاث وأربعون سنة ، وقيل ثمان وأربعون ، وقيل خمسون ، ولم يل الأمر قبله أكبر سناً منه ، ولا من له أب حيٌ سوى أبو بكر الصديق(رضي الله عنه) والطائع ، وخُلع منها في التاسع من شعبان سنة ٣٨١هـ/٩٩١م ، وبقي بعد ذلك حتى توفي ليلة عيد الفطر من سنة٣٩٣ هـ/١٠٠٢م[١] ، ولم يل الخلافة من اسمه عبد الكريم غيره[٢].

صفته وبعض أقواله :

قال الخطيب البغدادي رأيت الخليفة الطائع لله(مربوعاً كبير الأنف ، وكان أبيض أشقر حسن الجسم)[٣].

كما وصف الطائع بأنه(أبيض ، أشقر حسن الجسم ، شديد القوة ، وفي رواية: أنه كان في دار الخلافة أيل عظيم ، فكان يقتل بقرنه الدواب والبغال ، ولا يتمكن أحد

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٥٩/١٢ ؛ ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص ٢١٥ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٧٩، ١٨٢ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٥/١٤ ؛ ابن دحية ، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٢٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٨٦/٢٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣١٣/١١.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣١٣/١١.

(٣) تاريخ بغداد، ٢٥٩/١٢ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٨٦/٢٧.

من مقاومته فاجتاز الطائع للّه فرآه وقد شق راويه فقال للخدم: أمسكوه ، فسعوا خلفه حتى ألجئوه إلى مضيق ، وبادر الطائع فأمسك قرنيه بيديه ، فلم يقدر أن يخلصهما وهرب ، واستدعى بنجار فقال: ركب المنشار عليهما ، ففعل ، فلما بقيا على يسير قطعهما بيده وهرب الإيل على وجهه ، وسقطت فرجية الطائع ، عن كتفيه ، فتطأطأ بعض الخدم ليرفع الفرجية ، فنظر إليه بمؤخر عينه منكرًا لفعله ، فتركها ومضى الطائع ، وبقيت الفرجية إلى آخر النهار لا يجسر أحد على تحريكها من موضعها ، فلما أراد النجار الانصراف حضر خادم وقال: خذ هذه الفرجية ، فأخذها وكانت من الوشي القديم ، فباعها بمائة وسبعين دينارًا)[1].

وفاته:

خُلع الخليفة الطائع يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة٣٨١ هـ /٩٩١م ، وسببه أن بهاء الدولة البويهي[2] احتاج للمال فزين له بعض حاشيته القبض على الخليفة وهون عليه ذلك ، (فدخل عليه بهاد الدولة ومعه جمع كثير ، فلمّا دخل قبّل الأرض ، وأجلس على كرسي ، فدخل بعض الديلم كأنّه يريد أن يقبّل يد الخليفة فجذبه ، فأنزله عن سريره ، والخليفة يقول: إنَّا للَّه وَإنَّا إلَيْه راجعُونَ! وهو يستغيث ولا يُلتفت إليه ، وأخذ ما في دار الخليفة من الذخائر فمشوا به في الحال ، ونهب الناس بعضهم بعضاً ،... ، ولمّا حُمل الطائع إلى دار بهاء الدولة أشهد عليه بالخلع ،... ، وحمل إلى القادر باللّه لمّا ولي الخلافة ، فبقي عنده إلى أن توفّي)[3] ، وروي أن القادر بالله كان يحسن إلى الطائع ويؤتى إليه بكل ما يطلبه حتى وفاته[4] ،

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٥/١٤ ؛ ينظر أيضا: ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٢٦ -١٢٧.

(٢) هو أبو نصر فيروز بن عضد الدولة تولى إمارة البويهيين أربع وعشرين سنة، وكانت وفاته سنة ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢ م، ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٩٥/١٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٤٢/٧ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/٢٧ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢٩٩/١ ؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٣٠٨/٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٥٢/٢ - ٣٥٣ ؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ١٥٩/٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٥٤/٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٣/٢٧.

وكانت وفاته في ليلة عيد الفطر سنة ٣٩٣ هـ/١٠٠٢ م وصلى عليه القادر بالله وكبر عليه خمساً وحُمل إلى الرصافة ودفن ليلاً [١] ، قال الذهبي: وعمره ثلاث وسبعون سنة[٢] ، ولكن حسب ولادته ووفاته يكون عمره ست وسبعون سنة ، قال ابن كثير: توفي عن خمس أو ست وسبعين سنة [٣] وهو الراجح.

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٥٩/١٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٤٣/٧.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٨٨/٢٧ ؛ ينظر أيضاً: اليافعي، مرآة الجنان، ٣٣٦/٢ ؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٢٠٨/٤.

(٣) البداية والنهاية، ٣٨١/١١.

٢٥ - القادر بالله

(٣٣٦ – ٤٢٢ هـ/٩٤٧ -١٠٣٠ م)

أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الخامس والعشرون من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمة تسمى تمني ، وقيل: دمنة ، وصفت بأنها كانت من أهل الدين ، ولد في صفر أو ربيع الأول سنة٣٣٦هـ/٩٤٧م وتوفيت أمّه في خلافته في شعبان سنة٣٩٩هـ/١٠٠٨م ، بويع له بالخلافة في يوم السبت التاسع عشر من شعبان سنة٣٨١هـ/٩٩١م وهو في البطائح[1] ، وكان سبب ذهابه إلى هناك أنه لما توفي والده إسحاق بن المقتدر سنة٣٧٧هـ/٣٨٧م جرى خلاف بين القادر وأخته حول ضيعة ووافق ذلك أن تعرض الخليفة الطائع لله إلى علة فوشت أخته إلى الخليفة أن أخاها القادر شرع في تولي الخلافة عند مرضه فطلبه الخليفة إلا أن القادر فرّ من بغداد إلى البطائح عند صاحبها مهذب الدولة [2] ، وتوفي في الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م وكانت مدة خلافته إحدى وأربعون سنة ، ولم يبلغ قبله هذا القدر في الخلافة أحد غيره[3].

---

(١) البطائح أرض واسعة بين واسط والبصرة، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٤٥٠/١.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٨/١٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٣٠/٧ ؛ ومهذب الدولة هو أبو الحسن علي بن نصر تولى إمارة البطائح للمدة من سنة ٣٧٦ – ٤٠٨ هـ/، ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ١٢٩/١٥ -١٣٠ ؛ السلمي، إمارة البطائح العربية، ص ١٠١ -١١٤.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٦١/٥ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٨٣، ١٨٦ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٥٣/١٤ ؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص ٢٨٠ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠٦/٢٣، ٢١٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٧٧/٢٩ -٧٨ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٥٠/٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٩/١٢ ؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٢٧٥/٤.

زوجاته وأولاده:

تزوج سكينة بنت بهاء الدولة البويهي وأصدقها مائة ألف دينار[1] فتوفيت قبل الدخول بها[2] ، أما أولاده ، قال ابن حزم: (فولد أبي العباس القادر أمير المؤمنين: عبد الكريم ، الغالب بالله ، مات في حياة أبيه ، وقد كان ولّاه عهده ، وعبد الله أبو جعفر ، القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، وهو الخليفة الآن ، ولا أعرف للقادر ولداً غيرهما)[3] ، وله أيضاً أبو القاسم بن القادر توفي في خلافة أبيه سنة٤١٨ هـ/١٠٢٧م[4] ، وله من الإناث ابنة اسمها مريم تزوجها السلطان طغرلبك السلجوقي وهي في السبعين من عمرها[5] ، وقيل له بنت أخرى اسمها فاطمة توفيت سنة٤٤٨ هـ/١٠٥٦م[6].

صفته وبعض أقواله:

ذكر الخطيب البغدادي الخليفة القادر وكان معاصراً له بقوله: (رأيت القادر بالله دفعات ، وَكَانَ أبيض حسن الجسم ، كث اللحية طويلها ، يَخْضب ، وَكَانَ من الستر والديانة وإدامة التهجد بالليل ، وكثرة البر والصدقات على صفة اشتهرت عَنْهُ وعرف بها عند كل أحد ، مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد ، وَكَانَ صنف كتاباً فِي الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث وأورد فِي كتابه فضائل عُمَر بْن عَبْد العزيز ، وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن ، وَكَانَ الكتاب يقرأ كل جمعة فِي حلقه أصحاب الحديث بجامع المهدي ويحضر الناس سماعه)[7] ، وذكر ابن تغري برى أن صنف كتباً كثيرة منها فضلاً عن كتاب فضائل الصحابة أعلاه: كتاب في أصول الدين ، وكتاب كفر القائلين بخلق القرآن[8].

---

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٨٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٦١/٧

(٢) النويري، نهاية الأرب، ٢١٠/٢٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٥/٢٧ ؛ ابن تغري ردى،النجوم الزاهرة،

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ٣١.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ١٨٨/١٥ ؛ ابن كثير، ٣٠/١٢.

(٥) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٩٨ -١٩٩.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ١١/١٦.

(٧) تاريخ بغداد، ٦١/٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٣٥٤/١٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧٤٥/٧ ٧٤٥/٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣/٢٧ ؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٣٣/٣ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٨٦.

(٨) النجوم الزاهرة، ٢٧٦/٤.

كما وصف القادر بأنه كان (طلق النفس واسع المعروف معروفا بالعدل والزهد ، شائع الخير في الخلق ، لم تعرف له زلّة مذ ولي الخلافة)[1] ، وكان يلبس زي العوام ويقصد الأماكن المعروفة بالبركة[2].

ووصفه ابن السمناني بالقول: (كان ورعاً زاهداً صالحاً متواضعاً محبوباً إلى كل أحد طال عمره في النظر وزاد عمر كل خليفة تقدم قبله ونضرت الدولة بدينه وشهامته وعفته وكرمه وما تجدد في أيامه يحتاج إلى كتاب مفرد ربما كان أكبر من هذا الكتاب)[3].

ومن سيرته في الزهد والتقرب إلى الناس ماروي أنه كان(يقسم الطعام الذي يهيأ لإفطاره ثلاثة أقسام ، فقسم يتركه بين يديه ، وقسم يحمل إلى جامع الرصافة ، وقسم إلى جامع المدينة ، فيفرق على المجاورين ، فاتفق أن الفراش حمل إلى جامع المدينة جونة فيها طعام ءففرقه على المنقطعين فأخذوا إلاّ شاباً فإنه رد ذلك فلما صلوا صلاة المغرب صلى الفراش معهم ، فرأي ذلك الشاب ، قد خرج من الجامع فتبعه فوقف على باب فاستطعم فأطعموه كسيرات ، فأخذها وعاد إلى الجامع فتعلق به الفراش ، وقال: ويحك ألا تستحي ، ينفذ إليك خليفة الله في أرضه بطعام حلال فترده وتخرج فتستطعم من الأبواب ، فقال: والله مارددته ، إلاّ لأنك عرضته عليَّ قبل الإفطار وكنت غير محتاج إليه حينئذ ، فلما جاء وقت الإفطار استطعمت عند الحاجة فعاد الفراش ، فأخبر القادر فبكى ، وقال له: راع مثل هذا واغتنم أجره وأقم إلى وقت الإفطار وادفع إليه ما يفطر عليه)[4].

وامتدحه ابن دحية بقوله: (صحب العلماء ، ورفض الدنيا ، ولم ينازع فيها ، ولم يدخر دينارا ولا درهما ، ولم يرد سائلا ، وأكرم أهل الحديث وأهله ومنحهم عطاءه

---

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٨٦ -١٨٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧/٧٤٥

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ١٤/٣٥٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧/٧٤٥ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣/٢٧ ٣/٢٧

(٣) روضة القضاة، ٤/١٥١٦.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ١٤/٣٥٥ ؛ ينظر أيضاً: : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧/٧٤٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٢١٦ -٢١٧.

وبذله)[1].

وكان الخليفة القادر بالله فضلاً عن تأليفه كتاب فضائل الصحابة فإنه كان يقول الشعر ، ومن شعره في الزهد وذم الدنيا قوله:

سبق القضاء بكل ما هو كائن	والله يا هذا لرزقك ضامن
تغني بما تكفى وتترك ما به	تعيا كأنك للحوادث آمن
أوما ترى الدنيا ومصرع أهلها	فاعمل ليوم فراقها يا خائن
واعلم بأنك لا أبا لك في الذي	أصبحت تجمعه لغيرك خازن
يا عامر الدنيا أتعمر منزلا	لم يبق فيه مع المنية ساكن
الموت شيء أنت تعلم أنه	حق وأنت بذكره متهاون
إن المنية لا تؤامر من أتت	في نفسه يوماً ولا تستأذن[2]

وقد غمزه ابن فضل الله العمري بوصف خالف فيه بقية المصادر في سيرته بقوله: (كان في صباه مقصوراً على جوب وهيام ، وحور مقصورات في الخيام ، له كلف بالجواري والعذارى الهيف ، ذات كل ردف ثقيل وخصر لطيف ، وله بكؤوس المدام اهتمام ، وبكوب السابقين إلى حل الغرام التيام ، وبما ينفق من عمره من غير الندام اغتمام ، فكان لا يبرح صريع جام ملآن ، أو في استجمام لرحيق ريق فلانة أو أمّ فلان ، فما نهضت له قط كلمة ، ولا قط بالسيف رأس عدوه ولا قلمه ، فكان مدة ولايته لا يضر ولا ينفع ، لا ولا يرشح ، لأنه يأمر لا ولا أن يشفع ، فما كان على شيء كما قال قادراً ، ولا وفياً ولا غادراً ، ثم مات حتف أنفه ، ولا شكر الناس من لينه ، ولا شكوا من عنفه)[3].

وفاته:

قال الخطيب البغدادي وكان شاهد عيان: (توفي القادر بالله فِي ليلة الاثنين الحادي

---

(1) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٢٧.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٥٦/١٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧٤٦/٧ -٧٤٧.

(3) مسالك الأبصار، ٢٧٤/٢٤.

عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة ، ودفن ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء فِي دار الخلافة بعد أن صلى عَلَيْهِ أبنه أمير المؤمنين القائم بأمر اللَّه ظاهراً وعامة الناس وراءه وكبر عَلَيْهِ أربعاً فلم يزل مدفوناً فِي الدار حتى نقل تابوته وحمل فِي الطيار ليلاً إِلَى الرصافة فدفن بها ، وذلك فِي ليلة الجمعة لخمس خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وأربع مائة وشاهدت ذلك ، فكان مبلغ عُمَر القادر بالله ستاً وثمانين سنة وعشرة أشهر وأحد وعشرين يوماً)[1].

(١) تاريخ بغداد، ٦١/٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٠/١٥ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤١٧/١١.

٢٨ - القائم بأمر الله

(٣٩١ – ٤٦٧ هـ/١٠٠٠ -١٠٧٤ م)

أبو جعفر عبدالله بن أحمد القادر بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، السادس والعشرون من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد أرمينية اسمها بدر الدجى ، وقيل قطر الندى ، وقيل: علم ، أدركته وتوفيت سنة٤٥١هـ/١٠٥٩م ، ولد في الثامن عشر من ذي الحجة سنة٣٩١هـ/١٠٠٠م وبويع بالخلافة يوم الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة٤٢٢ هـ/١٠٣٠م وسنه إحدى وثلاثين سنة ، وتوفي في الثالث عشر من شعبان سنة٤٦٧ هـ/١٠٧٤م ، وكانت مدة خلافته خمس وأربعون سنة وعمره وقيل خمس وأربعون سنة[١].

زوجاته وأولاده:

تزوج الذخيرة والسيدة فولت له محمد والد المقتدي توفيت سنة٤٧٨هـ/١٠٨٥م[٢] ، كما تزوج أرسلان خاتون وأسمها خديجة بنت داود وهي بنت أخي السلطان طغرلبك[٣] ، وله من البنين أبو العباس محمد والد المقتدي ولد سنة٤٣١هـ/١٠٣٩م وهو ولي عهده وتوفي في حياة أبيه سنة ٤٤٧ هـ/١٠٥٥م[٤] ، ومن الإناث ابنة تزوجها

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم١٥/١٧؛ ابن السمناني، روضة القضاة١٥١٧/٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٥١/٨؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٣٦؛ النويري، نهاية الأرب٢١٩/٢٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ١٤/١٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ١٣/٢٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٩٢، ٤٩٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٥٣/١٦.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ٢٢١/٢٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٤/٣٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧٩٦/٧، ٧٣/٨، ٢٥٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٢/٣٠.

طغرلبك السلجوقي وتوفيت٤٩٨ هـ/١١٠٤م[١].

صفته وبعض أقواله :

وصف الخليفة القائم بأنه كان(جميلاً ، مليح الوجه ، أبيض ، مشرباً حمرة ، حسن الجسم ، زرعاً ، ديّناً ، زاهداً ، عالماً ، قويّ اليقين باللّه تعالى ، كثير الصبر ، وكان للقائم عناية بالأدب ، ومعرفةٌ حسنة بالكتابة ، ولم يكن يرتضي أكثر ما يكتب من الديوان ، فكان يصلح فيه أشياء ، وكان مؤثراً للعدل والإنصاف يريد قضاء حوائج الناس ، لا يرى المنع من شيء يطلب منه)[٢].

وقال عنه ابن الطقطقي: (كان القائم من أفاضل خلفائهم وصلحائهم ، وطالت مدّته في الخلافة وزاد به وقار الدّولة ونمت قوّتها ، وفي أيّامه انقرضت دولة بني بويه ، وظهرت دولة بني سلجوق)[٣].

وكان القائم يقول الشعر ومن شعره عندما خرج من بغداد أثناء فتنة البساسيري[٤] قوله:

ساءت ظُنُونِي فِيمَنْ كُنْتُ آمُلُهُ	**وَلَمْ يَجُلْ ذِكْرُ مَنْ وَالَيْتُ فِي خَلَدِي**
تَعَلَّمُوا مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ كُلُّهُمُ	**فَمَا أَرَى أَحَدًا يَحْنُو عَلَى أحد**
فما أرى من الأيام ألا موعداً	**فمتى أرى ظفري بِذَاكَ الْمَوْعِدِ**
يَوْمِي يَمُرُّ وَكُلَّمَا قَضَّيْتُهُ	**عَلَّلْتُ نفسي بالحديث إلى غد**
أقبح بِنَفْسٍ تَسْتَرِيحُ إِلَى الْمُنَى	**وَعَلَى مَطَامِعِهَا تَرُوحُ وَتَغْتَدِي[٥]**

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٨٤/١٧ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٤١.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٥٢/٨ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٤٠/٢٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ٢٢٧/٣١ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٩٢.

(٣) الفخري، ص ٢٨١.

(٤) أبو الحارث أرسلان البساسيري التركي من مماليك بهاء الدولة البويهي كان مقدماً عند الخليفة القائم ولكنه مال إلى الفاطميين وخطب لهم في بغداد مما اضطر الخليفة إلى الهرب منها، ما جعل طغرلبك يرسل قواته إلى بغداد حتى قتل البساسيري وأعادوا الخليفة وذلك سنة ٤٥١ هـ/١٠٥٩ م، ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٥٦/١٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢٦/٢٣ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٣/١٢ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ٣٣٤/١ -٣٣٥.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية٩٧/١٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن الجوزي،المنتظم ٣٦/١٦ ببعض اختلاف اللفظ.

ومن شعره أيضاً:

قالوا: الرحيل، فأنشبت أظفارها … في خدّها وقد اعتلقن خضابا

واخضرّ تحت بنانها فكأنما … غرست بأرض بنفسج عنّابا[1]

ومن شعره أيضا:

يَا أكْرم الأكرمين العفو عن غرقٍ … فِي السَّيِّئَات لَهُ وردٌ وإصدار

هَانَتْ عَلَيْهِ مَعَاصيه الَّتِي عظمت … علما بأنك للعاصين غفار

فَامْنُنْ عَليّ وسامحني وَخذ بيَدي … يَا من لَهُ الْعَفو والجنات وَالنَّار[2]

وقوله أيضاً:

سهرنا على سنة العاشقين … وَقُلْنَا لما يكره الله نم

وَمَا خيفي من ظُهُور الورى … إِذا كَانَ رب الورى قد علم[3]

وقوله أيضاً:

جمعت عَليّ من الغرام عجائبٌ … خلفن قلبي فِي إسارٍ موحش

خلٌ يصد وعاذلٌ متنصحٌ … ومعاندٌ يُؤْذِي ونمامٌ يشي[4]

ألقابه:

لقب بالقائم بأمرالله من قبل والده القادر عند توليته العهد[5] ، ويكنى أبا جعفر[6].

وفاته:

ذكر ابن دحية أن الخليفة لما رجع إلى بغداد سنة ٤٥١ هـ/١٠٥٩ م بعد فتنة البساسيري[7] (لم يتجرد في فراش من ثيابه ، ولم يتم على غير مصلاه الذي فيه ،

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ٢٤١/٢٣ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٥/١٧.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٧/١٥.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٧/١٥.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٧/١٥.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٧/١١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٢٦/٣١.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ٢١٦/١٥، ٢١٧، ١٦٨/١٦.

(٧) ينظر عن فتنة البساسيري وخرج الخليفة من بغداد ورجوعه إليها: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٧/١١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٦/ ٣١ -٨٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٥٣/٨ -١٥٧.

وكان يكثر الصيام ، وسننه أنه سمع خطيب يوم الجمعة يقول: اللهم أصلح عبدك وخليفتك الإمام الصوّام القوّام ، فقال مجيباً له: والله لا كذبتك فكان يصوم النهار ويقوم الليل ولا يمسك من المال سوى قوته خاصة وقوت عياله ، وكان قد اعتزلهنّ ، وترك أكل اللحم لئلا يحرك عليه شهوة تدعوه إليهنّ ، ويفرق الأموال في جميع الناس وخصوصاً في أهل العفاف والستر ، وعفا عن كل من آذاه بيد أو لسان ، وأفرد بيتاً للعبادة وتوفيّ على خير حالاته)[1].

وفي صفر من سنة ٤٦٧ هـ/١٠٧٤ م مرض الخليفة القائم مرضاً شديداً وانتفح حلقه ، فأحضر الطبيب وفصده فحسُنت حاله ، ثم عادت حاله في يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب ، ففصد من ذلك المرض ، وكان ذلك المرض يعتاده ، فنام بعد الفصد فأنفج فصاده وانتبه ، وقد مضت القوة ووقع اليأس منه وكثر الإرجاف به ، واستمرت حاله في الضعف حتى توفي في ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان من السنة أعلاه ، وكان عمره أربعاً وسبعين سنة وثمانية أشهر ، ووصى أن يغسله عبد الخالق بن عيسى الهاشمي العباسي ، ودفن في دار الخلافة ثم نقل تابوته سنة٤٦٩ هـ /١٠٧٦ م إلى تربة الرصافة ليلاً ودفن هناك[2].

(١) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٤٣ ؛ ينظر أيضا: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٩٣.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم ، ١٦/١٦١، ١٦٣، ١٦٨، ١٨١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨/٢٥١ -٢٥٢ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٤٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٢٤٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣١/٢٢٧ -٢٣١ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ١/٣٦٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/١٣٤ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٩٧.

٢٩ - المقتدي بأمر الله

(٤٤٨ -٤٨٧ هـ/١٠٥٦ -١٠٩٤ م)

أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن عبد الله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، السابع والعشرون من الخلفاء العباسيين ، توفي أبوه وأمّه حامل فيه في حياة جده الخليفة القائم بأمر الله فولد بعد وفاة أبيه بستة أشهر في يوم الأربعاء الثامن من جماد الأولى سنة ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م وسماه جده عبد الله ، أمّه أمّ ولد أرمنية ، وقيل رومية ، وقيل: حبشية تسمى أرجوان وتلقب بقرة العيون ، وقيل علم ، وقيل شراب ، أدركت خلافته وخلافة ابنه وابن ابنه ، وكانت تقيّة زاهدة صوّامة كثيرة المروءة والصدقة محبّة لأهل الستر والصلاح وتوفيت سنة٥١٢ هـ/١١١٨ م ، وعندما قامت فتنة البساسيري في بغداد كان عمره أربع سنوات فستره أهله ثم ذهبوا به إلى حران لأنه ليس للخليفة القائم ولد غيره يرثه فلما أعيد القائم بعد مقتل البساسيري أعيد المقتدي وولاه العهد ، ثم بويع بالخلافة في يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان سنة٤٦٧هـ/١٠٧٤م ، وتوفي في الرابع عشر من محرم سنة٤٨٧ هـ/١٠٩٤م وعمره ثمان وثلاثين سنة ومدة خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر[1].

---

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ١٤١، ١٧٣ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢٠١، ٢٠٥ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٦ / ١٦٤ -١٦٥، ١٤/١٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٤٥/٨، ١٦٨، ٢٥٣، ٣٧٧ ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ١٩٢ ؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، ٤٥٢/٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٤٢/٢٣ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٢٠٤/١ ؛ الذهبي، العبر، ٢٩١/٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٥/١٢ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٩٩.

زوجاته وأولاده:

تزوج خاتون بنت ملك شاه السلجوقي سنة٤٨٠هـ/١٠٨٧ م ، وكان عند خطبتها اشترط عليه: (ألا يتسرى عليها ، ولا يبيت إلا عندها)[١] ، وفي زفافها (أمر الناس بتعليق وتزيين البلد لأجل زفاف خاتون بنت ملك شاه إلى المقتدي ، وكان الزفاف في مستهل صفر ، ونقل الجهاز على مائة وثلاثين جملاً ، وبين يديه البوقات والطبول والخدم في نحو ثلاثة آلاف فارس ، ونثر عليه بغداد ، ثم نقل بعد ذلك شيء آخر على أربعة وسبعين بغلاً ، وكان على ستة منها الخزانة وهي اثنا عشر صندوقا من فضة ، وبين يديها ثلاثة وثلاثون فرساً ، والخدم والأمراء بين يدي ذلك... فلما كان يوم السبت مستهل صفر صبيحة البناء أحضر الخليفة عسكر السلطان على سماط استعمل فيه أربعون ألفا منّا سكراً)[٢] وماتت بالجدري سنة ٤٨١ هـ/١٠٨٨م[٣].

أما أولاده فكانوا سبعة[٤] ، وهم: أبو العباس أحمد أمّه أم ولد وهو الخليفة المستظهر[٥] كانت ولادته سنة ٤٧٠ هـ/١٠٧٧م[٦] ، وابن اسمه محمد توفي بالجدري في حياته سنة٤٨٠ هـ/١٠٨٧ م[٧] ، كما له أبو الفضل جعفر أمّه خاتون بنت ملك شاه[٨] ولد سنة٤٧٢ هـ/١٠٧٩م[٩] وتوفي في حياة أبيه وله من العمر ست سنين[١٠] ، وهارون بن المقتدي توفي سنة ٥٥٠ هـ/١١٥٥م[١١] ، وله ولد اسمه موسى بن المقتدي ولد سنة ٤٧٢هـ /١٠٧٩م[١٢] ، وأبو أحمد وأبو علي[١٣].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١/٣٢.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٦٨/١٦ -٢٦٩ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٤/٣٢ -٣٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٨١/١٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٨/٨

(٤) ابن واصل مفرج الكروب، ٦٢/١.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ١٢/١٧.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٣/١٢.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٧٣/١٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٤/١٢.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٨١/١٦.

(٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٧/١٢.

(١٠) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/١٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٧٤/٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٢/٣٣.

(١١) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠٤/١٨ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٤/١٢.

(١٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٧٣/٨.

(١٣) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ١٤٤/٥.

صفته وبعض أقواله:

وصفه ابن الجوزي بالقول: (كان المقتدى من رجال بني العباس، له همة عالية وشجاعة وهيبة، وفي زمانه قامت حشمة الدولة)[١]، وقال عنه ابن القلانسي: (كان حسن حسن السيرة جميل السريرة)[٢]، وقال عنه ابن العمراني: (كان المقتدى بأمر الله شهماً شجاعاً ذا بصيرة وجدّ، وكان يرجع إلى فضل وافر وعقل كامل)[٣]، وقال عنه ابن كثير: كثير: (كان غاية الجمال خَلقاً وخُلقاً)[٤]، وأضاف: (كان المقتدي أبيض حلو الشمائل)[٥].
الشمائل)[٥].

ووصف ابن الأثير عهده وسيرته بقوله: (وكانت أيّامه كثيرة الخير، واسعة الرزق، وعظمت الخلافة أكثر ممّا كان من قبله، وانعمرت ببغداد عدّة محالّ في خلافته منها: البصليّة، والقطيعة، والحلبة، والمقتدية، والأجمة، ودرب القيار، وخربة ابن جردة، وخربة الهرّاس، والخاتونيّتين، وأمر بنفي المغنّيات والمفسدات من بغداد، وبيع دورهنّ، فنفين، ومنع الناس أن يدخل أحد الحمّام إلا بمئزر، وقلع الهراديّ، والأبراج التي للطيور، ومنع من اللعب بها لأجل الاطّلاع على حرم الناس، ومنع من إجراء ماء الحمّامات إلى دجلة، وألزم أربابها بحفر آبار للمياه، وأمر أنّ من يغسل السمك المالح يعبر إلى النّجمي فيغسله هناك، ومنع الملّاحين أن يحملوا الرجال والنساء مجتمعين، وكان قويّ النفس، عظيم الهمّة من رجال بني العبّاس)[٦].

كما وصفه ابن فضل الله العمري بقوله: (وكان المقتدي ممن يرتاح للندى، ويلتاح نجم هدى، وله هدي مأثور، يفاوح أرج المنشور، كأنه بالعنبر نسخ، وبرشاش ماء الورد نفخ، يؤثر الخير ولا يلتقي عليه مساعدا، ويؤثر الجود ولا يخلف عليه مواعدا،

---

(١) المنتظم، ١٦/١٥٦.

(٢) تاريخ دمشق، ص ٢٠٦.

(٣) الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢٠١.

(٤) البداية والنهاية، ١٢/١٣٥.

(٥) البداية والنهاية، ١٢/١٨٠.

(٦) الكامل في التاريخ، ٨/٣٧٨ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٣/٢١١.

ويقارب حال السلف ولا يكون مباعدا ، ويقارن هام الغمام ولا يقدم راعدا)[1].

وعند بيعته قام أحد الفقهاء وهو الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي ببيعته وقال:

(إذا سيد مضى قام سيد ثم ارتج عليه فقال المقتدي: قؤول لما قال الكرام فعول)[2].

وكان الخليفة المقتدي محباً للعلوم مكرماً لأهلها ، قال عنه ابن الفوطي: كان بليغاً له شعر[3] ، ومنه قوله:

رَدْتُ صَـفَاءَ العَـيْشِ مَـعَ مَـنْ أُحبّـه	فَحَـــاوَلنِي عَمَّـــا أَرُوم مَرِيْـــدُ
وَمَا اخْتَرْتُ بَتَّ الشَّمْلِ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ	وَلَكِنَّـــهُ مَهْمَـــا يُرِيْـــد أُريـــد[4]

وله أيضاً:

أمـا والـذي لـو شـاء غـير مـا بنـا	فـأهوى بقـومٍ في الثريـا إلى الثـرى
ويـدلنا مــن ظلمــة الجـور بعـدما	دجا ليلها صبحاً من العدل مسفرا
لـئن نظـرت عـيني إلى وجـه غيـره	فـلا صـافحت أجفانهـا لـذَّة الكـرى
وإن تسـعَ رجلـي نحـو غـيرك أو سَعتْ	فــلا أمِنَــتْ مــن أن تَــزِلَّ وتعثــرا
فـواللهِ إنِّـي ذلـك المخلـص الـذي	عزيــزٌ علــي الأيّــام أن يتغيــرا[5]

ومنه قوله:

إنّ مــن شـتّت الجميـع مـن الشّـمل	قـــدير بـــأن يجمـــع أهـــلا
لســت مستيئســا وإن طــال هجــر	ربّ هجـــر يكـــون عقبـــاه وصـــلا
وإذا أعقـــب الوصـــال فـــراق	كـان ذاك الوصـال في القلـب أحلـى[6]

ألقابه :

---

(١) مسالك الأبصار، ٢٧٨/٢٤.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٨/٣١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٥/١٢.

(٣) مجمع الآداب، ٤٥٢/٦.

(٤) عماد الدين الاصبهاني، خريدة القصر، ٢٦/١ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٤٤/١٣.

(٥) عماد الدين الاصبهاني، خريدة القصر، ٢٦/١ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٢٠/٢.

(٦) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٨٨.

عندما ولد في حياة جده القائم وبعد وفاة أبيه سماه عبدالله وكناه أبا القاسم ولقب بعدة الدين وعمدة الإسلام والمسلمين ، ثم لقبه جده بالمقتدي بأمر الله وولاه العهد بعد عودته إلى بغداد بعد مقتل البساسيري[1] وبلوغه الحلم[2].

وفاته:

في يوم الأربعاء الرابع عشر من محرم (قدم السلطان بركيارق بن ملك شاه بغداد تقرر مع الخليفة المقتدي بأن يحمل السلطان إليه المال الذي ينسب إلى البيعة ، وأن يخطب له بالسلطنة على رسم أبيه ، وتقدم الخليفة إلى أبي سعد بن الموصلايا كاتب الإنشاء أن يكتب عهده ، فكتب ورتبت الخلع وذلك يوم الجمعة رابع عشر محرم ، وحمل العهد إلى الخليفة يوم الجمعة فوقع فيه ، وتأمل الخلع ، ثم قدم إليه الطعام فتناول منه وغسل يده ، وأقبل على النظر في العهد وهو أكمل ما كان صحة وسروراً وبين يديه قهرمانته شمس النهار فقال لها: من هذه الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن؟ قالت: فالتفت فلم أر أحداً ، ورأيته قد أتغيرت حالته استرخت يداه ورجلاه ، وانحلت قواه ، وسقط إلى الأرض فظننتها غشية لحقته ، ومرة غلبته ، فحللت إزرار ثيابه فوجدته لا يجيب داعياً ، فحققت موته)[3] ، وفي رواية أخرى عن فتاته شمس النهار أنه(أُحضِر إليه تقليد السلطان بَرْكَيارُوق ليُعلّم عليه ، فقرأه وعلّم عليه ، ثمّ تغدّى وغسل يديه ، وعنده فتاته شمس النّهار ، فقال لها: ما هذه الأشخاص قد دخلوا بغير إذْن؟ ، قالت: فالتفتُّ ، فلم أَرَ شيئاً ، ورأيته قد تغيّر حالُه ، واسترخت يداه وسقط ، فظَننتُ أنّه غُشِي عليه ، ثمّ تقدَّمتُ إليه ، فرأيت عليه دلائلَ الموت ، فقلت لجارية عندي: ليس هذا وقت النَّعي ، فإنْ صحّت قتلتُك ، وأحضرتُ الوزير ، فأخبرته ، فأخذوا في البيعة لولده المستظهر باللَّه أحمد)[4] ، وهذه الرواية تثير الشكوك حول دور فتاته شمس النهار ، ولهذا علق الذهبي عليها بقوله: (وقيل: إن جاريته

---

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ١٧٣ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٩٠.
(٢) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١٩١/١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٩/٣١.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠/١٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٧٧/٨ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٥٢/٢٣ ؛ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٠/١٢ ؛ العصامي المكي، سمط النجوم، ٥٠١/٣.
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢١١/٣٣ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٧٩/٢٤.

سمته)[1] ، ومما يرجح ذلك قال ابن كثير: (وأخفي موته ثلاثة أيام حتى توطدت البيعة لابنه المستظهر ، ثم صلى عليه ودفن في تربتهم)[2] ، والراجح أن جاريته سمته بالتواطيء مع السلطان السلجوقي بركيارق بن ملك شاه بعد أن وقع على كتاب إقراره على السلطنة ، ولهذا علق ابن كثير على ذلك بقوله: إن بركيارق لم يحضر جنازته[3] ، قال ابن الجوزي: توفي فجأة ليلة السبت الخامس عشر من محرم سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤ م وكان عمره ثمانية وثلاثون سنة[4] وقيل تسعة وثلاثون سنة[5] ، وهو الراجح لأن ولادته كانت سنة ٤٤٨ هـ/١٠٥٦م.

---

(١) تاريخ الإسلام، ٢١٢/٣٣ ؛ ينظر أيضا: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٠٢ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٧٣/٥.

(٢) البداية والنهاية، ١٨٠/١٢.

(٣) البداية والنهاية، ١٨٠/١٢.

(٤) المنتظم، ١٤/١٧ ؛ تلقيح فهوم أهل الأثر، ص ٦٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٢٠٦ ؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٨٥ ؛ الذهبي، العبر، ٣٥٣/٢ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٢٠٤/١ ؛

(٥) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٥.

٣٠ - المستظهر بالله

(٤٧٠ – ٥١٢ هـ/ ١٠٧٧ -١١١٨م)

هو أبو العباس أحمد بن عبد الله المقتدي بن ذخيرة الدين محمد بن عبد الله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الثامن والعشرون من الخلفاء العباسيين ، أمّه أم ولد ، ولد في التاسع عشر من شوال سنة٤٧٠هـ/١٠٧٧م بويع له بعد أبيه يوم الثلاثاء الثامن عشر من محرم سنة٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م وهو في السادسة عشر من عمره ، وتوفي ليلة الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة٥١٢هـ/١١١٨ م وكانت خلافته ستاً وعشرين سنة[(١)].

زوجاته وأولاده

كانت له زوجة تدعى نزهة سوداء ذُكر أنها كانت أمّ ولده وتوفيت سنة٥٠٦هـ /١١١٢م[(٢)] ، كما تزوج الخليفة المستظهر سنة٥٠٢هـ/١١٠٨م ابنة السلطان ملكشاه[(٣)] ، كما تزوج جارية صفراء تسمى نسيماً ويقال لها ست السادة فولدت له ابنه محمد المقتفي[(٤)].

له العديد من الأولاد وهم: أبو منصور الفضل(المسترشد)ولد سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م[(٥)]

---

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣١٩ ؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٦ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٤٥ وقال: كانت خلافته خمسا وعشرين سنة.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢١٦/١٢.

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ٥٧٣/٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٤/٣٥.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦١/١٢.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ١٦٢/١٧ ؛

وخطب له بولاية العهد سنة٤٨٨هـ/١٠٩٥م[1] ، ومنهم أبو عبد الله محمد(المقتفي) وأبو طالب العباس[2] ، وأبو الحسن علي بن المستظهر الذي دعا لنفسه وجمع الأتباع وأخضع واسط ولقب نفسه بالمستنجد بالله إلا أن المسترشد استطاع هزيمته ثم عفا عنه وأحسن إليه[3] ، وإبراهيم وعيسى وإسماعيل[4].

صفته وبعض أقواله

كان المستظهر جميل الوجه حتى قيل لم ير في زمانه أصبح وجهاً منه ، ولما أراد أبو حامد الغزالي بيعته تلجلج وتوقف فقيل له في ذلك فقال لما: (وقعت عيني عليه بهتّ لجمال صورته فانقطع خاطري)[5].

قال ابن الجوزي: (كان كريم الأخلاق ، لين الجانب ، سخي النفس ، مؤثرا للإحسان ، حافظا للقرآن ، محبا للعلم ، منكرا للظلم ، فصيح اللسان)[6] ، كما وصف وصف بأنه كان قوي الكتابة جيد الأدب والفضيلة كريم الأخلاق[7].

كما وصف بأنه: (كان لين الجانب ، كريم الأخلاق يحب اصطناع الناس ، ويفعل الخير ويسارع في أعمال البر ، حسن الحظ ، جيد التوقيعات ، لا يقاربه فيها أحد ، يدل على فضل غزير ، وعلم واسع ، وسمحًا ، وجوادًا ، مُحبًا للعلماء والصالحين)[8].

وكان يقول الشعر وله شعر حسن ، منه قوله:

أذاب حر الهوى في القلب ما جمدا يوماً مددت على رسم الوداع يدا

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٩٧/٨ ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ١٩٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٢٨/٨.

(٣) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢١٢ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٦٢/١٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٢٩/٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٧٣/٣٥.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٢٨/٣٥.

(٥) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٦ ؛

(٦) المنتظم، ١٢/١٧

(٧) الذهبي، العبر في خبر من غبر ، ٣٩٩/٢ ؛ اليافعي، مرآة الجنان، ١٥٥/٣ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٠/١٢.

(٨) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٠٣.

فكيف أسلك نهج الاصطبار وقد أرى طرائق في مهوى الهوى قددا

قد أخلف الوعد بدر قد شغفت به من بعد ما قد وفى دهرا بما وعدا

إن كنت أنقض عهد الحب في خلدي من بعد هذا فلا عاينته أبدا[1]

ألقابه

عندما ولد سنة٤٧٠ هـ/١٠٧٧ م سماه أبوه أحمد وكناه أبو العباس ولقبه المستظهر[2] ، وقيل: لقبه أبوه بذخيرة الدين[3]

وفاته

توفي الخليفة المستظهر في السادس والعشرين من ربيع الأول وقيل ربيع الآخر من سنة٥١٢هـ/١١١٨م بعلة الاستسقاء[4] ، وقيل بل توفي بعلة التراقي فمرض ثلاثة عشر يوماً ثم توفي وعمره إحدى وأربعون سنة[5] ، وقيل بل توفي بعلة الخوانيق[6] وهي دمل دمل تطلع في الحلق[7] ، ودفن بدار الخلافة في حجرة كان يألفها[8] ثم نقل إلى الرصافة.

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ١٢/١٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٢٧/٣٥ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٠٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ١٩١/١٦.

(٣) ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٤٥.

(٤) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٨.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ١٦٧/١٧ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٤٥.

(٦) الذهبي، العبر في خبر من غبر ، ٣٩٩/٢ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥٤/٦.

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٢٧/٣٥.

(٨) أبو شامة، الروضتين، ١٠٩/١.

٣١ - المسترشد بالله

(٤٨٦ -٥٢٩ هـ/١٠٩٣ -١١٣٤م)

هو أبو منصور الفضل بن أحمد المستظهر بن عبدالله المقتدي بن ذخيرة الدين محمد بن عبدالله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، التاسع والعشرون من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد تركية تسمى لبابة ، وقيل حبش ، توفيت سنة٥٢٨هـ/١١٣٣م في خلافته ، ولد يوم الاثنين السابع من شعبان ، وقيل رابع ربيع الأول سنة٤٨٦هـ/١٠٩٣م وقيل سنة ٤٨٥ هـ/١٠٩٢م في حياة جده المقتدي ، وبويع بالخلافة يوم الخميس السادس والعشرين من شهر ربيع الأول وقيل الآخر سنة٥١٢هـ/١١١٨ م وقتل يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤ م وعمره خمسة وأربعون سنة وخلافته سبعة عشر سنة[١].

زوجاته وأولاده

كانت له زوجة تدعى نزهة وتعرف بأمّ السادة ، وهي أمّ ولده ، وتوفيت سنة٥٠٦هـ /١١١٢م[٢] ، وقيل بل هي أمّه[٣] ، كما تزوج ابنة السلطان السلجوقي سنجر وذلك

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠٤/١٧ ؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ١٤٣/٥؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٩/٣ -١٠ ؛ الدواداري، كنز الدرر، ٤٨٣/٦ ؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، ٢٠٥/٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٦١/٢٣ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٥/٢٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٨/١٢، ٢٥٧ ؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١٣٩/١ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٥٧/٥.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٠٢/١٧.

(٣) ابن الفوطي، مجمع الآداب، ٢٠٥/٥.

سنة٥١٨هـ/١١٢٤م[١] ، كما له العديد من الزوجات أمهات أولاده إلا أن المصادر لم تشر إليهن.

وله العديد من الأولاد توفي بعضهم في حياته[٢] ، ومن أولاده ولي عهده أبو جعفر منصور الراشد بالله[٣] ، ومحمد المقتفي وأحمد وعبد الله وإسحاق توفي قبله ، وبنتان[٤].

صفته وبعض أقواله

وصفه ابن القلانسي بالقول: كان (الخليفة المسترشد بالله أمير المؤمنين رحمه الله عالماً تقياً فاضلاً حسن الخط بليغاً نافذاً في أكثر العلوم عارفاً بالفتوى واختلاف الفقهاء فيها أشقر الشعر أشهل العينين بوجهه نمش)[٥] ، وقال عنه ابن العمراني: (فحل بني العباس ونجيبهم وفاضلهم وكاتبهم وأشجعهم)[٦] ، فيما وصفه ابن الأثير بالقول: (كَانَ شَهْمًا شُجَاعًا ، كَثِيرَ الْإِقْدَامِ ، بَعِيدَ الْهِمَّةِ ،... وَكَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا حَسَنَ الْخَطِّ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ خَطَّهُ فِي غَايَةِ الْجَوْدَةِ ، وَرَأَيْتُ أَجْوِبَتَهُ عَلَى الرِّقَاعِ مِنْ أَحْسَنِ مَا يُكْتَبُ وَأَفْصَحِه)[٧] ، وقيل في صفته إنه(كان أسمر ، ربعة ، أسود الشعر ، سبطه)[٨] ، وقال عنه الكتبي: (كان يتنسك في أول زمانه ويلبس الصوف وينفرد في بيت العبادة ، وختم القرآن وتفقه)[٩] ، وعن خلقته قال ابن فضل الله العمري: (أشقر أبيض ، كأنّ لؤلؤاً على صفحاته ترقص)[١٠] ، ووصفه ابن كثير بقوله: (كان المسترشد شجاعا مقداما بعيد الهمة فصيحا بليغا ، عذب الكلام حسن الإيراد ، مليح الخط كثير العبادة محببا إلى العامة

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٤/١٧.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٧٢/٣٥، ٢٨/٣٦.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٧٦/٣٥.

(٤) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ١٤٩/٥ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٩٠/١٤ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٧/٢٤.

(٥) تاريخ دمشق، ص ٣٩٧.

(٦) الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢١٠.

(٧) الكامل في التاريخ، ٦٤/٩ ؛ ينظر أيضاً: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ١٩٥/٣.

(٨) الدواداري، كنز الدرر، ٥١٧/٦.

(٩) فوات الوفيات، ١٧٩/٣.

(١٠) مسالك الأبصار، ٢٨٢/٢٤.

والخاصة ، وهو آخر خليفة رُئي خطيباً)[1] ، ووصفه السيوطي بالقول: (كان مليح الخط ما كتب أحد من الخلفاء قبله مثله ، يستدرك على كتابه يصلح أغاليط في كتبهم)[2].

وكان المسترشد مهتماً بالعلوم وقرأ القرآن والحديث وله شعر ، ومن شعره:

أنا الأشقر الموعود بي في الملاحم ... ومن يملك الدنيا بغير مزاحم[3]

ستبلغ أرض الروم خيلي، وتنتضي ... بأقصى بلاد الصين بيض صوارمي[4]

ومنها قوله:

ودونَ بغدادَ وما حَوْلَها ... خليفةٌ أشجعٌ من عَنْترِ[5]

وله أيضاً:

أقول لشَرْخ الشباب اصطبرْ ... فولّي وردَّ قضاء الوطَرْ

فقلتُ قنعتُ بهذا المشيب ... وإن زال غيمٌ فهذا مَطَرْ

فقال المشيبُ أيبقى القُتار ... على جَمرَةٍ ذاب منها الحَجَرْ[6]

ومن شعره لما أسر:

ولا عجبًا للأسد إن ظفرت بها ... كلاب الأعادي من فصيح وأعجم

فحربة وحشّي سقت حمزة الردى ... وموت عليٍّ من حسام ابن ملجم

وله لما كسر وأشير عليه بالهزيمة فلم يفعل وثبت حتى أسر:

قالوا: تقيم وقد أحا ... ط بك العدو ولا تفر

فأجبتهم: المرء ما ... لم يتعظ بالوعظ غر

---

(١) البداية والنهاية، ٢٥٩/١٢.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص ٥١٠.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٥٧/٥.

(٤) عماد الدين الأصبهاني، خريدة القصر، ٣٠/١ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٨٣/٢٤.

(٥) عماد الدين الاصبهاني، خريدة القصر، ٣١/١.

(٦) عماد الدين الاصبهاني، خريدة القصر، ٣١/١.

لا نلـت خـيرًا مـا حييـت ولا عـداني الـدهر شـر

إن كنـت أعلـم أن غـير الله ينفـع أو يضـر[1]

كما كان المسترشد خطيباً فصيحاً ، خطب الناس في عيد الأضحى فقال: (الله أكبر ما سبحت الأنواء ، وأشرق الضياء ، وطلعت ذكاء ، وعلت على الأرض السماء ، الله أكبر ما همى سحاب ولمع سراب ، وأنجح طلاب ، وسر قادمًا إياب ، وذكر خطبة بليغة ثم جلس ، ثم قام فخطب ، وقال: اللهم أصلحني في ذريتي وأعني على ما وليتني ، وأوزعني شكر نعمتك ، ووفقني وانصرني)[2].

ومن أقواله ما أوصى به ابنه قال: (يا بنيّ إن أردت المهابة فلا تكذب فإن الكاذب لا يُهاب ولو حفّ به مائة ألف سيف)[3].

ألقابه

لما ولد للخليفة المستظهر ولدا سنة٤٨٦هـ/١٠٩٣م سماه الفضل وكناه ابن منصور ولقبه عمدة الدين[4] ، ثم عينه أبوه ولياً للعهد ولقبه المسترشد بالله[5] ، قال الذهبي: (خُطب له بولاية العهد وهو يرضع ، وضُربت السكة باسمه)[6] ، وقال السيوطي: (وخطب له أبوه بولاية العهد ، ونقش اسمه على السكة في شهر ربيع الأول سنة ثمانٍ وثمانين)[7].

مقتله

وقع الخلاف بين الخليفة المسترشد والسلطان السلجوقي مسعود فخرج الخليفة لقتاله والتقوا في همذان ، وفي معركة دايمرج القريبة منها تفرق جند الخليفة ووقع في

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٨٨/١٤ ؛ الكتبي، فوات الوفيات، ١٧٩/٣ -١٨٠ ؛ السبكي، طبقات الشافعية، ٢٥٩/٧ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥١١ -٥١٢.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥١٢ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١٤٦/٦.

(٣) الاماسي، روض الأخيار، ص ٢٤٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٧٣/٨ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٨/١٢.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٢٨/٨ ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٠١.

(٦) سير أعلام النبلاء، ٣٨٧/١٤ ؛ ينظر أيضا: الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٥/٢٤.

(٧) تاريخ الخلفاء، ص ٥١٠ ؛ ينظر أيضاً: السبكي، طبقات الشافعية، ٢٥٨/٧.

الأسر وأودع في خيمة فهجم عليه عشرون رجلاً من الباطنية فضربوه بالسكاكين ومثلوا به وجدعوا أنفه وأذنيه وتركوه عرياناً وذلك في يوم الخميس السادس عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٩ هـ/١١٣٤م[١] ، وكان عمره ثلاث وأربعون سنة[٢].

ويروى أن(المسترشد كَانَ إِذْ ذَاك صَائما وَقد صلى الظّهْر وَهُوَ يقْرَأ فِي الْمُصحف فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ثمَّ أضرمت عَلَيْهِم النَّار فَبَقيت يَد أحدهم لم تحترق وَهِي خَارِجَة من النَّار مَضْمُومَة كلما ألقوا النَّار عَلَيْهَا وَهِي لَا تحترق ففتحوا يَده وَإِذا فِيهَا شَعرَات من كريمته صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَأَخذهَا السُّلْطَان مَسْعُود وَجعلهَا فِي تعويذ ذهب)[٣].

المستنجد بالله(بيعته متداخلة مع أخيه المسترشد بالله)

أبو الحسن علي بن أحمد المستظهر بن عبدالله المقتدي بن ذخيرة الدين محمد بن عبد الله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، تداخلت خلافته مع خلافة أخيه المسترشد.

ذلك أنه عندما حضرت الخليفة المستظهر الوفاة في ربيع سنة٥١٢هـ/١١١٨م قال: أدعوا لي ولي العهد ، فجاءوا بأبي الحسن علي فلما فتح عينيه وراَه قال: ما أريد هذا ، أريد أخاه الأكبر ، وكان ميل الحاشية مع أبي الحسن لأنه كان صاحب لهو وهزل ، فتركوه ساعة فلما ثقل المستظهر جاءوا بأبي الحسن ثانية ، فقال: (لست أريد هذا أ أريد أبا منصور الفضل ابني الأكبر أريد أبا منصور الفضل ابني الأكبر فلما رأوا الجد منه مضوا وجاءوا به فحين رآه استدناه وقبّل بين عينيه وقال له: يا عزيزي

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٩٤/١٧ -٢٩٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦١/٩ -٦٤ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٥٠ ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٥٨/١ -٦٠ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٩١ -٢٩٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٧٦/٢٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥١/٣٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٥٥/١٢ -٢٥٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٤/٩ ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٠٤.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية، ٢٦٠/٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ١٤٩/٥.

أنا ماض إلى جوار الله تعالى وسعة رحمته فارفق بأهلك وأحسن السيرة في رعيّتك وانظر في ما وصل إليك واعلم أنك مسئول عن القليل والكثير في آخرتك والله خليفتي عليك ومات في تلك الساعة)[1].

وعندما تمت البيعة للراشد بالله خاف أبو الحسن على نفسه فهرب إلى المدائن ومنها إلى الحلة فقدم على أميرها دبيس بن صدقة ، فخيره الأخير بين المقام عنده أو الرحيل ويزوده ما يحتاج إليه من العساكر والسلاح ، فاختار أبو الحسن الرحيل عنه ، فانحدر إلى واسط وملكها ، وجبى الخراج ، واجتمعت لديه العساكر وقويت شوكته ، وأخذ يخطب لأخيه ثم لنفسه ، ثم خلع أخاه وأخذ يخطب لنفسه ولقب نفسه بالمستنجد بالله ، واستوزر أبا دلف بن زهمويه الكاتب[2].

فلما علم المسترشد بالله خاف على نفسه من أن يقصد بغداد ويستولي على الأمر ، فأرسل إلى دبيس بن صدقة وبذل له ثلاثين ألف دينار على أن يأتي له بأخيه ، وقيل: إن الخليفة المسترشد عرض الأمان على أخيه فرفض ، فأرسل إليه دبيس بعض العسكر وهجموا عليه فهرب منهم ، فتبعه بدوي برمج ، فقال له: ويحك أنا أمير المؤمنين ، فرد عليه البدوي قائلاً: أمير المؤمنين قاعد على روشن التاج ببغداد ، ثم لحقه وحمله إلى بغداد فدخلها ليلاً ونزل داره واحتاطوا عليه[3] ، كما أسر وزيره ابن زهمويه وشُهر في طرقات بغداد ثم حبس وقتل[4].

وكان بين خروجه من دار الخلافة وعودته إليها في بغداد أحد عشر شهراً ، فلما دخل على المسترشد قبله وبكيا ، وأسكنه داره قبل أن يلي الخلافة ، وخلع عليه وطيب نفسه وأمنه ، ثم شدد عليه[5].

---

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٨ -٢٠٩.

(٢) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢١٢ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٦٢/١٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٧٥/٣٥.

(٣) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢١٢.

(٤) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢١٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٧٥/٣٥ -٢٧٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٨/ ٦٣٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٧٦/٣٥.

٣٢ - الراشد بالله

(٥٠٢ -٥٣٢ هـ/١١٠٨ -١١٣٧ م)

أبو جعفر منصور بن الفضل المسترشد بن أحمد المستظهر بن عبد الله المقتدي بن ذخيرة الدين محمد بن عبدالله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الثلاثون من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد ، تسمى صبا ويقال لها أمّ السادة ، ولد سنة٥٠٢هـ /١١٠٨ م ، ويقال أنه ولد مسدوداً ففتح له الأطباء مخرجاً بآلة من ذهب فنفع ذلك ، بويع له بالخلافة في ذي القعدة سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م وقتل في السادس عشر من رمضان سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م[١].

زوجاته وأولاده

لعل من أولى زوجاته تلك الجارية الحبشية الصفراء التي وطأها وهو في التاسعة من عمره فولدت له ولداً سماه جده المسترشد أمير الجيوش[٢] ، وله زوجات أخريات لم تشر إليهن المصادر.

وذكر أنه كان للراشد نيف وعشرون ولداً[٣] ، ومنهم ولد اسمه الحسن ومنه سلالة الخلفاء العباسيين في مصر[٤].

---

(١) العماد الاصبهاني، خريدة القصر، ٣٢/١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٧٧/٣٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٠١/٣٦ ؛ سير أعلام النبلاء، ٣٩٢/١٤ ؛ الدواداري، كنز الدرر، ٥١٨/٦ ؛ الكتبي، فوات الوفيات، ١٦٨/٤ -١٦٩ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٦٣/٥ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥١٤.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٠١/٣٦ ؛ الدواداري، كنز الدرر، ٥٢٠/٦ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٦٣/٥.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٠١/٣٦ ؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١٤٠/١.

(٤) القلقشندي، مآثر الانافة، ٣٢/٢.

صفته وبعض أقواله

روي أن الخليفة المسترشد(أعطى ولده الرّاشد ، وعُمره أقل من تسع سِنين ، عدَّة جواري ، وأمرهن أنّ يلاعبْنَه ، وكانت فيهنّ جارية حَبَشيَّة ، فحملت من الرّاشد ، فلمّا ظهر الحَمْل وبلغ ذلك المسترشد أنكره ، فسألها ، فقالت: والله ما تقدَّم إليَّ سواه ، وإنّه احتلم ، فسأل باقي الجواري ، فقلن كذلك ، فأمر أنّ تحمل الجارية قطْنًا ، ثمّ دخلَّها الرّاشد ، ثمّ أخرجت القطْن وعليه المَنِيّ ، ففرح المسترشد)[١].

وصف العماد الاصبهاني جماله وكرمه بقوله: (كان له الحسن اليوسفي ، والكرم الحاتمي بل الهاشمي)[٢].

وصفه الذهبي بقوله: (كان أبيض ، مليحًا ، تامّ الخَلْق ، شديد الأَيْد ، شجاعًا ، قيل إنّه كان في بستان دار الخلافة أيّل عظيم الشّكْل ، اعترض في البستان ، وأحجم الخَدَمُ عنه ، فهجم هو عليه ، وأمسك بقَرْنَيْه ورماه إلى الأرض وطلب منشارًا ، وقطع قَرْنَيْه ، وكان حَسَن السّيرة ، جيّد الطَّويَّة ، يُؤْثر العدْل ، ويكره الشّرّ)[٣].

كما وصف بأنه كان(كان فصيحًا ، أديبًا ، شاعرًا ، شجاعًا ، جوادًا ، سمحًا ، حسن السيرة ، يؤثر العدل ، ويكره الشر)[٤] ، وقيل إنه: (كان شاباً أبيض ، مليح الوجه ، تام الشكل ، شديد البطش ، شجاع النفس ، حسن السيرة ، جوادا كريماً ، شاعراً فصيحاً)[٥].

ومن أقواله: (إنَّا نَكْرَهُ الفتَنَ إشفَاقاً عَلَى الرَّعيَّة ، وَنُؤْثرُ العَدْلَ وَالأَمْنَ فِي البَرِيَّة ، وَيَأْبَى المقدور إلَّا تَصَعُّبُ الأُمُوْرِ ، وَاختلاَطُ الجُمْهُوْر ، فَنَسْأَل الله العَوْنَ عَلَى لَمِّ شَعَثِ النَّاسِ بِإِطفَاءِ نَائِرَةِ البَأْسِ)[٦].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٠١/٣٦ ؛ ينظر أيضاً: الدواداري، كنز الدرر، ٥٢٠/٦ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٧٨/٢٤ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٦٣/٥

(٢) خريدة القصر، ٣٣/١.

(٣) تاريخ الإسلام، ٣٠١/٣٦.

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥١٤.

(٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١٦٦/٦.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٩٢/١٤.

ومن أقواله: (فتح قرية بسيف خير من فتح إقليم بانقياده)[1] ، وقوله: (أحق الناس الناس بالذم الملوك لأنهم أقدر الناس على اكتساب المكارم واجتناب الرذائل)[2].

وكان له شعر ، منه قوله:

زمــانٌ قَــدِ اسْــتَتَبَّتْ فِصَــالُ صُــرُوْفِهِ ... وَذَلَّــلَ آسَــادَ الكِــرَامِ لِــذِي القَرْعَــى

أَكُوْلَتُــهُ تَشْــكُو صُــرُوْفَ زَمَانِــهِ ... وَلَـيْسَ لَهَـا مَـأْوَى وَلَـيْسَ لَهَـا مَرْعَـى

فَيَـا قَلْـبُ لاَ تَأْسَـفْ عَلَيْـهِ فَرُبَّمَـا ... تَـرَى القَـوْمَ فِـي أَكْنَـافِ أَفْنَائِـهِ[3]

وَلَهُ أيضاً يتوعد بأخذ ثأر والده:

أُقْسِــمُ بِــاللهِ وَهــلْ خَلِيْفَــه ... يَحْنَــثُ أَنْ أَقْسَــمَ فِــي اليَمِيْــنِ

لاَ تُــزِرَنَّ فِــي الحُــرُوْبِ صَــادِقاً ... لأَكْشِــفَ العَــارَ الَّــذِي يَعْلُوْنِــي

مُشَــمِّراً عَــنْ سَــاقِ عَزْمِــي طَالبــاً ... ثــأْرَ الإِمَــامِ الوَالِــدِ الأَمِيْــنِ

عُمْــرِيَ عُمْــرِي وَالَّــذِي قُــدِّرَ لِــي ... مَــا يَنْمَحِــي المَكْتُــوْبُ عَــنْ جَبِيْنِــي[4]

ومن شعره أيضاً:

سأقتضــي مــن زمــني ديــوني ... إن أخــرتني ريــب المنــون

ولســت بالراشــد إن لم أنتخــي ... لهاشــم عــن حســبي وديــني[5]

ألقابه

كان أبوه المسترشد بايع له بالعهد في حياته ولقبه الراشد بالله سنة٥١٣هـ/١١١٩م[6].

وفاته

لما قتل الخليفة المسترشد بالله وقعت الوحشة بين السلطان مسعود السلجوقي وبين الراشد وقصد مسعود بغداد لإقالة الراشد ، وعندما وصلها هرب الراشد إلى

---

(١) ابن سعيد، المقتطف، ص ٥٢.

(٢) ابن سعيد، المقتطف، ص ٥٦.

(٣) العماد الاصبهاني، خريدة القصر، ٣٣/١ -٣٤.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٩٢/١٤.

(٥) الكتبي، فوات الوفيات، ١٦٩/٤.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٥/٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٠١/٣٦.

الموصل ثم إلى أذربيجان ثم إلى أصفهان وهناك مرض مرضاً شديداً ، وقيل في سبب موته ثلاثة أقوال: (أحدها أنه سقي السم ثلاث مرات ، والثاني: أنه قتله قوم من الفراشين الذين كانوا في خدمته ، والثالث: أنه قتله الباطنية وقتلوا بعده ، وكان موته في سابع عشرين رمضان ، وبلغ الخبر فقعدوا له في العزاء يوما واحداً)[1].

وذكر العماد الأصبهاني أنه كان حاضراً يوم مقتله بقوله: (أذكر ، ونحن أطفال ، وقد خرجنا من البلد وأقمنا بالربط المبنية عند المصلى بالقرب من زندَ ورد ، والمعسكر قريب منا ، فسمعنا أصواتاً هائلة وقت القائلة من نهار يوم الثلاثاء سادس عشر من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ، فقيل لنا: إن الخليفة قد فتكت به الملاحدة - خذلهم الله - وخرج أهل أصفهان حافين حاسرين ، وشيعوا جنازته إلى مدينة جي ، ودفنوه رضي الله عنه بالجامع)[2].

وقيل إن السلطان مسعود السلجوقي(حَبس الراشد ، إِلَى أَن مَاتَ قَتيلاً في محبسه فِي شهر رَمَضَان سنة اثنتين وَثَلَاثِينَ وَخَمْسمائة ، وَقيل: إِن الَّذين قَتَلُوهُ كَانُوا جمَاعَة من الخراسانية كَانُوا بخدمته ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وقتلوه بدسيسة من مَسْعُود)[3] ، وكان قتله وهو صائم ، وقبره في ناحية جي من نواحي أصبهان ، قال ياقوت: إنه على شاطيء نهر يزار[4].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٢/١٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩٥/٩ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٥٦ ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٧٠/١ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١٣/٣ -١٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٠٢/٣٦ ؛ سير أعلام النبلاء، ٣٩٣/١٤ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٤١/٢ -٤٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦٤/١٢ ؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١٤٠/١.

(٢) خريدة القصر، ٣٢/١ -٣٣.

(٣) ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ٢١٩/١ ؛ ينظر أيضاً: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٨٧/٢٤.

(٤) معجم البلدان، ٢٠٢/٢.

٣٣ - المقتفي لأمر الله

(٤٨٩ – ٥٥٥ هـ/١٠٩٥ -١١٦٠م)

أبو عبدالله محمد بن أحمد المستظهر بن عبدالله المقتدي بن ذخيرة الدين محمد بن عبدالله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الحادي والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد حبشية اسمها نسيم وقيل: ياعي وقيل: بغية النفوس ، وتلقب أمّ السادة وهي جارية صفراء كانت غاية في الكرم ، ولد في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة ٤٨٩ هـ/١٠٩٥ م ، وبويع له بالخلافة في يوم الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة سنة٥٣٠هـ/١١٣٥ م وله من العمر أربعون سنة ، وتوفي سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م[١].

زوجاته وأولاده

تزوج قبل الخلافة بابنة النقيب علي بن طراد[٢] ، كما تزوج فاطمة خاتون بنت محمد أخت السلطان مسعود السلجوقي على صداق قدره مائة ألف دينار وتوفيت عنده سنة٥٤٢ هـ/١١٤٧م[٣] ، وله جارية تدعى طاوس وهي أم ولده يوسف المستنجد.

---

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٥ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣١٣/١٧، العماد الاصبهاني، خريدة القصر، ٣٤/١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٧٠/٩ ؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، ٤٥٣/٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣ /٢٨٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٢/٣٨ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦١/١٢ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٦٨/٢ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٣٢/٥ -٣٣٣ ؛ مورد اللطافة، ٢٢٠/١ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥١٦.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ١٩٣/١٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٨٦/٣٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٨ / ٣، ٥٥ ؛ عماد الدين الاصبهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٣١١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠٩/٩ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧٣/٥ ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ١٣١/١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠٠/٣٦، ١١٦/٣٧ ؛ اليافعي، مرآة الجنان، ١٥٤/٣ ؛ الصفدي،=

أما أولاده فهم أبو جعفر بن المقتفي وهو أسن أولاده ، وأبو طالب بن المقتفي ، ويوسف بن المقتفي وهو المستنجد [1] ، وأبو علي ، وأبو أحمد [2] ، وله ابنة اسمها زبيدة تزوجها السلطان مسعود السلجوقي على صداق قدره مائة ألف دينار فتوفي قبل أن يدخل بها ، وكانت كارهة له فحصل مقصودها ، وعمرت طويلاً وتوفيت سنة ٥٨٩ هـ/١١٩٣م[3].

صفته وبعض أقواله

وصف بأنه الخليفة المتقي بأنه كان(كان آدَمَ ، مجدُور الوجه ، مليح الشّيبة ، له هَيّبة عظيمة)[4] ، وقيل إنه كان (تام الطول ، عبل الجسم)[5] ، وقيل إنه كان: (شيخاً أبيض الرأس واللحية طويلها)[6].

وروي أنه (كان فِي أوّل عمره متشاغلا بالدِّين ، ونسخ ربعات ، وقرأ القرآن.. ولم يُر مع سماحته ولِين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة فِي شهامته وصرامته وشجاعته ، مع ما خُصَّ به من زُهده وورعه وعبادته)[7].

وصفه العماد الاصبهاني وكان معاصرا له بقوله: (كان ذا علم وافر ، وفضل باهر ، وعدل شامل ، وإحسان كامل ، وهو الذي أقام حرمة دار الخلافة ، وأعاد رونقها ، وحفظ رمقها ، وقطع طمع الأعاجم عنها ، وحكم بأسهم منها ، وله مكاتبات حسنة ، وتوقيعات مستطرفة)[8].

وقال عنه ابن الأثير بأنه (كَانَ حَليمًا كَرِيمًا عَادلًا حَسَنَ السِّيرَة منَ الرِّجَال ذَوي الرَّأي وَالْعَقْلِ الْكَثِيرِ... وَكَانَ شُجَاعًا مِقْدَامًا مُبَاشِرًا لِلْحُرُوبِ بِنَفْسِه ، وَكَانَ يَبْذُلُ

=الوافي بالوفيات، ٤٢/٥.

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ١٣٩/١٨.

(٢) عماد الدين الاصبهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٣٧٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/١٣ -١١.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٢/٣٨.

(٥) ابن الفوطي، مجمع الآداب، ٤٥٣/٦.

(٦) النويري، نهاية الأرب، ٢٩٣/٢٣.

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٤/٣٨ ؛ ينظر أيضاً: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٢٠.

(٨) خريدة القصر، ٣٥/١.

الْأَمْوَالَ الْعَظِيمَةَ لِأَصْحَابِ الْأَخْبَارِ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ حَتَّى كَانَ لَا يَفُوتُهُ مِنْهَا شَيْءٌ)[1].

ووصفه الذهبي بقوله: (كان عالمًا ، ديِّنًا ، شُجاعًا ، حليما ، دمث الأخلاق ، كامل السُّؤدُد ، خليقا للإمامة ، قليل المِثْل فِي الأئمَّة عليهم السلام ، لا يجري في دولته أمرٌ وإن صَغُر إلّا بتوقيعه)[2].

وحمل عليه ابن فضل الله العمري بقوله: (كان ممن يبطن ، خلاف ما يظهر ، كان يظهر قبل مصير الخلافة إليه الانقطاع والعبادة ، وملازمة السجود والسجادة ، مع سوء معتقد وطوية ، وقبح عقد ونية ، وظلم لا يأمن معه برىء ، وتسلط كالأسد الجرىء ، لم يكن فيه ثراء للمعتفي ، ولا كان لأمر الله المقتفي ، بل كان يتخفى ببوائقه ولا يختفي ، ويخرج ويشره إلى خارج قصره ولا يكتفي ، وهو مع ذلك يصانع ويداري ، ويستر العار بالعواري ، ولا يظهر له من ريبة ثوبا ، ولا ينتظر له بتوبة أوبا ، بل هو في دنس لا ينقى ، وذنوب لا توقى ، وملازمة زخارف لا تبقى ، وسماع ملاه لا تلقى ، بين ضروب ملاح بريقهنّ يستقى ، ولهيب راح لا يصلاها إلا الأشقى ، هذا إلى ما فيه من نكوب عن الرشاد ، ونكول عما شيّد سلفه وشاد ، ولم يكن بعيدا من أبيه المستظهر في مواصلة اللهو ومواقيته ، والخمر وترصيع أوانيه بيواقيته ، لكنه كان يزيد عليه بأنه كان ظالما عسوفاً ، حاكماً جائراً عنيفاً ، طالت مدته وثقلت ، وقطعت أعمار الخلق حتى انفصلت)[3].

وكانت محباً للحديث وسماعه وله رواية ، فقد روى حديثاً يرفعه إلى أنس بن مالك أن النبي﴿ ﷺ ﴾ قال: (لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ[4])[5].

وكان له بعض الشعر ، منه قوله:

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢٧٠/٩ – ٢٧١.

(٢) تاريخ الإسلام، ١٧٢/٣٨.

(٣) مسالك الأبصار، ٢٨٨/٢٤.

(٤) الحديث أخرجه جماعة، منهم: البزار، مسند البزار، ٦٤/١٣ ؛ الطبراني، المعجم الصغير، ٢٩٣/١ ؛ ؛ ابن الجوزي، العلل المتناهية، ٣٨٠/٢ وقال: هذا حديث منكر ؛ وقال الألباني: الحديث ضعيف، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ١٧٥/١ ؛ ضعيف الجامع الصغير، ص ٩١٦.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٣/٣٨ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٢٠.

قالـــت: أحبـــك قلـــت كاذبـــة غـــرّي بـــذا مـــن لـــيس ينتقـــد

قالـــت: فمـــن أدراك قلـــت لهـــا الشـــيخ لـــيس يحبـــه أحـــد[١]

ومن أقواله: (المبغض المجاهر عندي خير من المحب المداهن)[٢].

ألقابه

ذلك أن السلطان مسعود السلجوقي عندما خلع الراشد نصب مكانه أبا عبد الله محمد ولقبه المقتفي لأمر الله[٣] ، وقيل أنه لقب بالمقتفي لأنه(رأى في منامه قبل أن يلي بستة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له: سيصل هذا الأمر إليك فاقتف بي فتلقب المقتفي لأمر الله)[٤] ، وروي عن صاحب الإنشاء قوله: (دخلت إلى الأمير أبو عبد الله محمد ، أنا والوزير وصاحب المخزن ، وتحدثنا معه ، وناولته رقعة مما يلقب به ، فكان فيها: المقتفى بأمر الله ، والمستضيء بنور الله ، والمستجير بالله ، فقال الخليفة: ذلك إليكم ، ثم قال لي الخليفة: ماذا ترى ؟ فقلت: المقتفى لأمر الله ، فقال: مبارك ، ثم مدّ يده ، فأخذها الوزير وقبّلها ، وقال: بايعت سيدنا ومولانا الإمام المقتفى لأمر الله أمير المؤمنين على كتاب الله وسنة رسوله(صلى الله عليه وسلم) واجتهاده)[٥].

وفاته

عرض للخليفة المقتفي مرض سنة٥٥٤هـ/١١٥٩م واشتد عليه ثم عوفي بعد ذلك[٦] ، ثم عاد إليه المرض بعد سنة وتوفي مستهل ربيع الأول سنة٥٥٥هـ/١١٦٠م وصلى عليه ابنه المستنجد بالله ودفن في داره ثم نقل إلى ترب الرصافة بعد سنة[٧] ، وكانت علته أنه مرض بالتراقي وقيل كان دمل في العنق ، قال ابن الجوزي: وافق أباه

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٩٦/٢٤.

(٢) ابن سعيد، المقتطف، ص ٥٢.

(٣) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٤٠٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧٧/٩ ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ٤٣٧/٢.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٣١٤/١٧ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥٨/١٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦١/١٢ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥١٦.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٦٨٦٧/١ ؛ ينظر أيضاً: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٩٠/٢٤.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٦٧/٩ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٩/١٢.

(٧) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٥ ؛

في علة التراقي[1] ، وكان عمره ست وستون سنة[2] ، وقال عماد الدين الاصبهاني: إن الخليفة المقتفي كان في سفر إلى هيت فلما رجع إلى بغداد(عاده سقم ، وألم به ألم ، فتوفى في يوم الأحد ثاني شهر ربيع الأول سنة٥٥٥هـ)[3].

وقال ابن فضل الله العمري: (كانت وفاة المقتفي بعلة التراقي ، وهو خراج من كتفيه ، مكث به خمسة عشر يوماً ، ومات في يوم الأحد ، ثاني ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمس مائة ، ودفن ثاني يوم ، وصلى عليه ابن هبيرة)[4].

وقال الدميري: كانت وفاته بالخوانيق[5].

وروي أن رجلاً صالحاً قال: (رأيت في المنام قبل دخول سنة خمس وخمسين قائلاً يقول: إذا اجتمعت ثلاث خاءات كان آخر خلافته ، قلت خلافة من؟ قال خلافة المقتفي قلت: ما معنى اجتماع الخاءات؟ قال: سنة خمس وخمسين وخمسمائة)[6] ، وكان قد أمر في سنة٥٥٢هـ/١١٥٧م بقلع باب الكعبة وعمل بدله باباً مصفحاً بالنقرة المذهبة وعمل من الباب الأول تابوتاً أوصى أن يُدفن به إذا مات[7] ، وقال ابن جبير: إنه رأى على باب الكعبة الشريفة (نقش بالذهب رائق الخط طويل الحروف غليظها ، يرتمي الأبصار برونقه وحسنه ، مكتوب فيه: مما أمر بعمله عبد الله وخليفته الإمام أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين ، صلى الله عليه وعلى الأئمة آبائه الطاهرين ، وخلد ميراث النبوة لديه ، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين ، في سنة خمسين وخمس مئة)[8].

---

(١) المنتظم، ١٤٤/١٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٧٠/٩ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٥٨ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٣٧/٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٤/٣٨ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٦٨/٢.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٤/٣٨.

(٣) تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٣٧٥.

(٤) مسالك الأبصار، ٢٩٦/٢٤.

(٥) حياة الحيوان الكبرى، ١٤٠/١.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ١٤٤/١٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٠/٣٦ وقال: إن صاحب الرؤيا هو المقتفي نفسه.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٤٥/٩ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٣٣/٣ ؛ الذهبي، تاريخ تاريخ الإسلام، ١٧٣/٣٨ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٥٨/٢.

(٨) رحلة ابن جبير، ص ٦١.

٣٤ - المستنجد بالله

(٥١٨ -٥٦٦ هـ /١١٢٤ -١١٧٠ م)

أبو المظفر يوسف بن محمد المقتفي بن أحمد المستظهر بن عبدالله المقتدي بن ذخيرة الدين محمد بن عبدالله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الثاني والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، أمّه أم ولد كرجية وقيل رومية اسمها طاووس وقيل نرجس توفيت في شعبان من سنة٥٦٦هـ/١١٧٠م ، ولد في مستهل ربيع الآخر سنة٥١٠هـ /١١١٦م ، وقيل بل ولد سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م وهو الراجح حسب عمره ، بويع له بالخلافة يوم الاثنين الثاني من ربيع الأول سنة٥٥٥هـ/١١٦٠م ، وتوفي في تاسع وقيل تاسع ربيع الآخر سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠ م وعمره ثمان وأربعون وقيل ست وخمسون سنة[١].

زوجاته وأولاده

تزوج ابنة عمه أبو نصر بن المستظهر وذلك سنة٥٦٢هـ/١١٦٦م[٢] ، كما تزوج جارية أرمنية تدعى غضة وهي أم ولده المستضيء[٣] ، وله من الولد ابنه عبد الله توفي

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ١٨/١٨٩، ١٩٥ ؛ أبو شامة الروضتين، ١٧٧/٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٥٧/٩ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٥٨ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٣٧/٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥٧/٣٩ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٧٧/٢ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٨٦/٥ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٢٢.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ١٩٥/١٨ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٧٣/٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٩٠/١٨.

توفي سنة٥٩٦هـ/١١٩٩م[1] ، وابنة اسمها عائشة وكانت تدعى بالفيروزجية كانت ذات دين وصلاح ، وعمرت حتى أدركت جميع الخلفاء بعدها وتوفيت سنة٦٤٠هـ/١٢٤٢م[2] ، وابنة أخرى تعرف بالعباسية ذكرها الصفدي[3].

صفته وبعض أقواله

وصف المستنجد بأنه كان أسمر تام القامة ، طويل اللحية[4].

وذُكر أن المستنجد كان (موصوفا بالفَهْم الثّاقب ، والرأي الصّائب ، والذّكاء الغالب ، والفضل الباهر ، لَهُ نثرٌ بليغ ، ونظْمٌ بديع ، ومعرفة بعمل آلات الفَلَك والأسْطِرْلاب ، وغير ذلك)[5].

وصفه ابن الأثير بقوله: (كان المستنجد باللّه من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعيّة ، عادلا فيهم ، كثير الرّفق بهم ، وأطلق كثيرا من المكوس ، ولم يترك بالعراق منها شيئا ، وكان شديدا على أهل العبث والفساد والسعاية بالنّاس).

ووصفه ابن واصل بقوله: (كان يقظاً شهماً عادلاً حسن السيرة ، وله شعر حسن)[6].

ومن شعره:

عيَّرتني بالشَّيْب وهو وقار ... ليتها عيَّرت بما هُوَ عارُ

إنْ تكُ شابت الذّوائب منّي ... فاللّيالي تزينها الأقمارُ

وله فِي وصف بخيل:

وباخل أشعل فِي بيته ... تكرُمةً منه لنا شمعه

فما جَرَت من عينها دمعةٌ ... حتّى جَرَت من عينه دمعَهْ[7]

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٤٣/٤٢.
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٣٧/٤٦.
(٣) الوافي بالوفيات، ١٣٤/٢٩.
(٤) أبو شامة، الروضتين، ١٧٧/٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٥٧/٩ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٤٩/٣ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٥/١٢.
(٥) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٦٠/٣٩ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٢٢.
(٦) مفرج الكروب، ١٩٥/١.
(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥٨/٣٩ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٥٢٢ -٥٢٣.

ألقابه:

بايع له أبوه بالعهد سنة٥٤٢هـ/١١٤٧م وقيل سنة٥٤٧هـ/١١٥٢م ولقبه المستنجد بالله[١].

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه: من أحب نفسه عمل لها[٢].

وفاته:

روي عن المستنجد أنه قال: (رَأَيتُ رَسُولَ اللَّهِ﴿ ﷺ﴾ في المنام منذ خمس عشرة سنة فقال لي يبقى أثرك في الخلافة خمس عشرة سنة، فكان كما قال)[٣].

وقد ساق ابن الأثير سبب وفاته بقوله: (كان سبب موته أنّه مرض واشتدّ مرضه، وكان قد خافه أستاذ الدار عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء[٤]، وقطب الدين قايماز المقتفوي[٥]، وهو حينئذ أكبر أمير ببغداد، فلمّا اشتدّ مرض الخليفة اتّفقا، ووضعا الطبيب على أن يصف له ما يؤذيه، فوصف له دخول الحمّام، فامتنع لضعفه، ثمّ إنّه دخل وأغلق عليه بابه فمات، وهكذا سمعته من غير واحد ممّن يعلم الحال، وقيل إنّ الخليفة كتب إلى وزيره مع طبيبه ابن صفية[٦] يأمره بالقبض على أستاذ الدار وقطب الدين وصلبهما، فاجتمع ابن صفيّة بأستاذ الدار، وأعطاه خطّ الخليفة، فقال له: تعود وتقول إنّني أوصلت الخطّ إلى الوزير، ففعل ذلك، وأحضر أستاذ الدار قطب الدين ويزدن وأخاه تنامش[٧]، وعرض الخطّ عليهم، فاتّفقوا على قتل الخليفة، فدخل إليه

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٥٣/٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥٦/٣٩.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥٧/٣٩.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٣٩/١٨.

(٤) هو عضد الدين أبو الفرج محمد بن أبي الفتوح بن عبد الله بن أبي القاسم علي بن مسلمة كان أستاذ الدار أيام الخليفة المستنجد ثم وزر للخليفة المستضيء، وقتل وهو في طرقه إلى الحج، ينظر: ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٣٢١،٣٢٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٣٢/٤٠ -١٣٣.

(٥) هو قطب الدين قايماز مملوك الخليفة المستنجد وقد ارتفع شأنه في أيام المستنجد حتى استبد استبد بالأمور وتوفي سنة ٥٧٠ هـ/١١٧٤ م، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩٩/٣٩.

(٦) وهو أبو غالب بن صفية كان نصرانياً واتخذه الخليفة المستنجد طبيبا خاصاً له، ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٤٧ -٣٤٩.

(٧) هو علاء الدين أبو منصور تنامس بن قماج بن عبد الله البغدادي كان أحد الأمراء أيام الخليفة المستنجد وارتفع شأنه أيام الخليفة المستضيء ثم غضب عليه وصادره، وكانت وفاته=

يزدن وقايماز الحميديّ ، فحملاه إلى الحمّام وهو يستغيث وألقياه ، وأغلقا الباب عليه وهو يصيح إلى أن مات ، رحمه اللَّه)[1].

وقد لخص ابن الطقطقي سبب وفاته بقوله: (مات المستنجد مخنوقاً في الحمّام ، وخنقه أكابر دولته عقيب مرضة صعبة كانت قد عرضت له لأنّهم خافوه على أنفسهم ، وذلك في سنة ستّ وستين وخمسمائة)[2].

=سنة ٥٨٤ هـ/١١٨٨ م، ينظر: ابن الفوطي، مجمع الآداب، ٢/٢٩٥.

(١) الكامل في التاريخ، ٩/٣٥٧ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩/٢٦٠.

(٢) الفخري في الآداب السلطانية، ص ٣٠٢.

٣٥ - المستضيء بأمر الله

(٥٣٦ – ٥٧٥ هـ/١١٤١ -١١٧٩ م)

أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن محمد المقتفي بن أحمد المستظهر بن عبدالله المقتدي بن ذخيرة الدين محمد بن عبدالله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الثالث والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد أرمنية تدعى غضة ، وقيل عصمت ، ولد في السادس من شعبان سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م ، وبويع له بالخلافة يوم توفي أبوه المستنجد ، ولم يل الخلافة من اسمه الحسن ويكنى أبا محمد إلا الحسن بن علي(عليه السلام) وهو ، فقد اشتركا في الاسم والكنية والكرم[1] ، وتوفي في أول ذي القعدة سنة ٥٧٥ هـ/١١٧٩ م فكانت خلافته تسع سنين[2].

زوجاته وأولاده

تزوج جارية تدعى نفشة بنت عبد الله وكانت أحب سراريه إليه ، وهي امرأة صالحة بنت جسراً وكتبت اسمها عليه وجعل تحت الرقة مكان الجسر القديم ونقل الجسر القديم إلى نهر عيسى فوجد الناس منه راحة عظيمة[3] ، وكانت وفاتها سنة

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ١٨/ ١٩٠ -١٩١

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ١٨/ ؛ الملك المنصور، مضمار الحقائق، ص ٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٤٢/٩ ؛ ابن الدبيثي، ذيل تاريخ بغداد، ١٥٢/٣-١٥٣ ؛ ابن واصل، مفرج الكروب١/١٩٥؛ أبو شامة، الروضتين٥٢/٣؛ ابن الفوطي، معجم الآداب، ٢٠٦/٥ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٦٢/٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام٤٠/١٦٦ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٨٨/٢ ؛ الكتبي، فوات الوفيات، ١/ ٣٧١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٤/١٢ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة٨٥/٦؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٢٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٢١١/١٨.

٥٩٨هـ/١٢٠١م[1] ، كما تزوج زمرد خاتون فولدت له ابنه الناصر وكانت صالحة عابدة كثيرة البر والإحسان والصلات والأوقاف ، وقد بنت لها تربة إلى جانب قبر معروف وتوفيت سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م[2].

له من الأولاد: أبو العباس أحمد الذي تولى الخلافة بعده ، وأبو منصور هاشم الذي توفي سنة٥٧٨هـ/١١٩١م ، وأبو العباس[3].

صفته وبعض أقواله :

قال ابن الفوطي: (كان أبيض أقنى الأنف أزج الحاجبين)[4].

وامتدحه ابن الأثير بقوله: (كان عادلاً حسن السيرة في الرعيّة ، كثير البذل للأموال ، غير مبالغ في أخذ ما جرت العادة بأخذه ، وكان النّاس معه في أمن عام وإحسان شامل ، وطمأنينة وسكون ، لم يروا مثله ، وكان حليماً ، قليل المعاقبة على الذنوب ، محبّا للعفو والصفح عن المذنبين ، فعاش حميداً ، ومات سعيداً)[5].

كما امتدحه معاصره عماد الدين الكاتب وبالغ في ذلك بقوله: (الإمام المستضئ واحد العصر نبلاً ، وثاني البحر فضلاً ، وثالث العمرين عدلاً ، بل ثالث القمرين أنواراً ، وثاني القدر أثراً وإيثاراً ، وواحد الزمان قدراً ومقداراً ، وهو الثالث والثلاثون من خلفاء بني العباس ، ذو الفضل والإفضال والنائل والسطوة والباس ، ترجى موهبته ، وتخشى هيبته ، وتدعى هبته ، وينادي نداه فيجبر ويجيب ، ويجتدي جداه فيصوب ويصيب ، أما السماح فهو بدر سمائه الزاهر ، وأما الكرم فهو بحر عطائه الزاخر ، وأما الفضل فهو جامع شتاته ، ورافع راياته ، وواضع شرعه ، وشارع وضعه ، ومشرق آفاقه ، ومنفق أسواقه ، قس الفصاحة ، وقيس الحصافة ، وصديق السماحة ،

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٨٧/١٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٤٢/٤٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٤/١٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٦/١٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٩١/١٨، ٢١٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٦٩/٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٦٦/٤٠

(٤) مجمع الآداب، ٢٠٦/٥.

(٥) الكامل في التاريخ، ٤٤٢/٩ ؛ ينظر أيضاً: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ٢١٦/١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٤/١٢.

وفاروق الحماسة ، وعثمان الحلم ، وعلي العلم ، حلل الأيام معلمة منه بطراز العدل ، وحلل الأنام مكرمة بإعزاز الفضل)[1].

ومن أقواله: (من تعرض لطلب مالم يعط ، فقد عرّض عقله للتهمة ونفسه للتعب)[2]

ألقابه

عندما توفي المستنجد أحضروا أبا محمد الحسن ابنه وبايعوه بالخلافة ولقبوه المستضيء بأمر الله [3].

وفاته

كان ابتداء مرضه في أواخر شوال وكان مرضه بالحمى ابتدأ فيها يَوْمِ عيد الْفِطْرِ ، وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ يَتَزَايَدُ به حتى استكمل في مرضه شهراً ، ومات سَلْخَ شَوَّالٍ ودفن بدار نصر التي بناها[4] ، وكان عمره تسعاً وثلاثون سنة[5].

وذكر ابن الدبيثي أنه (بدئ به مرضه الذي توفي فيه يوم عبد الفطر من سنة خمس وسبعين وخمس مئة ، وتوفي بعد العصر من يوم السبت سلخ شوال سنة خمس وسبعين وخمس مئة ، وغسله العدل مسعود بن النادر[6] بوصيته سحرة الأحد مستهل ذي القعدة ، وصلي عليه ، ودفن بدار الصخر... في إيوانها ، ثم نقل تابوته في ليلة النصف من شعبان سنة ست وسبعين وخمس مئة إلى الجانب الغربي ، ودفن بتربته المنسوبة إليه بقصر بني المأمون على دجلة بوصيةٍ منه)[7].

---

(١) خريدة القصر، ٩/١ -١٠.

(٢) ابن سعيد، المقتطف، ص ٥٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٥٨/٩.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٤/١٢.

(٥) ابن الفوطي، مجمع الآداب، ٢٠٦/٥.

(٦) هو أبو الفضل مسعود بن علي بن عبيد الله بن النادر كان محدثا ثقة حسن الخط كتب القرآن ١٢١ مرة، وكان يجالس الخليفة المستضيء وينادمه، وتوفي سنة ٥٨٦ هـ/١١٩٠ م، ينظر: ابن الدبيثي، ذيل تاريخ بغداد، ٤٨/٥ -٤٩.

(٧) ذيل تاريخ بغداد، ١٥٣/٣.

٣٦ - الناصر لدين الله

(٥٥٣ -٦٢٢ هـ/١١٥٨ -١٢٢٥ م)

أبو العباس أحمد بن الحسن المستضيء بن يوسف المستنجد بن محمد المقتفي بن أحمد المستظهر بن عبد الله المقتدي بن ذخيرة الدين محمد بن عبد الله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الرابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد تركية اسمها زمرد وكانت صالحة عابدة كثيرة البر والإحسان والصلات والأوقاف ، وقد بنت لها تربة إلى جانب قبر معروف وتوفيت في خلافة ابنها سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م ، ولد يوم الاثنين العاشر من رجب سنة٥٥٣هـ/١١٥٨م ، وقيل: ٥٥٤هـ/١١٥٩م ، وبويع له بالخلافة عند وفاة أبيه في مستهل ذي القعدة سنة٥٧٥هـ/ ، وتوفي في آخر ليلة من شهر رمضان سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م ، وكانت خلافته سبع وأربعون سنة[١].

زوجاته وأولاده

من زوجاته سلجوقي خاتون بنت قلج أرسلان بن مسعود صاحب سلاجقة الروم وذلك سنة٥٨٢هـ/١١٨٦م وتعرف بالخلاطية وتوفيت سنة٥٨٤هـ/١١٨٨م[٢].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٩٨/١٠ -٤٠٠ ؛ ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٦٥ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١٣٥/٣ ؛ الصفدي، نكت الهميان، ص ٦٨ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٦/١٣، ١٢٥ ؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١٤١/١ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٣٠.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣١/٤١، ١٧٩.

ذكرت المصادر له ولدان وهما أبو نصر محمد الظاهر الذي تولى الخلافة بعد أبيه ، وعلي بن الناصر توفي في حياة أبيه سنة ٦١٢ هـ/١٢١٥م[1].

صفته وبعض أقواله :

وصف بأنه كان(أبيض تركي الوجه أقنى الأنف خفيف العارضين رقيق المحاسن فيه شهامة وإقدام وله عقل ودهاء)[2] ، ووصفه الذهبي يقوله: (كان أبيضَ اللّون ، تُركيّ الوجه ، مليحَ العَيْنَيْنِ ، أنورَ الجبهة ، أقنى الأنف ، خفيفَ العارِضين ، أشقرَ اللّحية ، مليحَ المحاسن)[3] ، وأضاف: (كان النّاصرُ لدين الله ، شابًا ، مرحًا ، عنده مَيْعَة الشباب ، يَشُقُّ الدُّروبَ والأسواق أكثرَ اللّيل والنّاسُ يتهيّبون لقاءه)[4] ، قال: (كانت لَهُ حِيَلٌ لطيفة ، ومكايدُ غامضة ، وخِدعٌ لا يَفْطَنُ لها أحد ، يُوقِعُ الصداقةَ بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون ، ويُوقع العداوة بين ملوكٍ متّفقين وهم لا يَفْطُنُونَ)[5].

وذمه ابن الأثير بقوله: (كان قبيح السيرةً في رعيّته ، ظالماً ، فخرّب في أيّامه العراق ، وتفرّق أهله في البلاد ، وأخذ أملاكهم وأموالهم ، وكان يفعل الشيء وضدّه ، فمن ذلك أنّه عمل دور الضيافة ببغداد ليفطر الناس عليها في رمضان ، فبقيت مدّة ، ثمّ قطع ذلك ، ثمّ عمل دور الضيافة للحجاج ، فبقيت مدّة ، ثمّ بطّلها ، وأطلق بعض المكوس التي جدّدها ببغداد خاصّة ، ثمّ أعادها ، وجعل جلّ همّه في رمي البندق ، والطيور المناسيب ، وسراويلات الفتوّة ، فبطّل الفتوّة في البلاد جميعها ، إلّا من يلبس منه سراويل يدعى إليه ، ولبس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة)[6].

كما وصفه ابن واصل بقوله: (كان الناصر عظيم الهيبة ، عالي الهمّة ، وافر

---

(١) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١١٦/٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١٦/٤٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨٣/١٣

(٢) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ٨٥/٣ ؛ سير أعلام النبلاء، ١٩٣/٢٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٣/٤ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٦١/٦.

(٣) تاريخ الإسلام، ٨٤/٤٥.

(٤) تاريخ الإسلام، ٨٤/٤٥ ؛ ينظر أيضاً: الكتبي، فوات الوفيات، ٦٦/١.

(٥) تاريخ الإسلام، ٨٦/٤٥.

(٦) الكامل في التاريخ، ٤٠٠/١٠ ؛ ينظر أيضاً: أبو الفدا، ١٣٦/٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣١٧/٢٣.

العقل ، حسن السياسة ، متيقظاً لا يفوته أمر مما يجري في بلاده وغيرها من بلاد الإسلام ، وكان له أصحاب أخبار يطالعونه بما يحدث من الأمور في كل صقع)[1].

واشتغل في أواسط ولايته برواية الحديث وجمع كتابا سبعين حديثاً ، سماه روح العارفين يشتمل على أحاديث رواها عن شيوخه ، وأجاز روايته لجماعة من الأعيان والملوك منهم ولده الظاهر[2] ومنهم المؤرخ ابن النجار الذي قال: (شرّفني بالإجازة ، فرويتُ عنه بالحَرَمَين ، وبيتِ المقدس ، ودمشقَ ، وحلبَ ، وبغدادَ ، وأصبَهَان ، ونَيْسَابُور ، ومَرْوَ ، وهَمَذَانَ)[3] ، ومن حديثه الذي رواه بإسناده إلى النبي(ﷺ) أنه قال: ((صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وإن صدقة السر تطفئ غضب الرب ، وإن صلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر[4]))[5].

كما كان الخليفة الناصر لدين الله يقول الشعر ، ومن شعره ما كتبه إلى أحد كتابه وقد سجنه:

نسج داود لم يفد صاحب الـ ... غار وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النـ ... ـار مزيل فضيلة الياقوت[6]

ومن شعره في حب الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام):

لا بلّغتني همتي مطالبي ... ولا سطت في معرك قواضبي
ولا علت ناري لأهدى طارقا ... ولا غدت مجنوبة جنائبي
إن لم أعدها ضمّرا سواريا ... لأخذ ثار الملك الحباحب

---

(١) مفرج الكروب، ٩١/٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٣٠٤/٢٤.

(٢) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ بغداد، ٢٣٤/٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨٨/٤٥ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٣٣.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨٨/٤٥.

(٤) أخرجه جماعة، منهم: ابن زنجويه، الأموال، ٧٦٠/٢ ؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٢٦١/٨ ؛ الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، ٣٩٨/٢ .

(٥) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ بغداد، ٢٣٥/٢.

(٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٩/٤.

البـــاقرين أحمـــد بـــن حيـــدر **ســـلالة الأبـــرار آل طالـــب**

واصـــطليها في ولائـــه جماجمـــا **مضـــرمة في قمـــم النواصـــب**

حتـــى يعـــود البـــيض في ضـــيائها **مـــن هـــامهم مغلولـــة المضـــارب**

واســـتمد مـــن قـــوى عزمـــه **مـــا يجعـــل الآســـاد كالثعالـــب**

حتـــى يقـــول النـــاس إن أحمـــد **قد أتـى بـالفتح والنصر لآل طالـب**[1]

ومن شعره أيضاً في علي بن أبي طالب(عليه السلام):

زعمـــوا أنـــني أحـــبّ عليـــاً **صـــدقوا كلـــهم لـــديّ علـــيّ**

كـلّ مـن صـاحب الـنبيّ ولـو طـر **فـــة عـــينٍ فحقّـــه مرعـــيّ**

فلقـــد قـــلّ عقـــل كـــلّ غـــبيّ **هـــو مـــن شـــيعة الـــنبيّ بـــريّ**[2]

ألقابه

بويع الناصر لدين الله يعد وفاة أبيه المستضيء ولقبوه الناصر لدين الله[3].

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه: (رجائي من الله عفوه)[4].

وفاته

كان الناصر لدين الله قد عمي آخر عمره ، وأصابه الفالج وبقي معه سنتين ثم ذهب عنه ، ثم كان مرضه السهو والنسيان ، بقي به ستّةَ أشهر ولم يشعر أحد من الرعية بكُنْه حاله ، حَتّى خَفيَ على الوزير وأهلِ الدّار ، وكان لَهُ جاريةٌ قد علّمها الخطّ بنفسه ، فكانت تكتب مثل خطّه ، فتكتب على التّواقيع بمشهورة قَهْرَمَانَةِ الدّار ،

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٩/٤.

(٢) الكتبي، فوات الوفيات، ٦٨/١.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٦/٤٠.

(٤) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ بغداد، ٢٣٢/٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨٤/٤٥ ؛ الكتبي، فوات الوفيات، ٦٦/١ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٦١/٦.

وتوفي في أول شوال سنة ٦٢٢ هـ/١٢٢٥ م وكان موته بالدوسنطاريا[١] وله من العمر تسع وستون سنة وقيل سبعون [٢].

وقيل إن الخليفة الناصر كان قد احترز لنفسه بسبب عسار البول فكان (الْمَاءَ الَّذي يَشْرَبُهُ الإِمَامُ النَّاصرُ كَانَتْ تَجِيءُ بِه الدَّوَابُ مِنْ بَغْدَادَ بِسَبْعَة فَرَاسِخَ ، وَيُغْلى سَبْعَ غَلْوَات ، كُلَّ يَوْمٍ غَلْوَةٌ ، ثُمَّ يُحْبَسُ فِي الأَوْعِيَة سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ يَشْرَبُ منْهُ ، وَبَعْدَ هَذَا الاحْتِرَازِ مَا مَاتَ حَتّى سُقِيَ الْمُرَقِّدَ ثَلاثَ مِرَارٍ وَشُقَّ ذَكَرُهُ وَأُخْرِجَ منه الحصى)[٣].

وصلى عليه ولده الظاهر ودفن بصحن الدار ثم نقل بعد شهرين إلى الترب[٤].

---

(١) الدوسنطاريا وهو مرض الزحار، ينظر: رويحة، التداوي بالأعشاب، ص ١٢٩.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ١٥٩/٤ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١٤٥/٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣١٧/٢٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٩١/٤٥ ؛ الصفدي، نكت الهميان، ص ٧١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢٥/١٣ ؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١٤٢/١.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٩١/٤٥ ؛ ينظر أيضاً: الكتبي، فوات الوفيات، ٦٨/١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢٥/١٣ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٣١.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٩٢/٤٥، ١٦٦ ؛

٣٧ - الظاهر بأمر الله
(٥٧١ – ٦٢٣ هـ/١١٧٥ -١٢٢٦ م)

أبو نصر محمد بن أحمد الناصر لدين الله بن الحسن المستضيء بن يوسف المستنجد بن محمد المقتفي بن أحمد المستظهر بن عبدالله المقتدي بن ذخيرة الدين محمد بن عبدالله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، الخامس والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، أمّه أمّ ولد ، ولد سنة٥٧١هـ/١١٧٥م ، وبايع له أبوه بولاية العهد في صفر من سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م ثم خلعه لميله إلى ابنه الصغير علي ، إلا أن الأخير توفي سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م ولم يكن للناصر ولد غير أبي نصر محمد فاضطر إلى إعادته إلا أنه حجر عليه حتى وفاته ، فلما توفي أبوه أخذت البيعة له وهو ابن اثنتين وخمسين سنة في الثاني من شوال سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م ، وتوفي في الرابع عشر من رجب سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م فكانت خلافته تسعة أشهر[١].

زوجاته وأولاده

ترك من الأولاد ابنه أبو جعفر منصور المستنصر الذي تولى الخلافة بعده[٢] ، وولد آخر يقال له الخفاجي كان في غاية الشجاعة كانَ يَقُولُ: (إنْ وُلِّيتُ لأعْبُرَنَّ

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٠١/١٠، ٤١٢ ؛ المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ١٨٢/٣ ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٤٢ ؛ ابن واصل، مفرج الكروي، ١٩١/٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٦٥/٤٥ -١٦٩ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ١٤٤/٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢٦/١٣ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٦٥/٦ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٤١.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٥٢/٤٦.

بالعساكر نهرَ جَيْحون ، وأخذُ البلادَ من أيدي التتار استأصلُهم ، فلمّا ماتَ المستنصرُ لم يَرَ الدُويدارُ ولا الشَّرابيّ تقليدَ الخَفاجيّ خَوفًا منه ، وأقاما أبَا أحْمَد للينة وضَعْف رأيه ، ليكونَ لهما الأمرُ[1] ، قتل عندما دخل التتر بغداد[2] ، كما له ولد آخر وهو أبو عبد الله العباس توفي سنة٦٣١هـ/١٢٣٢م[3] ، ومن أولاده أبو القاسم أحمد كان قد اعتقل ببغداد ثم فرّ إلى مصر وبويع بالخلافة ولقب المستنصر بالله[4].

صفته وبعض أقواله

كان الخليفة الظاهر بأمر الله (جميلاً ، أبيض مُشْرَبًا حمرة ، حلو الشمائل ، شديد القوى)[5].

ووصف بأنه(كان نِعْمَ الخليفة ، جمع الخشوعَ مع الخضوع لربّه والعَدْلَ والإحسان إلى رعيَّته ، ولم يَزَلْ كلّ يوم يزدادُ من الخير والإحسان)[6].

امتدحه ابن الأثير بقوله: (لمّا ولي الخلافة أظهر من العدل والإحسان ما أعاد به سنّة العمرين ، فلو قيل إنّه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل ، صادقا ، فإنّه أعاد من الأموال المغصوبة في أيّام أبيه وقبله شيئا كثيرا ، وأطلق المكوس في البلاد جميعها ، وأمر بإعادة الخراج القديم في جميع العراق ، وأن يسقط جميع ما جدّده أبوه ، وكان كثيرا لا يحصى)[7].

وقال البنكاتي: (واتفق علماء بغداد بأنه لم يكن لخليفة آخر ما للظاهر من حسن السيرة ، وسداد السريرة ، والشفقة على الناس ، وإكرامهم ، ولكن مدة حكمه كانت قصيرة مثل أيام الورد)[8]

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٥٤/٤٦ ؛ ينظر أيضاً: ابن واصل، مفرج الكروب، ٣١٨/٥.
(٢) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١٣٧/٣.
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٨/٤٦.
(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦٧/١٣ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٦٢.
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١/٤٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢٦/١٣.
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٦٧/٤٥.
(٧) الكامل في التاريخ، ٤٠١/١٠.
(٨) تاريخ البناكتي، ص ٢١٤.

وعندما بويع بالخلافة كان له من العمر اثنتين وخمسين سنة ، فقيل له: (ألا تتفسّح؟ قال: قد لَقِسَ الزَّرْع ، فقيل: يُبارِكُ الله في عمرك ، قال: من فتح دكاناً بعد العصر أيش يكسب؟)[1].

ألقابه

لما ولاه أبوه الناصر لدين الله العهد لقبه الظاهر بأمر الله[2].

وفاته

لم يرد في المصادر التي بين أيدينا ما يشير إلى سبب وفاته ، ولكن ذكر أن أباه الناصر عندما أعاده إلى العهد حبسه (فِي دَار مبيضة الأرجاء لَيْسَ فِيهَا لون غير الْبيَاض وَكَانَ حراسه يفتشون اللَّحْم خوفًا أن يكون فِيهِ شَيْء أَخْضَر ينعش بِهِ نور بَصَره فضعف بَصَره حَتَّى كَاد يعمى)[3].

توفي في الثالث عشر من رجب سنة٦٢٣هـ/١٢٢٦م وعمره اثنتين وخمسين سنة[4].

سنة[4].

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١١/٤٥.

(٢) ابن واصل مفرج الكروب، ١٦٧/٤.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ٦٩/٢.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠٦/١٦ ؛ ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ٢٢٨/١.

٣٨ - المستنصر بالله

(٥٨٨ -٦٤٠ هـ/١١٩٢ -١٢٤٢ م)

أبو جعفر منصور بن محمد الظاهر بأمر الله بن أحمد الناصر لدين الله بن الحسن المستضيء بن يوسف المستنجد بن محمد المقتفي بن أحمد المستظهر بن عبد الله المقتدي بن ذخيرة الدين محمد بن عبدالله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، السادس والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، أمّه جارية تركية تسمى أخشو لم تدرك خلافته ، ولد في صفر سنة٥٨٨هـ/١١٩٢م ، بويع بالخلافة بعد موت أبيه في رجب سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦ م وعمره خمس وثلاثون سنة ، وتوفي لعشر خلون من جماد الآخر سنة٦٤٠هـ/١٢٤٢م وكانت خلافته سبع عشرة سنة [١].

زوجاته أولاده

كان له العديد من الزوجات منهن أمّ الخليفة المستعصم أم ولد تدعى هاجر[٢].

وله من الأولاد عبد الله المستعصم الذي ولي الخلافة بعده ، وأبو أحمد عبد الله ، وأبو القاسم عبد العزيز[٣] ، وأخت لهما[٤].

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣١٥/٥ ؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، ٢٢٠/٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٢١/٢٣ -٣٢٢ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١٧١/٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٥٢/٤٦ - ٤٥٣ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٣/١٣ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٦١/٧.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٤٩.

(٣) ابن الفوطي، مجمع الآداب، ١٦٩/١.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٧/١٣.

صفته وبعض أقواله

كان المستنصر بالله (أبيضَ مُشْرِبًا حُمْرة ، أزجَّ الحاجبين ، أدعجَ العينين ، سهلَ الخدَّين ، أقنى ، رَحْبَ الصدر)[1] ، كما وصف بأنه كان (كان أبيضَ ، أشقرَ الشَّعْر ، ضَخْمًا ، قصيرا ، وَخطَّهُ الشيبُ ، فخَضَبَ بالحِنَّاء ، ثم تَرَكَ الخِضَابَ)[2] ، ووصفه ابن الفوطي بقوله:(كان أبيض اللّون ، وسيع الصدر ، معتدل الخلق ، جوادا ، محبّا للعلوم)[3].

وذكر ابن العبري بأنه (كان عاقلاً عادلاً لبيباً كريماً كثير الصدقات عمّر المدارس والمساجد والرباطات القديمة وكان قد تهدّم معظمها ومن شدّة غرامه بمدرسته المعروفة بالمستنصريّة أعمر لصقها بستانا خاصا له فقلّ ما يمضي يوم إلّا ويركب في السيارة ويأتي البستان يتنزه فيه ويقرب من شباك مفتح في إيوان المدرسة ينظر إلى البستان وعليه ستر فيجلس وراء الستر وينظر إلى المدرسة ويشاهد أحوالها وأحوال الفقهاء ويشرف عليهم ويتفقد أحوالهم)[4].

وقال ابن كثير بصف سيرته بقوله: (كَانَ جَمِيلَ الصُّورَة حَسَنَ السَّرِيرَة جَيِّدَ السِّيرَة ، كَثِيرَ الصَّدَقَات وَالْبِرِّ وَالصِّلَات ، مُحْسِنًا إِلَى الرَّعِيَّة بِكُلِّ مَا يَقْدرُ عَلَيْه ، كَانَ جَدُّهُ النَّاصِرُ قَدْ جَمَعَ ما يتحصل من الذهب في بركة في دار الْخِلَافَة ، فَكَانَ يَقِفُ عَلَى حَافَّتِهَا وَيَقُولُ: أَتُرَى أَعِيشُ حَتَّى أَمْلَأَهَا ، وَكَانَ الْمُسْتَنْصِرُ يَقِفُ عَلَى حَافَّتِهَا وَيَقُولُ أَتُرَى أَعِيشُ حَتَّى أُنْفِقَهَا كُلَّهَا)وأضاف: (كان يَبْنِي الرُّبُطَ وَالْخَانَات وَالْقَنَاطِرَ فِي الطُّرُقَات مِنْ سَائِرِ الْجِهَات ، وَقَدْ عَمِلَ بِكُلِّ مَحَلَّة مِنْ محال بغداد دار ضيافة للفقراء ، لا سيما في شهر رمضان ، وكان يتقصد الجواري اللائي قَدْ بَلَغْنَ الْأَرْبَعِينَ فَيُشْتَرَيْنَ لَهُ فَيُعْتِقُهُنَّ وَيُجَهِّزُهُنَّ وَيُزَوِّجُهُنَّ)[5].

وكان للخليفة المستنصر شعراً ، منه قوله في جارية له تدعى فضة:

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٨/٤٥.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٥٣/٤٦.

(٣) مجمع الآداب، ٢٢٠/٥.

(٤) تاريخ مختصر الدول، ص ٢٥٣.

(٥) البداية والنهاية، ١٨٦/١٣.

قالوا أمثل أمير المؤمنين له عقل يقسم بين الملك والغزل

فقلت ما جئت بدعاً في الغرام أخذت إلا بخط من حلى الرسل

وما يضيع الهوى عقلاً يكون له فضلاً إلى الرأس والتدبير للدول[١]

ألقابه

كان جده الناصر يقربه ويحبه ويسميه القاضي وذلك لعقله وإنكاره المنكر[٢] ، ولقب بالمستنصر بالله عندما بويع بالخلافة بعد موت أبيه[٣].

وفاته:

توفي في العشرين من جماد الأولى سنة٦٤٠هـ/١٢٤٢م وعمره إحدى وخمسون سنة[٤] ، وكان سبب موته أنه فصد بمبضع مسموم[٥] ، وقال ابن واصل: (لم يشتهر أنه خلع ولا قتل ،... ، لكنى سمعت من جماعة منهم الوجيه بن سويد[٦]-رحمه الله- وكان خبيراً بأمور الدول خصوصاً بدولة الخليفة ، أن المستنصر بالله فصد بمبضع مسموم فمات)[٧] ، ودفن بدار الخلافة ثم نقل إلى الترب من الرصافة[٨].

---

(١) الكتبي، فوات الوفيات ١٧١/٤.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ١٩٦/٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٥٣/٤٦ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٤٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤١٤/١٠ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٢١/٢٣.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٥٤/٤٦.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ٣٢٢/٢٣.

(٦) هو الوجيه بن سويد التكريتي التاجر كان ذا مال وجاه أيام الناصر والظاهر، وتوفي سنة ٦٧١ هـ/١٢٧٢ م، ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٣٢/٥.

(٧) مفرج الكروب، ١٦٢/٤.

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٦/١٣.

٣٩ - المستعصم بالله

(٦٠٩ -٦٥٦ هـ/١٢١٢ -١٢٥٨ م)

أبو أحمد عبد الله بن منصور المستنصر بالله بن محمد الظاهر بأمر الله بن أحمد الناصر لدين الله بن الحسن المستضيء بن يوسف المستنجد بن محمد المقتفي بن أحمد المستظهر بن عبد الله المقتدي بن ذخيرة الدين محمد بن عبد الله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، السابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين آخر الخلفاء العباسيين ببغداد ، أمّه أمّ ولد اسمها هاجر أدركت خلافته وتوفيت سنة ٦٤٥هـ /١٢٤٧ م ، ولد في الحادي عشر من شوال سنة ٦٠٩ هـ/١٢١٢ م ، وقيل: إن أمّه رومية تعرف بقوت القلوب ، وقيل: حبشية ، وبويع له بالخلافة في العشرين من جماد الأولى سنة٦٤٠هـ/١٢٤٢ م ، وقتل على يد التتار في الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م[١].

زوجاته وأولاده

من زوجاته جارية اسمها سمر وهي أمّ أولاده أحمد وعبد الرحمن ومبارك[٢].

له العديد من الأولاد هم: أبو العباس أحمد ويسمى أبا بكر وعبد الرحمن قتلهما التتار وعمر أحمد خمس وعشرون سنة وأحمد ثلاث وعشرون سنة ، وابنه الصغير

---

(١) ابن الفوطي، مجمع الآداب، ٢٠٨/٥ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥٨/٤٨ ؛ الدواداري، كنز الدرر، ٣٤٨/٧ ؛ الكتبي، فوات الوفيات، ٢/ ٢٣١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٣٧/١٣ ؛ العيني، عقد الجمان، ٢٠٥/١ ؛ ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ٢٣٢/١ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٤٩.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٦٣/٥٠ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٥٩/٢٠.

مبارك لم يقتل[1] وعاش حتى سنة٦٧٧هـ/١٢٧٨م حيث توفي بمراغة ودفن بجانب الخليفة المسترشد بالله[2] ، وولد اسمه علي أسره التتار ثم أطلقوا سراحه سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م[3] ، وبنت اسمها فاطمة أسرها التتار ماتت غريبة في بخارى سنة٦٥٨هـ /١٢٥٩م[4] ، وابنة اسمها رابعة بقيت في بغداد وتزوجت سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م[5] ، وابنة اسمها خديجة توفيت ببغداد سنة٦٧٦هـ/١٢٧٧م[6] ، وابنة اسمها جوهر أخذها هولاكو ودفعها إلى أخيه فدخل بها تركستان فولت منه عبد العزيز وعبد الحق انقرضا ثم ردها إلى وطنها فاجتمعت بأخيها مبارك سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م[7] ، وابنة اسمها مريم أسرها التتار[8].

صفته وبعض أقواله

وصف بأنه (كان كريماً حليماً ، سُلَيْم الباطن ، حَسَن الدّيانة)[9] ، اهتم به أبوه منذ نشأته ودفعه إلى مؤدب حيث ختم القرآن على يديه سنة٦٣١هـ/١٢٣٣م[10] ، وقيل: (كَانَ متديّناً متمسكاً بالسّنّة كأبيه وجدّه ، ولكنّه لم يكن عَلَى ما كَانَ عليه أبوه وجدّه النّاصر مِن التّيقّظ والحَزْم وعلوّ الهمّة)[11] ، وقال ابن كثير: (أتقن في شبيبته تلاوة القرآن حفظاً وتجويداً ، وأتقن العربية والخط الحسن... وكان كثير التلاوة حسن الأداء يظهر عليه خشوع وإنابة ، وقد نظر في شيء من التفسير وحل المشكلات ، وكان مشهوراً بالخير مشكوراً مقتدياً بأبيه المستنصر جهده وطاقته)[12] ، أما ابن

(١) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٣١٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٨ /٢٦٢.
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٧٧/٥٠ –٢٧٨.
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٨٦/١٣ ؛ العيني، عقد الجمان، ٤٢٦/١.
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٥٢/٤٨.
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٦/٤٩.
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٢٣/٥٠.
(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٣١/٥١.
(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٣٦/١٣.
(٩) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥٩/٤٨.
(١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٠/٤٦.
(١١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥٩/٤٨.
(١٢) البداية والنهاية، ١٨٨/١٣.

الفوطي فقال عنه: (كان أسمر اللون ، أزجّ الحاجبين ، ظاهر الحياء ، سهل الأخلاق ، وكان ملازماً لصوم الاثنين والخميس دائماً)[1]

كما وصفه ابن العبري بقوله: (كان صاحب لهو وقصف شغف بلعب الطيور واستولت عليه النساء ، وكان ضعيف الرأي قليل العزم كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول وكان إذا نبّه علي ما ينبغي أن يفعله في أمر التاتار أما المداراة والدخول في طاعتهم وتوخي مرضاتهم أو تجيّش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق فكان يقول: أنا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها لي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد ولا أيضاً يهجمون عليّ وأنا بها وهي بيتي ودار مقامي ، فهذه الخيالات الفاسدة وأمثالها عدلت به عن الصواب فأصيب بمكاره لم تخطر بباله)[2] ، كما وصفه اليونيني بقوله: (كان المستعصم بالله قليل التدبير والتيقظ نازل الهمة محباً لجمع المال مهملاً للأمور يتكل فيها على غيره ويقدم على فعل ما يستقبح ولا يناسب منصبه)[3].

ألقابه

عندما توفي أبوه سنة٦٤٠هـ/١٢٤٢م بويع بالخلافة ولقب بالمستعصم بالله وله عندها من العمر ثلاثون سنة[4].

مقتله

لما دخلوا التتار بغداد وخرج إليهم الخليفة اعتقلوه ، فقيل: قتلوه خنقاً ، وقيل: غموه في بساط حتى مات ، وقيل: لما أخذوا الخليفة ليقتلوه كان معه خادم يقال له قرنفل فألقى عليه نفسه يقيه من القتل فقتلوا الخادم ، ورفسوا الخليفة حتى مات ، وقيل جُعل في غرارة ورفس إلى أن مات ودفن وعُفي أثره[5] ، وقيل قتل غرقاً في

---

(١) مجمع الآداب، ٣٠٨/٥.

(٢) تاريخ مختصر الدول، ص ٢٥٥.

(٣) مرآة الزمان، ٢٥٥/١ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥٩/٤٨

(٤) الدواداري، كنز الدرر، ٧ /٣٤٨ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٨/١٣.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٦١/٤٨ ؛ سير أعلام النبلاء، ٣٨٥/١٦ ؛ الكتبي، فوات الوفيات، ٢٣١/٢ ؛ ابن دقماق، نزهة الأنام، ص ٢٣٩.

دجلة[1] ، وقيل قتل شدخاً بالعمد ووطأ بالأقدام لتجافيه بزعمه عن دماء أهل البيت[2] ، وقيل إن هولاكو: (أمر أن يجعل في عدل ويداس بأرجل الخيل حتى يموت ، ففعل به ذلك ومن عادة التتار أن لا يسفكوا دماء الملوك والأكابر)[3] ، وكان قتله يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر وعمره ست وأربعون سنة[4].

قال ابن خلدون: (وكانت دولة بني العبّاس من يوم بويع للسفّاح سنة اثنتين وثلاثين ومائة إلى أن قتل المستعصم سنة ست وخمسون وستمائة ، وخمسمائة سنة وأربعاً وعشرين ، وعدد خلفائهم ببغداد سبعة وثلاثون خليفة ، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين)[5].

---

(١) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ١٩١/٢ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ٩٢/٢.

(٢) ابن خلدون، تاريخ، ٦٦٣/٣.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ٣٢٤/٢٣.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٣٦/١٣.

(٥) تاريخ، ٦٦٣/٣.

مصادر ومراجع الكتاب

- الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين الرازي (ت ٤٢١ هـ/١٠٣٠ م)
❖ نثر الدرر في المحاضرت، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ م.
- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م)
- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣ م)
❖ الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- أحمد مختار عبد الحميد
❖ معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٨ م.
- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ/ ١٢٧٠ م)
❖ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحيق نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ب. ت.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري
❖ سلسلة الأحاديث الضعيفة، دار المعارف، الرياض، ١٩٩٢ م.
❖ ضعيف الجامع الصغير، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ب. ت.
- الأماسي، محمد بن القاسم بن يعقوب الحنفي (ت ٩٤٠ هـ/١٥٣٤ م)
❖ روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، دار القلم، حلب، ١٤٢٣ هـ.
- بازيار، العزيز بالله بن نزار الفاطمي (ت القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)
❖ البيزرة، علق عليه محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ب. ت.
- الباشا، حسن
❖ الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار الفنية، القاهرة، ١٩٨٩ م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠ م)
❖ صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.
- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت ٢٩٢ هـ/٩٠٥ م)
❖ مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠٩ م.
- البلاذري، أحمد ين يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م)
❖ أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦ م.
- البناكتي، أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمد (ت ٧٣٠ هـ/١٣٢٩ م)
❖ تاريخ البناكتي المسمى روضة أولي الألباب في معرفه التواريخ والأنساب، تعريب محمود عبد

الكريم علي، القاهرة، ٢٠٠٧ م.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٦ م)
❖ شعب الإيمان، حققه عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشيد، الرياض، ٢٠٠٣ م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م)
❖ سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٧٠ م)
❖ مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة.
❖ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ب. ت
- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي البصري (ت ٣٨٤ هـ/٩٩٤ م)
❖ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، ١٩٧١ م.
❖ الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨ م.
- التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠ هـ/ ١٠١٠ م)
❖ البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨ م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩ هـ/١٠٣٨ م)
❖ الإعجاز والإيجاز، مكتبة القرآن، القاهرة، ب. ت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٩ م)
❖ التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤ م.
❖ الرسائل السياسية، دار الهلال، بيروت، ب. ت.
❖ المحاسن والأضداد، دار الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت ٦١٤ هـ/١٢١٧ م)
❖ رحلة ابن جبير، مكتبة الهلال، بيروت، ب. ت.
- جرار، نبيل سعد الدين سليم
❖ الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء، مطبعة أضواء السلف، ٢٠٠٧ م.
- الجريري، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى (ت ٣٩٠ هـ/٩٩٩ م)
❖ الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- جمعة، علي جمعة محمد
❖ المكاييل والموازين الشرعية، ط ٢، القاهرة، ٢٠٠١ م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠١ م)
❖ تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٧ م.
❖ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
❖ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨ هـ.

❖ الموضوعات، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٩٦٦ م.
- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان التميمي (ت ٣٥٤ هـ/ ٩٦٥ م)
❖ الثقات، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ١٩٧٣ م.
- ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية (٢٤٥ هـ/٨٦٠ م)
❖ المحبر، تحقيق إلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق، بيروت.
- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م)
❖ لسان الميزان، ط ٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧١ م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي (ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٣ م)
❖ جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد (ت ٥٦٢ هـ/١١٦٧ م)
❖ التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ١٤١٧ هـ.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ/٨٥٥ م)
❖ مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ب. ت.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٣ م)
❖ تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢ م.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٦ م)
❖ تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م)
❖ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧١ م.
- خليفة بن خياط الشيباني العصفري البصري (ت ٢٤٠ هـ/٨٥٤ م)
❖ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار العلم، ط ٢، بيروت، ١٣٩٧ هـ.
- الخوارزمي، أبو بكر محمد بن العباس (ت ٣٨٣ هـ/٩٩٣ م)
❖ مفيد العلوم ومبيد الهموم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٨ هـ.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥ هـ/٨٨٩ م)
❖ سنن أبي داود، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار المشكاة، حلوان، ١٩٩٣ م.
- ابن الدبيثي، أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت ٦٣٧ هـ/١٢٣٩ م)
❖ ذيل تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦ م.
- الدواداري، أبو بكر عبد الله بن أبيك (كان حياً ٧٣٦ هـ/١٢٣٥ م)
❖ كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، منشورات عيسى بابا الحلبي، ١٩٦١ م.
- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي الكلبي الأندلسي (ت ٦٣٣ هـ/١٢٣٦ م)
❖ النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، صححه وعلق عليه عباس العزازي، بغداد، ١٩٤٥ م.

- الدرويش، جاسم ياسين
❖ أعلام نساء البصرة، ط ١، البصرة، ٢٠٠٩ م.
- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي القاهري (ت ٨٠٩ هـ/١٤٠٧ م)
❖ نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩ م.
- الدميري، أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م)
❖ حياة الحيوان الكبرى، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ.
- دهمان، محمد أحمد
❖ معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠ م.
- الدياربكري، حسين بن محمد بن الحسن (٩٦٦ هـ/١٥٥٩ م)
❖ تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر، بيروت، ب. ت.
- الديلمي، أبو شجاع شيرويه بن شهردار (ت ٥٠٩ هـ/١١١٥ م)
❖ الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦ م.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨١ هـ/ ٨٩١ م)
❖ الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م)
❖ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدميري، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣ م.
❖ سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦ م.
❖ العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو الهاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ب. ت.
❖ المغني في الضعفاء، تحقيق نور الدين عتر، ب. ت.
- رويحة، أمين
❖ التداوي بالأعشاب، ط ٧، دار القلم بيروت، ب. ت.
- الزبيدي، أبو الفيض مرتضى محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ/١٧٩٠ م.
❖ تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، ب. ت.
- الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت ٢٣٦ هـ/٨٥١ م)
❖ نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ب. ت.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨ هـ/١١٤٣ م)
❖ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤١٢ هـ.
- ابن زنجويه، حميد بن مخلد بن قتيبة الخراساني (ت ٢٥١ هـ/٨٦٥ م)
❖ الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث، السعودية، ١٩٨٦ م.
- ابن الساعي، تاج الدين علي بن أنجب (٦٧٤ هـ/١٢٧٥ م)
❖ نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق مصطفى جواد، دار الجمل، بيروت، ٢٠١١ م.

- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١ هـ/ ١٣٧٠ م)
❖ طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة، ط ٢، ١٤١٣ هـ.
- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (٩٠٢ هـ/١٤٩٧ م)
❖ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الالسنة، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٠٨٥ م.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ/٨٤٥ م)
❖ الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م.
- ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م)
❖ المقتطف من أزهار الطرف، شركة أمل، القاهرة، ١٤٢٥ هـ.
- السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة الاصبهاني (ت ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠ م)
❖ معجم السفر، تحقيق عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ب. ت.
- السلمي، إبراهيم جدوع محسن
❖ إمارة البطائح العربية دراسة في أحوالها السياسية والفكرية، النجف، ٢٠١٥ م.
- ابن السمناني، أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد الرحبي (ت ٤٩٩ هـ/١١٠٥ م)
❖ روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق صلاح الدين الناهي، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م)
❖ تاريخ الخلفاء، تحقيق إبراهيم صالح، ط ٢، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨ م.
❖ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، تحقيق يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣ م.
❖ اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦ م.
- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله الفيلسوف الرئيس (٤٢٨ هـ/١٠٣٧ م)
❖ القانون في الطب، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، ب. ت.
- أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ/١٢٦٧ م)
❖ الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧ م.
- الصابي، أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الحراني (ت ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦ م)
❖ تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، ب. ت.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن آبيك بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣ م)
❖ نكث الهميان في نكت العميان، علق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧ م.

❖ الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت ٣٣٥ هـ/٩٤٦ م)
❖ أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، تحقيق ج هيورث دن، مطبعة الصاوي، ١٩٣٥ م.
❖ أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، مطبعة الصاوي، ١٩٣٦ م.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠ هـ/٩٧١ م)
❖ المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط ٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ب. ت.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/٩٢٣ م)
❖ تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي (ت ٥٢٠هـ /١٢٢٦م)
❖ سراج الملوك، مصر، ١٨٧٢ م.
- ابن الطقطقي، أبو جعفر محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي (ت ٧٠٩ هـ/١٣٠٩ م)
❖ الاصيلي في أنساب الطالبيين، تحقيق مهدي الرجائي، ط ١، قم، ١٣١٨ هـ.
❖ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق عبد القادر محمد، دار القلم، بيروت، ١٩٩٧ م.
- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد طيفور الخراساني (ت ٢٨٠ هـ/٨٩٣ م)
❖ كتاب بغداد، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
- عارف الدوري، تقي الدين
❖ عصر أمرة الأمراء (٣٣٤.٣٢٤ هـ/٩٤٦.٩٣٦ م)، دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية، بغداد، ١٩٧٥ م
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ/ ٩٤٠ م)
❖ العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس بن هارون بن توما الملطي (٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م)
❖ تاريخ مختصر الدول، تحقيق أنطوان صالحاني اليسوعي، ط ٣، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢ م.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الدمشقي (ت ١١٦٢ هـ/١٧٤٩ م)
❖ كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تحقيق عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- عريب، عريب بن سعد القرطبي (ت ٣٦٩ هـ/٩٧٩ م)
❖ صلة تاريخ الطبري، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ب. ت.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٦ م)
❖ تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م.
- العصامي المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١١١ هـ/١٦٩٩ م)
❖ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض،

دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م.

- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري(ت ١٠٨٩هـ /١٦٧٩م)

❖ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ب. ت.

- عماد الدين الاصبهاني، أبو عبد الله محمد بن صفي الدين الكاتب (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠١ م)

❖ تاريخ دولة آل سلجوق، تحقيق يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ م.

❖ خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد بهجت الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٥ م.

- ابن العمراني، محمد بن علي (ت ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤ م)

❖ الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، القاهرة، ٢٠٠١ م.

- العمري، نجم الدين علي بن محمد (ت ٤٦٠ هـ/١٠٦٧ م)

❖ المجدي في أنساب الطالبيين، تحقيق أحمد الدامغاني، قم، ١٩٨٩ م.

- العيسى، زينب حازم كشيش

❖ القاهر بالله العباسي (٢٨٧ -٣٣٩ هـ/٩٠٠ -٩٥١ م)رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٩ م.

- أبو الفدا، إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١ م)

❖ المختصر في أخبار البشر، تحقيق رياض حسن الخوام، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٠ م.

- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت ٣٥٦ هـ/٩٦٧ م)

❖ الأغاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ب. ت.

❖ مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، ب. ت.

- الفردوسي، أبو القاسم (ت ٤١١ هـ/١٠٢٠ م)

❖ الشاهنامة، تحقيق عبد الوهاب عزام، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م.

- الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (ت ٢٧٧ هـ/٨٩٠ م)

❖ المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١ م.

- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني(ت ٧٢٣ هـ /١٣٢٣ م)

❖ مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، إيران، ١٥١٦ هـ.

- قاضي المارستان، أبو بكر محمد عبد الباقي الكعبي (ت ٥٣٥ هـ/ ١١٤١ م)

❖ مشيخة قاضي المارستان (أحاديث الشيوخ الثقات)، تحقيق الشريف حاتم بن عارف العوني، دار عالم الفوائد، ١٤٢٢ هـ.

- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت ٧٤٩ هـ /١٣٤٩ م)

❖ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أبو ظبي، ١٤٢٣ هـ.

- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق(ت نحو ٣٤٠هـ/٩٥١م)
❖ مختصر كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦ م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م)
❖ الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
❖ المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٢ م.
- ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي التميمي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠ م)
❖ تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣ م.
- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨م)
❖ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، ب. ت.
❖ مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط ٢، الكويت، ١٩٨٥ م.
- الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد الدمشقي (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣ م)
❖ فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤ م.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٢ م)
❖ البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ/٨٨٧ م)
❖ سنن ابن ماجة، تحقيق شعيب الإرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ٢٩٩٠ م.
- ابن المبرد الحنبلي، جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد الصالحي (ت ٩٠٩ هـ/١٥٠٣ م)
❖ إيضاح طرق الإستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة، دار النوادر، سوريا، ٢٠١١ م.
- ابن المرتضى، أحمد بن يحيى(ت ٨٤٠ هـ/١٤٣٩ م)
❖ طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ديفلد، دار الحياة، بيروت، ١٩٦١ م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦ هـ/٩٥٧ م)
❖ التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، ب. ت.
❖ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، يوسف البقاعي، ط ٢، دار الطليعة، بيروت، ٢٠١١ م.
- مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب(ت ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠ م)
❖ تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، ط ٢، طهران، ٢٠٠٠ م.
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت ٢٦١ هـ/٨٧٥ م)
❖ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء لتراث العربي، بيروت، ب. ت.
- المطهر المقدسي، مطهر بن طاهر(ت بعد ٣٥٥ هـ/ ٩٦٦م)
❖ البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ب. ت.
- ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي (ت ٢٩٦ هـ/٩٠٩ م)
❖ طبقات الشعراء، تحقيق أحمد عبد الستار فراج، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ب. ت.
- الملك المنصور، أبو المعالي محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه الأيوبي (ت ٦١٧ هـ/١٢٢٠ م)
❖ مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، ب. ت.

- المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م)
❖ التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، ط ٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١ م.
- مؤلف مجهول (ت القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)
❖ أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت.
- ابن النجار، أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله (ت ٦٤٣ هـ/١٢٤٥ م)
❖ ذيل تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٤٣٨ هـ/١٠٤٧ م)
❖ الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧ م.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت ٣٠٣ هـ/٩١٥ م)
❖ سنن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢، حلب، ١٩٨٦ م.
- أبو نصر البخاري، سهل بن عبد الله بن داود (ت القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)
❖ سر السلسلة العلوية، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، النجف، ١٩٦٢ م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري (ت ٧٣٣ هـ/١٣٣٣ م)
❖ نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
- ابن الهمذاني، أبو الحسن محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١ هـ/١١٢٧ م)
❖ تكملة تاريخ الطبري، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨ م.
- ابن واصل، أبو عبد الله محمَّد بن سالم بن نصر الله بن سالم التميمي (ت ٦٩٧ هـ/١٢٩٨ م)
❖ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة١٩٥٧ م.
- ابن الوردي، أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٩ م)
❖ تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦ م.
- الوشاء، أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق (ت ٣٢٥ هـ/٩٣٧ م)
❖ الظرف والظرفاء، تحقيق كمال مصطفى، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٣ م.
- اليافعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٧ م)
❖ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م.
- ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م)
❖ معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١ م.
❖ معجم البلدان، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب جعفر بن واضح (ت بعد ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤ م)
❖ تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري، النجف، ١٣٥٨ هـ.

محتويات الكتاب

عبد الله المستكفي بالله

الفضل المطيع لله

عبد الكريم الطائع لله

أحمد القادر بالله

عبد الله القائم بأمر الله

عبد الله المقتدي بأمر الله

أحمد المستظهر بالله

الفضل المسترشد بالله

أحمد المستنجد بالله (مدته متداخلة مع أخيه المسترشد بالله)

منصور الراشد بالله

محمد المقتفي لأمر الله

يوسف المستنجد بالله

الحسن المستضيء بأمر الله

أحمد الناصر لدين الله

محمد الظاهر بأمر الله

منصور المستنصر بالله

عبد الله المستعصم بالله